

أحمد رجب

يخرب بيت الحب

الدار المصرية اللبنانية

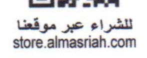


من أمراض الحب بعد الزواج أن كلًّا من الطرفين لا يُدرك السمات الخارجية الخاصة بالنوبات النفسية عند الطرف الآخر، كاستعداده للحديث، أو رغبته في الانفراد بنفسه أو جنوحه إلى الانطلاق والمرح، وإذا أضفنا إلى هذا كله جفاف الحياة الزوجية من الكلمة الحلوة واللمسة الحانية، فإننا نجد الرجل في النهاية يمارس حقوقه الزوجية وهو أقرب إلى شخص مغتصب منه إلى زوج محب، فلا تملك الزوجة إلا أن تردد في سرها دعاءً واحدًا: «روح ربنا يهد حيلك»!

■ ■ ■ ■

الكاتب الكبير أحمد رجب له مكانة وثِقل كبيران لدى القراء، صنعهما عبر تاريخه مع الكلمة الساخرة؛ ليصبح اسمه أشبه بعلامةٍ تجاريَّةٍ في الكتابة الساخرة، سواء عند القارئ المثقف، أو عند القارئ المبتدئ، الذي تتحول القراءة عنده - لمثل هذا الكتاب - إلى فرصةٍ للضحك المُغلَّف بفوائدَ عدَّةٍ، في مُقدمتها التثقيف، والاستفادة من خبراتٍ وتراكماتٍ حياتيَّةٍ، في اتجاهٍ يشغل بالَ أيِّ شابٍّ أو فتاةٍ، هو تلك العلاقة المُثيرة بين الرجل والمرأة، والمُحرِّك الأساسي لكل ما يتعلق بهما: الحب، والزواج.






9 789774 279072

الدار المصرية اللبنانية

يخرب بيت الحب

شكرًا لكل من عاونني في هذا الكتاب، خصوصًا سكرتيرتي الآنسة/ أمنية فرحات، التي أعدت هذا الكتاب على الكمبيوتر.

رجب، أحمد.
يخرب بيت الحب / أحمد رجب .- ط3.-
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2014.
264 ص؛ 20 سم.
تدمك: 2 - 907 - 427 - 977 - 978
1- الأهاجي والفكاهات العربية.
أ- العنوان 817
رقم الإيداع: 5525 /2014

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة.
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص. ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www. almasriah.com

الطبعة الأولى: جماد آخر 1435 هـ - أبريل 2014م
الطبعة الثانية: يونيو 2014م
الطبعة الثالثة: يوليو 2014م

أحمد رجب

يخرب بيت الحب

الدار المصرية اللبنانية

الى حبيبتي التي اعطتني
من الحب بغير حساب ولم
تنتظر مني حبا بقدر ما أعطت
الى امي

احمد

مقدمة

(صحيفة سوابق الحب)

الحب جميل، وشرير خطر عندما يتنمر، الحب نعيم، وهو الجحيم إذا غضب.

الحب أحلام نحيا في رؤاها والويل عندما تصبح الرؤى أشباحًا تطاردك في الصحو والمنام.

الحب صديق يبدو مخلصًا غير أنه لا يعرف الوفاء ولا حسن الخلق.

الحب وادع وطيب يحنو ويسعد ولا تعرف متى ينقلب إلى وحشٍ يفترس.

الحب هادئ؟ مجنون؟ أحمق؟ ملاك؟ شيطان؟

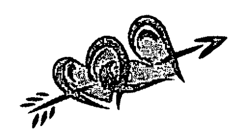
الحب هو هذا كله، وهذا الكتاب قد يكون علاجًا لمرض لا علاج له.

الغيرة

ليس صحيحًا أن انجذاب المرأة إلى الرجل أو ارتباطها به يرجع إلى الاعتبارات العاطفية وحدها، فالاقتصاد كما في السياسة يلعب دورًا رئيسيًّا في الحب واختيار الزوج لأن المرأة تقودها عواطفها وحساباتها الدقيقة بعكس الرجل الذي ينقاد خلف نوازعه الحسية، ولا تقل إننا في عصر مادي، فكل العصور كذلك، فمنذ مئات السنين أبرزت ستّي دور الاقتصاد في الحب فقالت في أمثالها: «افتح جيبك ينستر عيبك»، وهي التي تحسَّرت بعد زواجها حسرة اقتصادية عبرت عنها بقولها: «عازبة عدس متجوزة عدس»، وهي التي سخرت من العجز الاقتصادي لجارتها فقالت: «الست والجارية على صحن بسارية».

والغيرة عند الرجل مبعثها الحب أو الرغبة في الاستئثار بأنثاه، بينما الغيرة عند المرأة يغلب عليها الدافع الاقتصادي، فالمرأة عديمة الثقة بالرجل وإن تظاهرت بغير ذلك لأنها تعرف من تجربتها معه أن أي امرأة أخرى يمكن أن تضحك عليه مثلما ضحكت هي عليه من قبل، فهي تشعر بالخطر أو التهديد الاقتصادي إذا نافستها امرأة في حب رجلها، إن المرأة بنَّاءة بفطرتها، وهي تبني العش وتربي الأولاد، وهي صاحبة الفضل في اختراع علم الاقتصاد، فالاقتصاد في اللغة اليونانية معناه فن إدارة البيت، والرجل يعجز عن إدارة البيت ولو كان يحمل عشرين دكتوراه في الاقتصاد، وعندما تشتعل المرأة غيرة من امرأة أخرى فهو إحساس بالتحفز للدفاع الاقتصادي عن كيان البيت، وهذا يفسر تصرفات المرأة ابتداءً من تفتيش جيوبه ليلًا إلى تعقُّب الخط البياني لدخل الزوج إلى محاولات الخنصرة عملًا بنظرية «قصقصي طيرك» أو بالمثل القائل: «شعرة من جلد الخنزير مكسب» (معروف طبعًا مَنْ هو الخنزير).

وللإيقـاع بالرجل لجأت المرأة إلى أسـلحة معاونة للأنوثة كسـلاح الحرب الكيماويـة التـي اسـتخدمت فيها المسـاحيق والعطور، فسـقط رجال وتم أسـر الملاييـن منهم في المعتقلات الزوجية، والمرأة تعرف أن حرب الإيقاع بالرجل سـلاح ذو حدين، وأن امرأة أخرى قد تسـتعمل وسائل أشد تأثيرًا وفتكًا، ولذلك لا تثق المرأة في الرجل بمليم، وقد أوضحت ستي ذلك فوصفت «ريالة» الرجل أمام المرأة بكلمتها المأثورة في الأمثال: «العايز أهبل».



وفسد الحب!

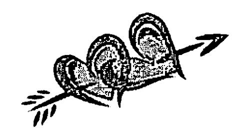
سوء التغذية من أمراض الحب بعد الزواج، فالحب يتغذى على الكلمة الحلوة واللفتة الطيبة واللمسة الدافئة، لكن للأسف يظل كل من الرجل والمرأة يتضرع إلى الله أن يساعده في إيجاد شريك الحياة عن طريق الحب، فإذا وجد الشريك تضرَّع إلى الله أن يساعده أكثر.

فالحياة الزوجية عندنا عمومًا تفتقد التغذية العاطفية، والطرفان يتحمَّلان مسئولية تجويع الحب وموته، وإذا كان الرجل مثلًا لا يُكلِّف نفسه بأن يهمس إليها من وقتٍ لآخر بكلمة أحبك، فمن الإنصاف أن يُقال إن الزوجة لا تشجع زوجها على ذلك في أغلب الأحوال، فهي قد تركت نفسها لتراكم اللحم والشحم، ومن العسير أن يقول لها: «بحبك يا دبدوبة»، أو كما قال الشاعر معبرًا عن ضخامة جسم حبيبته من تراكم اللحم والشحم: «يدور عليك عند الصبح قلبي فيفرغ منك في وقت الغروب»!

ويُقال إن زوجًا حاول - رغم الانفجار اللحمي لزوجته - أن يكون رومانسيًّا، فكان يهديها وردة من وقت لآخر، واكتشف أنها كانت تأكل حتى الوردة. ولعل من عوامل سوء التغذية للحب دخول التلفزيون طرفًا مؤثرًا في الأسرة فقضى تمامًا على الحديث والحوار والتواصل بين أفراد الأسرة جميعًا لا بين الزوجة والزوج فقط، ولا يجب أن ننسى أن الأزواج رحبوا بدخول التلفزيون في حياة الأسرة لأنه يلائم تمامًا حالة الخرَس المنزلي التي يُصاب بها الزوج بعد الزواج.

ومن أمراض الحب بعد الزواج أن كلًّا من الطرفين لا يُدرك المظاهر أو السمات الخارجية الخاصة بالنوبات النفسية عند الطرف الآخر كاستعداده

للحديث، أو رغبته في الانفراد بنفسه أو جنوحه إلى الانطلاق والمرح، وعدم إدراك هذه السمات يجعل كلًّا من الزوجين جهاز إرسال واستقبال سيئًا بالنسبة للآخر، وإذا أضفنا إلى هذا كله جفاف الحياة الزوجية من الكلمة الحلوة واللمسة الحانية فإننا نجد الرجل في النهاية يمارس حقوقه الزوجية وهو أقرب إلى شخص مغتصب منه إلى زوجٍ محب، فلا تملك الزوجة إلا أن تردد في سرها دعاءً واحدًا: «روح ربنا يهد حيلك».



.. والخجل

المرأة تُعجب بالرجل الجريء الذي يقتحم حياتها برومانسية لا بالقوة طبعًا، فالرجل الخجول يتعب المرأة لأنه يضطرها إلى المبادرة وهو أمر يشق عليها، فهو الذي يجب أن يُبادر بالسلام وبالكلام فالموعد فاللقاء، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي، ولم نسمع مثلًا عن واحدة بادرت بالقبلة الأولى فقاوم هو مقاومة شديدة وغضب بسلامته، فالطريق إليها هو نفس طريق القبلة، في المرة الأولى هي تُفاجأ بها وتعترض، وفي المرة الثانية تغضب، وفي المرة الثالثة تسكت، وفي المرة الرابعة تنتظرها.

إن العاشق الخجول قد ينتهي به الأمر إلى أن يَقنع بالحب من طرفٍ واحدٍ، وهو أردأ أنواع الحب؛ فالهمسة تحتاج إلى اثنين، والنظرة تحتاج إلى اثنين، والقبلة تحتاج إلى اثنين، والهمسة والنظرة والقبلة هي أبرز سمات الحب التي ترمز إلى المشاركة، والحب من طرف واحد ضد طبيعة الأشياء، بدليل أنه لا يوجد زواج من طرف واحد، بل لا بد من طرفين لأن الخناق يحتاج إلى اثنين!

ولا تصدق الأغاني التي تقول إن: الحب من غير أمل أسمى معاني الغرام، الصحيح أن الحب من غير أمل هو أسوأ معاني الغرام؛ فالحب من طرف واحد - بكل ما فيه من حرمان - قد يصلح للسينما والأغاني ولكنه لا يصلح لحياة إنسان أو كبرياء رجل، وقد يكون خوف الرجل من المرأة هو عين العقل عند أهل الحكمة، ولكنني لا أعرف ما الذي يمنع شابًّا من التودُّد إلى فتاة يحبها ويود الاقتران بها، فهي بالقطع لا تضرب ولا تعض (إلا بعد الزواج)، وأعرف شابًّا ظل يكبت عواطفه تجاه فتاة هام بها حُبًّا، وبعد زمنٍ طال استبدَّ به الغرام، وقرر أن يُغامر فأمسك بسماعة التليفون وكانت أول كلمة قالها: «تتجوزيني؟»، فقالت الفتاة: «أيوه.. مين بيتكلم؟».

سي السيد

المرأة تحب الرجل القوي، فالأنثى الجميلة - وهي غير الأنثى الزعيمة - تبحث عن أفضل الوسائل التي تُبقي الرجل إلى جانبها، ومن هذه الوسائل أن تُشعره بالتفوق والقوة، والمرأة والرجل يدخلان - من أول يوم - معركة غير منظورة، يسعى كل منهما خلالها لإثبات قوته، وهي معركة تتمنى المرأة من أعماقها أن تنهزم فيها، فهي في النهاية تريد رجلًا قويًّا تحتمي به، وهي في النهاية تعرف أنها سوف تملك الرجل وما يملك الرجل، وقيل في ذلك إن النساء في كل بلد يسيطرن على تسعين في المائة من ثروة البلاد، أما العشرة في المائة الباقية فيسيطر عليها العزاب.

لكن لا أنت ولا غيرك تستطيع أن تملك امرأة إلا بالحب، فالمرأة تمنح حبها لمن تشاء، وهي تمنح الرجل مع هذا كل ملحقات الحب: احترامها لك وكلمتك المسموعة وسلطانك عليها، فأنت لا تستطيع أن تكون سي السيد إلا برضاها، والإهانة والوقاحة واستعمال القوة معها لن تدخلك أبدًا في عداد الأقوياء، بل الأرجح أنها ستدخلك في إحصائية الوفيات بالسم.

والرجولة الحقيقية فروسية وأخلاق، ويعيب المرأة أنها ليست رجلًا لأنها تفتقر إلى فروسية الرجل، وليس من الفروسية أن تُرغِم امرأةً على أن تعيش معك بغير رضاها. إن المرأة تحتمل إذا كان سبب المتاعب حبًّا قويًّا مشتركًا، وهي تتغاضى عمَّا يجرح كبرياءها لأن الحب يغفر كثيرًا كثيرًا، والكرامة والكبرياء - في ذروة الحب - تكونان في حالة غيبوبة عند العشاق، ولكن احترس من انحسار الحب، فالويل للرجل عندما تفيق المرأة من خدر الهوى على كبرياء جريحة ومشاعر تمزقت.

الحرب

الحب كالحرب: إستراتيجية وتكتيك ومناورات وخطط هجوم ودفاع.

والحب كالحرب: مسرح نشاطه الظلام في اللقاءات والهمسات والتليفونات، وفي الحب يفعل الرجل ما يفعله المحاربون، فيتقدم إلى مواقع العدو تحت ستارٍ من الدخان، وعود وعهود وكلام.

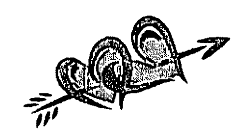
والحب كالحرب: زحف لاحتلال المواقع الإستراتيجية كالقلب والعقل والأعصاب والمحفظة.

وفي الحب كما في الحرب: ويل للمغلوب، وأنت مغلوبٌ إذا اخترت أصعب أنواع النساء: فتاة مصابة بأحلام الزعامة النسائية ضد الرجل وظلم الرجل وجبروت الرجل، وتقول الدراسة النفسية الحديثة إن الزعيمة النسائية هي غالبا امرأة ترفض أنوثتها في عقلها الباطن وتحسد الرجل لأنه ولد رجلًا، وإنها تعتبر دورها في الحياة مجلبًا للمهانة، ولذلك تسعى إلى الزواج من رجل طيِّع يحقق لها الشعور بالسيطرة والتفوق، انتهى كلام علماء النفس فنشاطركم الهوان.

وأعرف زعيمات رفضن لبس الدِّبلة باعتبارها في الأصل قيدًا رجاليًا، والزعيمة هنا تغالط، صحيح أن الدبلة بدأت في القديم أسورة معدنية حول معصم المرأة أو ساقها للإعلان عن تبعيتها لرجلٍ معين، لكن الدبلة أصبحت فيما بعد قيدًا متبادلًا يوضع حول الإصبع الرابعة، حيث اعتقدوا قديمًا أن هذه الإصبع بها شريان متصل بالقلب مباشرة، ولو ظهرت الزعيمات النسائيات في تلك الفترة المبكرة من التاريخ لوضعن الدبلة حول عنق الرجل وأوصلنها بسلسلة كلاب، أما أصل كلمة الدبلة، فيقال في اللغة العربية: دَبَل الشيءَ، أي

أصلحه، وربما قصدوا أن الإنسـان يُصلح مسـار حياته بلبس الدبلة والاسـتقرار على شريكة الحياة، لكن الغريب حقًّا ما جاء في قاموس مختار الصِّحاح بالنص والحرف: «يُقال رجل دبلته الدبلة أي أصابته داهية عظيمة»!

وليـس صحيحًـا أن الدبلة تنتقل من اليد اليمنى إلى اليد اليسـرى بعد الزواج لتكـون ناحيـة القلـب، الصحيـح أن نقل الدبلة بعـد الزواج ينطـوي على حكمة عظيمـة، ذلـك أن اليد اليمنى هي التي يسـتخدمها الإنسـان اسـتخدامًا رئيسـيًّا، والتشـابك بالأيـدي بعد الـزواج فيه خطر كبيـر على وجه الاثنيـن، خصوصًا إذا كانت الدبلة من الألماظ، ولهذا وضعوها في اليد اليسرى.



... الأخريات؟

المرأة لديها شعور دائم بعدم الأمان، وهي لا تثق في الرجل أبدًا مهما أبدى لها من إخلاص، إن المرأة - منذ صباها المبكر - تتعرض لعملية غسيل مخ من الجدة ومن الأم حيث تتلقى النصائح التي تصور الرجل كمخلوق ينبغي الاحتراز منه وعدم الثقة فيه. الشيء الغريب أن ما تنهى الأم ابنتها عن فعله يمثل أجمل ذكريات الأم أيام الشباب!

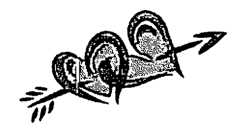
والأمن النفسي مهدد دائمًا عند المرأة، ليس فقط لانعدام الثقة بالرجل ولكن لأن هناك دائمًا في هواجسها امرأة مجهولة سوف تستولي على رجلها، حتى وهي في عز الأمان مع رجلها تشعر بعدم الأمان، تخشى أن يفك ذراعيه من حولها ويذهب إلى الأخرى، وتخشى الساعات التي يغيب فيها عنها وإذا عاد سعيدًا إلى البيت انقبض صدرها فربما كان يقضي وقتًا طيبًا مع المرأة المجهولة، وإذا عاد مكتئبًا فاللقاء مع غريمتها المجهولة لم يكن ناجحًا.

والمرأة ليست في حربٍ دائمةٍ مع الرجل بقدر ما هي في حربٍ ضروسٍ - على رأي فقهاء اللغة - مع الأخريات، فهي تتزين لتجتذب الرجل منهن وتُزوِّر في سنها وتضيف إلى سن الأخريات حتى توهمه بأنها الأصغر والأجمل والأرق والأكثر شبابًا، والبيضاء تكيد للسمراء زهوًا ببياضها، والسمراء ترد عليها بالمثل الشعبي: «الفلفل بالوقة والجير بالقنطار»، والبيضاء تستعمل نفس الأمثال فترد: «خُنفسة وعاملة سِت النِّسا».

ومشكلة المرأة الأولى أنه ليس هناك ميثاق شرف بين النساء بعدم خطف الرجال من بعضهن، لكن هناك لعنات نسائية فوق رأس الرجل إذا تزوج من

أخـرى، مـع أن الرجـل مظلوم لأنه وُلِد بـلا مقاومة ولا مناعة أمـام إغراء الأنوثة والجمـال، وأمـام مخلوقـات فاتنة تعامـل بعضها بعضًـا بقانون خطـف الرجال حتـى بين الأخـوات، فهناك مثـل يقـول: «إن كان بختِك في حجـر أختِك خُديه واجري».

يا دي النِّيلة!



أبو لمعة

الوسـائل ممكنة غالبًا لكي تحتفظ المرأة بالـزوج إلى جوارها في البيت. إن كل رجـل - مثـلا - يحتاج إلى الشـعور بالتفـوق تجاه المرأة، وهـذا يتحقق بأن تمتـدح الزوجـة أفكاره وتنبهر من وقتٍ لآخر بأنه لـمَّـاح وذكي مهما بدت عليه مخايل الرغبة في أكل البرسيم..

والرغبـة في إبهار المرأة تدفع الرجل إلى اختلاق حكايات من ماضيه أو من محيـط العمل يقوم بدور البطل فيها، ماذا تخسـرين لـو تركتيه يقوم بدور أبو زيد الهلالـي أو رودلـف فالنتينو؟ فلا تحاولي أن تحرميه مـن دور البطل وتردِّيه إلى حجمه الحقيقي: كومبارس!

وإذا كانت الغواني يَغرُّهن الثناء، فالرجال يتعشـقون المديح، ملايين الدنانير أعطاها الخلفاء والولاة ثمنًا لقصائد مدحتهم بما ليس فيهم، لقد ثبت أن الرجل مهما كان عظيمًا لا يستطيع أن يستغني بسهولة عن شخص - مهما كان هلفوتًا- دأب علـى امتداحه ليل نهار، وهذا هوالسـبب في العاهة المسـتديمة التي نعاني منها: النفاق الإداري.

«كنت فين لحد دلوقت؟» سؤال غبي جدًّا فما من زوج سيرد قائلًا: كنت مع امرأة أخرى. الأفضل أن تقولي له: «قلقتني عليك»، هنا يشـرح لكِ بطريقةٍ ودِّيةٍ وبعيـدًا عن التوتر سـبب تأخيره، والسـؤال الأكثر غباءً تقولـه الزوجة وهي تراه يغسـل وجهه: «بتتشيك ورايح على فين؟»، فاحترسي من الأسئلة الغبية التي لن تجني من ورائها إلا الرد المتوتر وربما الوقح.

إن الرجـل ينفـر جـدًّا من إصرار الزوجة على كشـف أكاذيبـه، فكل الأزواج يكذبون لأن الكذب سـلاح الضعفاء، وإذا أردتِ ألَّا يكذب زوجكِ فلا توجهي إليه أي سؤال؛ فالرجل لا يكذب إلَّا عند الرد على أسئلة زوجته!

وللحب أعراض

كيف تعرفين أنه يحبك بصدق؟

هـذا السـؤال يحير النسـاء كثيـرًا، فالرجل عند المـرأة مشـبوه وتاريخه معها شـكوك وعـدم ثقة وحرب متصلـة منذ حادث التفاحـة، والغرام هو فتـرة الهدنة الوحيـدة في تلك الحـرب المتصلة، وبعد الغرام يسـتأنف الطرفـان الحرب في الزواج..

والمرأة معذورة لأن الرجل مهما بلغت درجة سفالته يستطيع أن يُزيف سلوكه معها فتصبح له تصرفات اللورد وأخلاق الفرسان، بل إن معظم الذين تتعلق بهم النسـاء هم الذين يتقنون المظاهر الاحتيالية.. ولا شـك أنها لحظة قاسـية عندما تكتشف المرأة أنه ضحك عليها، وأن اللورد الذي أحبته «طلع ندل».

لكن هناك مقياسًـا لا يخطيء تسـتطيع المرأة أن تقيس به صدق الحب عنده، هذا المقياس هو حنان الرجل.. والحنان غير الحب، فالحب الحقيقي يُفجِّر عند الرجـل ينبوعًـا دافئًا مـن الحنان يتمثل فـي تصرفات عفوية لا يخطئها إحسـاس المرأة. إن العاشـق يسـتطيع أن يقدم القبلة والضَّمة وهمسـة الغزل، لكن الحنان شـيء آخر، الحنان هو أن تحسـي أن الأب بداخله أو الأخ الكبير هو الذي يقدم حبـه ورعايته وحدبه وخوفه عليكِ، وهي تصرفات عفوية غير قابلة للافتعال ولا تصـدر إلا عن حب صادق وحقيقي، فالحنان هو العملة الحقيقية للحب الكبير، والحنان لا يقبل إلا تفسيرًا واحدًا وهو أنكِ تعنين عنده الكثير.

أما إهداء سـوليتير ثمين مثلًا فهو يحتمل تفسـيرات عديـدة، منها أنه يُحبكِ، ومنهـا أنـه يحاول منافسـة غريمه صاحـب الزَّلـمُكَّـة، ومنها أنه يحـاول إغراءكِ لينالكِ، وهناك مؤشر آخر لهذا السوليتير، وهو أنه سوف يقف قريبًا أمام النيابة.

الرومانسية

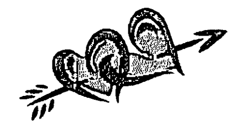
كل إنسـان يتمنى استمرار الحب إلى الأبد، لكن صعب جدًّا أن تحافظ على استمرار الحب؛ لأن الطرف الآخر لا بد أن تكون له نفس الرغبة، والبداية دائمًا رائعة ومثيرة؛ فكل طرف يدعو الطرف الآخر إلى أن يدخل معه شريكًا في المشاعر والأحلام، وكل طرف يقدم أفضل ما عنده، ثم لأمرٍ ما يختفي الأفضل عند أحد الطرفين ولا يبقى إلا الأسوأ، والأسباب لذلك كثيرة كأن تتبين هي مثلًا أنها أحبته لشخصه ثم اتضح أنه بلا مال.

وإذا كانت ظروفك معها طيبة فإن لديك ضمانًا طيبًا لاستمرار الحب، فأنت في مأمن من الحب الذي ينمو في اتجاه الفراق والانفصال عندما يحب الرجل غانية أو عندما تحب امرأة رجلًا لعوبًا، ومعظم الرجال تستهويهم الغواني، ومعظم النساء يبحثن عن كازانوفا؛ فالرجل في حواسه تفتنه الغانية، والمرأة تريد أن تزهو بانتزاع كازانوفا من الأخريات، وفي الحالتين يتجه الحب منذ بدايته إلى الانفصال.. فلا كازانوفا يكف عن الخيانة، ولا الغانية تطيق الخلاص.

واستمرار الحب يتطلب من الطرفين نموًّا متقاربًا في النضوج العاطفي والعقلي، إن رجلًا قد ينبهر بامرأة - أو العكس - ثم لا يلبث أحدهما أن يكتشف أنه أساء التقدير، ولعل أخطر اللحظات هي عندما يخلو أحدهما إلى نفسه ويبدأ في البحث عن أسباب وجيهة تبرر حبه للآخر، فالحب هو الوهم بأن إنسانًا معينًا يختلف تمامًا عن الآخرين، فتمنحه مشاعر خاصة جدًّا، واستمرار الحب مشروط بألا يُفيق أحد الطرفين من هذا الوهم قبل الآخر، وغير صحيح أن الحب يذهب فورًا مع الزواج، لكنه يظل يدافع عن

بقائه قبل أن يدركه الاستسلام وينقلب إلى صحبةٍ هادئةٍ قد تنتابها أحيانًا ثورات وأحداث تدخل في إحصائيات حوادث الأكياس.

والحب بعد الزواج يتغير بالتدريج وبلا شكل محسوس، فالعروس التي يسوقها غرامها بك إلى تقبيلك عند عودتك من الخارج سوف تصبح الزوجة التي تسوقها شكوكها إلى تقبيلك ربما تشم فيك بارفان الأخريات.



وفر نصيحتك

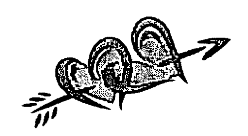
النصائح لا تجدي مع العشاق، وقديمًا قالت العرب: «ليس في الحب مشورة»؛ فالعاشق يسألك الرأي متمنيًا في سريرته أن تجاري رأيه الذي سوف ينفذه في النهاية، ورأيه هو عواطفه، فلا مكان للعقل عند العشاق. فلو أنه مثلًا لمحها مصادفة بجوار رجلٍ آخر في سيارة مرقت أمامه ثم أنكرت هي التهمة، فإن الموقف سوف ينتهي بأن يصدقها ويكذب نظارته التي ينبغي تغييرها، أو أن يقول: «سبحان الله يخلق من الشبه أربعين.. بس انتي أجمل واحدة في الأربعين»!

ونابليون لم يحب امرأة مثلما أحب جوزيفين التي كانت تخونه كما تتنفس، وكان يصدق أكاذيبها لأنه يريد أن يصدقها، فكل طرف يصدق الآخر بقدر ما يحبه، وإذا كان رصيد الحب ضخمًا يتلقى الكذبة - مهما كانت مفضوحة - بالرضا والقبول، لكنه يرفض الكذبة المتقنة إذا كان رصيد الحب لا يسمح.

ولكي تدلي بمشورتك لعاشقٍ فهذا يتطلب معرفة كل الحقائق، لكن العاشق عادة يطمس كل الحقيقة أو بعضها فيزعم مثلًا أن الخلاف نشب بينه وبينها لأنه يريد قضاء شهر العسل في البحر الأحمر وهي تريد الساحل الشمالي، بينما الحقيقة أنه تقدم لخطبتها فطرده أبوها لأنه صايع.

والعاشق - كما العاشقة - يريد كبش فداء لتغطية ضعفه وستر كبريائه، والنموذج المثالي لذلك تلك الحكاية القديمة عن الرجل الذي ضبطها جالسة على كنبة إلى جوار رجل يقبلها فثار وهاج وماج وأقسم أن يبيع الكنبة.

لكـن هنـاك فارقًا جوهريًا بين الرجل والمرأة فـي التعامل مع هذه الأكاذيب، فالرجـل العاشـق - حتى ولـو كان نابليون - يسـمع الأكاذيب ويحـاول أن يقنع نفسـه بصحتها بينما المرأة تسـمع الأكاذيب وتختزنها إلى اليـوم الذي تختار فيه موعد المعركة الفاصلة، وهذا الموعد يتحدد عندما تبدأ تفكر في اسـتعمال آخر لكيس الزبالة.



الاسترجال

العلاقة بين الرجل والمرأة في العالم كله أصبحت تتسم بالعنف والاستفزاز والتحدي من الطرفين، هذا في رأيي نتيجة لتحرير المرأة أو تحررها ومقاومة الرجل لهذا التحرر وإصرار المرأة عليه وواضح - عالميًّا - أن المرأة استرجلت، حتى شكلها الأنثوي تغيَّر، انتشرت في العالم محلات اليونيسكس التي تبيع نفس الملابس للجنسين ففقدت المرأة مظهر الأنوثة وجمالها، انظر إلى نساء العشرينيات تجد الوجه والشعر والملابس والميك أب تحمل جميعًا سمات الأنوثة الطاغية، وانظر إلى المرأة العصرية بشعرها المنكوش كرأس المجنونة والبنطلون الجينز الجربان والقميص والبلوفر الرجالي والحذاء الكاوتش المعفن.

يا خسارة! بل إن بيوت الأزياء نافقت المرأة في تحديها للرجل فألبستها بنطلون سهرة مع بلوزة ببابيون، وضاع الجمال مع الاسترجال، ثم تأمل المرأة زمان وكيف كانت الكحلة في عينها بسيطة وشديدة السحر، ثم كيف شلفطت وجهها الآن بالماسكارا أو المسخرة، فأصبح كوجه مهرج السيرك، وابتدع لها تجار الموضة هالات سوداء ترسمها حول عينيها وكأنها مضروبة بوكسين، لقد رسموا لها وجهها على هذه الصورة المضحكة اقتباسًا من الرسومات التي كانت تضعها القبائل البدائية على وجوهها استعدادًا للحرب، وهي بالفعل أصبحت في حالة حرب، والعدو هو الرجل، والنتيجة الانتصار عليه دائمًا: تقطيعه وتعبئته في أكياس بلاستيك.

وحتى المساحيق والعطور كانت تحمل زمان أسماءً شاعرية جميلة. روج اسمه: قبلة. عطر اسمه: حلم المساء، وآخر: إني عائدة، وثالث: غموض. ورابع:

ليرانتيم أي ساعة أنتيم مع المحبوب.. فماذا جرى في عصر النساء الحديديات؟ أصبح الروج يحمل أسماء النار، جهنم، بصمة الشيطان، اللدغة، الصاعقة، أو الضربة المستعجلة، وتحولت أسماء العطور إلى ماجريف أي مخلبي، وأوبيوم: أفيون، وشوكنج: صدمة، أما آخر صيحة ابتكرها ديور لعصر النساء الحديديات فهو عطر اسمه: بوازون أي سم، فكأن المرأة تريد أن تسطل الرجل بالأفيون وتنشب فيه مخالبها وتسقيه السم الزُّعاف، ولقد احتفل بيت ديور بتدشين هذا العطر في حفلة كبرى تحدثت عنها الصحف وقيل فيها إن هذا السم استغرق تحضيره سبع سنوات، وهو ذو رائحة نفاذة جدًّا وله مفعول سم الصراصير، حيث يسقط الرجل من طوله وينقلب على ظهره ويظل يدور كالصرصار في طلوع الروح، وإذا استمر هذا العنف بين المرأة والرجل فلنا أن نتوقع عطرًا جديدًا تقدمه باريس اسمه: مامير لاجولا، أي أمنا الغولة.



الغواني

الكلمـات المأثـورة التـي قيلت فـي المرأة كلمـات بلا حصر، ومـا قيل عن خيانتهـا كثيـر، وبعضه من أقوال المرأة نفسـها، مثل تلك التـي قالت: «يكفي أن تخلصي للرجل وأنتِ في حضنه؛ فهو لا يستحق أكثر من ذلك»، والأخرى التي قالت: «تهب المرأة نفسها لله عندما يستغني الشيطان عن خدماتها».

هل المرأة خائنة حقًّا؟ إن المرأة إذا أحبت لا تخون، وحبها هو كلمة شـرف بالإخـلاص للرجـل الذي تحبه، وهـي تحترم هذه الكلمة بلا جهـد ولا افتعال، فالحـب الحقيقـي يرتفع بها فوق الحـواس والنزوات، والكلمـات المأثورة عن خيانة المرأة كلمات غير منصفة. الرجل يصرخ من خيانة المرأة ليس لأن الخيانة طبع فيها ولكن لأن الرجل يفضل المرأة المتخصصة في الخيانة، فيجري خلف الغانيـة والمحظيـة والشـخلوعة، وفي الزمن الغابر كان الرجل يُشـعل سـيجارة الشـخلوعة في الكباريه بورقة من فئة المائـة جنيه، ولا يزال الرجل يضع النقوط بالألوف على صدر الشـخلوعة، فالشـخلوعة هي الرغبة الأولى عند الرجل من الأزل إلـى الأبد، ومن عصر هارون الرشـيد ومحظياته إلـى عصر فضائح وزراء الإنجليز مع بغايا لندن، وسـوف يظل الرجل كذلك لأنه يجري خلف حواسـه، فمن أكبر بلاوي الرجل أنه لا يهجر الرذائل إلَّا لأسباب صحية.

ولـم يعرف التاريـخ رجلًا أغدق على امرأة فاضلة بقـدر ما أغدق على غانية لعـوب، فالغانيـة لهـا الحظوة والحـظ دائمًا لأن الرجـل مغفل مرتيـن: مرة لأنه اختارهـا بحواسـه وليس بمشـاعره، ومرة لأنـه يتوقع منها الإخلاص، فليسـت الخيانـة عاهة مسـتديمة في المرأة، بـل العاهة في الرجل، ومـن الأزل إلى الأبد والرجل يمشـي بين النسـاء بهذه العاهة دون أن يجد مَنْ يحميه من الغواني؛ لأن القانون لا يحمي المغفلين.

الترويض

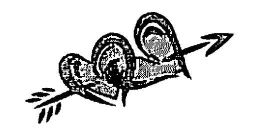
إن تأثير المرأة على الرجل أمر لا جدال فيه، فشخصية الرجل تختلف وتتشكل وتتغير باختلاف موقعه من المرأة، فإذا كان بعيدًا عنها - في العمل مثلًا - اتخذت تصرفاته سمات خاصة، وإذا كان أمامها تشكَّلت شخصيته أمامها حسب العلاقة، فإذا جلس مع امرأة لا يعرفها اتخذ مظهرًا معينًا، وإذا كان يعرفها اتخذ مظهرًا آخر، ولو كانت حبيبته أو خطيبته كان له شخصية ثالثة، وإذا كانت زوجته اتخذ شخصية رابعة، وغالبًا في هذه الحالة لا تكون له أي شخصية.

وتأثير المرأة على الرجل يمتد أيضًا إلى النواحي الفسيولوجية، فالرجل عندما يلتقي بحبيبته فجأة تحدث له عمليات كيميائية تشترك فيها الغدد والجهاز العصبي وانقباضات في المعدة وتقلصات في المصران الغليظ وارتفاع ضغط الدم، أما إذا أصبح زوجًا فالأعراض التي تلازمه على طول فهي ارتفاع ضغط الدم..

إن هتلر بعيدًا عن إيفا براون كان سفاحًا رهيبًا ومجنونًا يتعطش للدماء، لكن هتلر مع إيفا براون كان يتحول إلى كلب كنيش وادع، فكل جبابرة العالم لهم صورة أخرى أمام المرأة، والمرأة وحدها هي التي ترى في الرجل العاشق ما لا يراه باقي الناس، ومن ستر ربنا أن المرأة لا تتمتع بروح الفكاهة أو السخرية وإلا كانت فطست من الضحك على هبالة الرجل أمامها.

والرجل - مهما بلغ من قوة - في حاجة إلى حب امرأة، والحب ليس اكتئابًا وعذابًا وحربًا بين شخصين، لكنه بهجة تضيء الدنيا يتخللها ألم جميل

ومطلوب، وفي الحب يُستحب كثيرًا أن يرى الرجل المرأة مخلوقًا رقيقًا تنبغي معاملتـه بلا مقاومة، ولأن المرأة تعرف أن الرجل «يتشـندل» حاله أمام أي امرأة جميلة، فهي تغار وتخاف من باقي النساء على الرجل الذي تحبه، ذلك أن الرجل شديد الولع لأن يلعب بذيله ولهذا لم يُخلق بذيل..



اغتيال الحب

يُصاب الإنسان بعمى الألوان، فلا يميز بين الأحمر والأخضر، ويداهمه الحب فيُصاب بعمى الأشخاص، فلا يميز إطلاقًا؛ إذ يرى الغانية ملاكًا، وأم سحلول مارلين مونرو، بينما ترى هي النذل فارسًا باهرًا قادمًا من زمن النبلاء!

ويمتد عمى الأشخاص إلى المحيطين بالعاشق، فيرى اللائم متآمرًا، والناصح عدوًّا، وهو يرفض أن يقوم الناس بدور العدسات اللاصقة ليكشفوا له الحقيقة، ولهذا تحفل أغاني الحب بلعن سنسفيل اللائمين والعواذل، ولا تتوقف لعنات كل عاشق وعاشقة على مدى الزمان؛ إذ ينتقلان إلى مرحلة جديدة فيبدأ كل منهما يلعن الآخر في بيت الزوجية.

فالحب يؤثر على القوى العقلية وعلى أعصاب البصر والبصيرة وعلى ملكات الإدراك والتمييز بدليل أنه يدفع الإنسان إلى الانتحار أحيانًا وإلى الزواج أيضًا.

وكم من عاشقٍ أفاق ليكتشف أنه ارتبط بالشخص الخطأ، لكن لا ينبغي في كل الأحوال أن نُحمِّل الطرف الآخر مسئولية اغتيال الحب.. هي أيضًا ممكن أن تكون قد اكتشفت أنها ارتبطت بالشخص الخطأ، إن الحب - شئنا أم أبينا - عبارة عن اثنين يتلاقيان ويوقعان ضمنيًّا عقد خداع يتعهد فيه كل طرف أن يخدع الآخر بالوهم الجميل، والطرف الذي يكتشف الخداع أولًا.. من حقه أن يفسخ العقد أو يقبل الهوان «أو ضربة الساطور إن كان زوجًا».

اللغز

من قديم الزمان والفلاسفة والكُتَّاب يُوحون إلى الرجل بأن حواء لغز عظيم، ويحاولون أن يرسموا الخرائط لتوضيح تلك القارة المجهولة الغامضة الشهيرة بالمرأة، ويزعمون لأنفسهم حقًّا كهنوتيًا في فهم وتفسير ذلك اللغز، وعلى كثرة الخرائط التي رسموها لعالم المرأة فلا يمكن الاعتماد عليهم ولا الثقة بخرائطهم؛ لأن هؤلاء الفلاسفة والكتاب ينقسمون إلى ناس متزوجين وناس عليهم نفقة ومؤخر، وبين المتزوجين مَنْ يرفع صوته ويده في البيت باعتباره السلطان وهي الجارية، ومنهم من يرفع يده فقط كسقراط لصد شباشب زوجته مدام زينتيب.

ولا يمكن طبعًا أن ننتظر تحليلًا مُنصفًا للمرأة من مفكرٍ يعتبر نفسه سي السيد، أو مفكرٍ تملأ وجهه الكدمات مثل سقراط، أو مفكرٍ سيئ الحظ مع النساء كلَّما أحب واحدة اختتم قصة حبه بالعبارة المأثورة: «لا تكذبي إني رأيتكما معًا»..

وشيء طبيعي أن تتباين تفسيرات المفكرين وتعطينا في النهاية صورة لكائن حارت في فهمه البرية، مع أن الأمر أبسط من كل هذا التعقيد؛ فالمرأة تعرف ماذا تريد من الرجل في الزمن الطويل، ولديها خطة جاهزة لذلك، بينما الرجل لا يعرف ماذا يريد من المرأة إلا وقتيًا؛ ذلك أن المرأة تفكر في عواطفها ومصالحها بذكاءٍ، والرجل يفكر بحواسه، وفرق كبير بين ذكاء التخطيط وبلاهة الحواس، والأبله يرى الذكي دائمًا لغزًا محيرًا.

والمرأة واضحة في كل تصرفاتها، ولعل أبلغ دليل على ذلك هو أنها لا تستطيع أن تحفظ سرًّا، وإذا أحبتك امرأة فأنت تستطيع أن تستغني عن كل القواميس والمراجع التي اخترعوها لفهم المرأة إذا أعطيتها شيئين: حبًّا كثيرًا وفلوسًا أكثر..

إذن أنت زوج

مـن الصعب تعريف الزواج، لكن يمكنك أن تأخذ فكرة طيبة عن الزواج من سلسلة المواقف الزوجية التالية:

1- رجـل بملابـس الخروج، يروح ويغـدو داخل البيت ناظرًا إلى سـاعته.. وامرأة أمام مرآة الزينة ترسم حواجبها..

2- امـرأة لا تعلـم أنـه يطلـق عليها بيـن أصدقائه اسـم: المجنونـة.. ورجل لا يعلم أن اسمه السري بين صديقاتها: الهباب..

3- رجـل يصيـح بسـبب زرار مقطـوع وامـرأة تلعـن العيشـة لأنهـا لا تجد زرارًا من نفس النوع..

4- رجل يقرأ في الفراش.. وامرأة لا تستطيع أن تنام بسبب نور الأباجورة..

5- رجل من المعتقد أنه خائن.. وامرأة تبحث عن دليلٍ على خيانته..

6- رجل لا يتذكر عيد ميلادها.. وامرأة تبكي في بيت أمها.

7- رجـل يقـوم نهارًا بجمـع الفلوس في محفظتـه.. وامرأة تتسـلل ليلًا إلى المحفظة..

8- رجل يحلف.. وامرأة لا تصدقه..

9- امرأة تتكلم.. ورجل يتظاهر بالإنصات..

10- رجل يناقشها وامرأة تناقشه والجيران يسمعون..

المفاتن

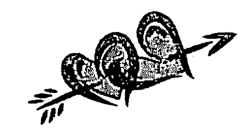
الرجل يعشـق في المرأة جمالها أولًا وأخيرًا، ولا يعيب الرجل أن الله خلقه عاشقًا للجمال، ولا يعيب الأخطل الصغير أن يقول: «إن عشِقنا فعذرنا.. أنَّ في وجهنا نظر».

فالمرأة هي النبع الدافئ لأروع إبداعات الشعر والأدب والفن، وخوالد الفن التشـكيلي اتخذت من الجمال الأنثوي مادة وإلهامًا، وكل شـيء جميل يُنسـب إلى المرأة: الحلوى اللذيذة الشهيرة أطلقوا عليها صوابع الست، وزهرة أسموها السـت المسـتحية، ونبات له زهرة جميلة أطلق عليها الإنجليز اسم: قرص شهد السـت، حتى شبشـب الهنا الذي تلبسـه السـت أطلقوا اسـمه على زهرة: ليديز سليبر!

والمرأة تعرف أن الجمال هو أهم ما يحفل به الرجل، ولذلك فكل سـنتيمتر من قمة رأسها إلى أصابع قدميها مصروف عليه الشيء الفلاني: الشعر له ميزانية كبـرى، والحواجب لها قلم مخصـوص، والرموش لها ماسـكارا، والجفون لها ملونات، والفم له روج، والبشرة لها بودرة ومعاجين، والعنق، والأذن، واليد لها جواهرجي يُرصِّعها، وشـركات مسـتحضرات وبيوت أزياء تتعامل في مليارات الـدولارات مهمتهـا تجميل المرأة فـي عين الرجل، وإنتاج الأسـلحة الكيماوية للبطش به وبينها شوكنج وسوفاج وبويزون أي السم الهاري.

والـذي يقلب قصائد جرير وبايرون وشـوقي وكيتس وناجـي ومارلو وعلي محمود طه وبيرنز وغيرهم، سوف يقرأ عن عيونٍ في طرفها حَوَر، وقوامٍ ميَّاسٍ، وشـفاهٍ كجمر النار، وجيدٍ أغيد، ونهودٍ رجراجة، ولن يجد شـاعرًا واحدًا قديمًا

أو حديثًا يتغنَّى بجمال عقل المرأة وحلاوة تفكيرها وسحر حكمتها، فالرجل يسقط صريع هواها دون أن يهمه إن كانت راسبة إعدادية أو تحمل دكتوراه، وهو يُوقِّع على عقد الزواج دون أن يعنيه أنها ناقصة عقل، المهم ألا تكون ناقصة جمال، فنقص العقل لا يجعل العقل معيبًا، والجمال يغفر كل شيء، فإذا كانت بلهاء فالهبل هنا اسمه طيبة قلب، وإذا كانت جاهلة فهي قطة مغمضة، وإذا كانت خبيثة التفكير فهي شعلة ذكاء، ومع ذلك فالناس أذواق، وهناك مَنْ لا يفضلونها جميلة، وأعرف رجلًا يحب امرأة شديدة الشبه بإسماعيل ياسين، مع فارقٍ واحدٍ هو أن إسماعيل ياسين من غير شنب!



الملل

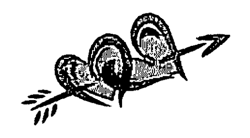
لا يمكـن اتهام المرأة بأنها السـبب فـي الملل، فهي تحب التغيير المسـتمر: تغير فسـتانها كل سـاعة، وتغير تسريحة شعرها خمسـين مرة، وتغير لونه سبعين مـرة، وتغير رسـم حواجبها ثمانين مـرة، وتغير لون الروج مائة مـرة، وتغير رأيها ألف مرة.

بينما الرجل روتيني جدًّا، يحتفظ بعادات محنطة، فلا يغير مواعيده، ولا يغير تسـريحة شـعره، ولا يغير النكت التي يرويهـا للضيوف وتسـمعها زوجته للمرة المليـون، ولا يحـاول - بعكـس المرأة - أن يجدد في شـكله أبـدًا حتى أن امرأة حسـدت صديقتهـا المتزوجـة من ملاكم لأنه فـي كل مرة يعود إلـى البيت يظهر بوجه مختلف تمامًا.

والرجـل محدِّث رديء مع زوجته، لكنه يصبح عـذب الحديث مع زوجات الآخرين، وهو عمومًا مخلوق مزعج، إذا سَـلِمَ لسـانه مـن الخرَس المنزلي كان حديثـه الدائم لزوجته عـن مديره الحمار وكيف أنه أحق منـه بإدارة العمل، وهو غير مُسَـلٍّ بالمرة؛ لأنه يستهلك التسلية ولا يقدمها، فهو مثلًا لا يُتقن النميمة ولا يـروي الأخبار بالتفاصيل الواجبة؛ إذ يكتفـي - مثلًا - بأن يخبر زوجته بأن فلانًا طلَّـق زوجته، أما لماذا طلقهـا؟ فهذا ما يجهله كما أنه لا يعنيه، وهذا يمثل تعذيبًا غيـر مقبـول لزوجته، فليس أشـقى من امرأة تعـرف ليلًا أن فلانة قـد طُلِّقت ولا تعرف السبب إلا صباح اليوم التالي.

والمـرأة تُغيِّـر وتُبدِّل من وضع الأثـاث وتضيف وتحذف فـي الديكور لأنها تحب أن ترى كل شـيء جديدًا أو متجددًا، هي تكره الجمود والروتين والنمطية

بينما هو يرتاح إلى الوتيرة الواحدة والهيئة الواحدة والشكل الواحد، ويروى في ذلك أن زوجة همست في أذن صديقتها تسألها: أرى في زوجك شيئًا قد تغير، هل غيَّر تسريحة شعره؟ هل حلق شاربه؟ هل غيَّر طريقة لبسه؟ ما الذي تغير فيه؟ فأجابت الزوجة: أنا غيرته كله.. هذا زوجي الجديد.



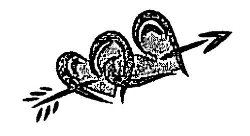
الجنون

لا يوجد عاشـق عاقل، كل العشـاق مجانين، والحب يشترك في أعراضه مع كافة الأمراض العقلية والنفسـية ابتداءً من الهلاوس إلى الهيستريا إلى الوسواس القهـري إلـى البارانويـا إلـى الملانكوليـا، وكمـا ينتهي جنـون الاكتئـاب أحيانًا بالانتحـار، ينتهي جنون الحـب أحيانًا بالزواج، فكلٌّ من الفعلين لا يأتيه إنسـانٌ عاقلٌ.

والحب حالة جنون لذيذ، وأسـهل عبارةٍ يُترجم بها العاشق مشاعره: «بحبك بجنون»، وقيس أمير العشـاق اسـمه: المجنون، وأشـعار الحب حافلة بالجنون. كامل الشـناوي يقـول: «فأنا صنعتُـكِ من هوَايَ ومـن جنوني.. ولقـد برئتُ من الهَـوى ومن الجنـونِ»، وآخر يقـول: «جُننَّا بلَيلَى وليلـى جُنَّـت بغَيرنَا»، وثالث يقـول: «واتركينـي بعدها للناسِ أَبلَهَ يسـألوني عـن جنوني»، والأغانـي تنقل لنا صورةً مكتملةً لجنون العاشـق: «أكلمك في سـكون الليل - واشاور لك وتابيك في خيالي - أسمع صوتك يكلمني والدنيا ساكنة حواليا - واقوم اضمك ملقاش غيـر أوهامي - واناديي اسـمك ماتـردش..» إلى آخره. نحن هنا أمام عشـاق في لوثـة الحب، واحد يعانق الهوى ليحضن طيف الحبيب، وواحد في شـبرا يشـق سـكون الليل بصوته مناديًا على حبيبته في الدقـي ويندهش لأنها لا ترد، وواحد يسمع صوتها في عز الليل فينهمك في الكلام مع نفسه ويأتي بإشارات من يديه، والمشـهد كله مورسـتاني، تُعبِّر عنـه أم كلثوم في أغنية «أنا فـي انتظارك» فتقول: «وشافوني قالوا اتجنيت»!

غيـر أن هـذا هـو أروع مـا في الحـب، إنه وحش بـلا رأس، بـل إن العقل إذا دخـل فيه أفسـده، فأحلى مـا في الحـب حماقاتـه المجنونة، وهـي حماقات قد

ترتفع بالعاشـق إلى ذُرَى السـعادة، وقد تنحرف به إلى طريق عمر مكرم، فالنعيم والجحيم وجهان لعملة واحدة هي جنون الحب، ومن الجنون الممتع في تاريخ العشاق ذلك الذي حظي به الشاب الألماني المعشوق عندما خافت عليه حبيبته مـن الأخريات فاحتفظـت به في «الفريزر» ثم بحثت عن مكان أكثر أمنًا فلم تجد إلا بطنهـا، وهكـذا أصبحـت تأكل منـه كل يوم قطعـة، الأمر الذي ينبهنـا إلى أنه يجـب علـى كل عاشـق أن يحرص على سـلامة لحم جسـمه، فلا يـأكل الفراخ والبيض حتى لا تتسمم حبيبة قلبه بالسالمونيلا.



دموعه ودموعها

إن الرجل يجبر المرأة على البكاء ليشعر بالتفوق والسُّوبرمانيَّة؛ لأن الرجل عنصري من الجنس الآري الهتلري، أما المرأة فمن الجنس الخنفشاري..

وردًّا على تهمة العنصرية أتمنى أن تقوم لجنة تقصي حقائق منبثقة من لجنة حقوق الإنسان بزيارة ميدانية واختيار مائة زوج عشوائيًّا - كعينة - لترى اللجنة بنفسها كيف تتم معاملة هذا المواطن الذي ولدته أمه حُرًّا، وكيف أصبح - بين الزوجة والأولاد - مواطنًا منزليًّا من الدرجة الثالثة، ومرشحًا - لطول ما درب على الذل والطاعة - للقيام بعجين الفلاحة ونوم العازب..

ولعل أبلغ ما قيل في هذا الصدد هو ما كتبه تلميذ أمريكي في الثامنة اختار موضوعًا للتعبير عنوانه: أبي.. فقال: «إن أبي يستطيع أن يتسلَّق أعلى قمم الجبال ويسبح في أكبر المحيطات ويقود أضخم وأسرع الطائرات ويصارع أقوى النمور.. إنه يستطيع أن يفعل أي شيء وهو طيب ووديع دائمًا أمام أمي التي تأمره يوميًّا بدلق الزبالة..»

والرجل ليس معصومًا من الدموع؛ لأنه لا سوبرمان ولا عنصري، والفرق بينه وبين المرأة أنه يفضل أن يكون لعيونه محبس وجلدة متينة لأسباب تتعلق بكبرياء الرجولة، أو كما يقول فارس بني حمدان عندما تستبد به لوعة الحب: «وأذللتُ دمعًا من خلائقه الكبر»..

وكما قلنا من قبل: المرأة لا تنفرد بالدموع؛ فالرجل يبكي عند مولده، ويبكي في طفولته، ويبكي بجنون لأنه يحبها، ويبكي بحُرقة لأنه يريد أن يتزوجها، ويلطم الخدين لأنه تزوجها..

وعكة الحب

المشكلة رقم واحد في الحياة تبدأ مع رحيل زمن التنهيدات وانحسار الرومانسية. هو أصبح لا يثير اهتمامها. هي أصبحت لا تثير اهتمامه. وما دام الاهتمام قد ضاع فكلمة الحب تغيب عن اللسان، واللمسة الحانية تنساها اليد، أما النظرة الولهانة المتبادلة فقد تشتتت، نظرته اتجهت إلى جريدة بين يديه، نظرتها اتجهت إلى التلفزيون، وهو يتمنى ألا ينقطع التيار ويتوقف الإرسال فيضطر إلى الحديث معها، ويكلفه تحريك لسانه مشقة عظيمة بعد إصابته بالخرس المنزلي.

والكلمة الحلوة هي أقوى سلاح للاحتفاظ بالحب، المرأة تتجمَّل وتتزين وتقاسي فوق الكعب العالي من أجل كلمة إعجاب. همسة حب حلوة. الزوجة تسعد كثيرًا بقبلةٍ خاطفةٍ من خدها. بضمَّةٍ عابرةٍ وأنت تقف معها بباب الأسانسير. لمسة حنان. لكن لماذا يختلف المشهد في بيت الزوجية عنه أيام الغرام؟ لأن رفع الكلفة بين الاثنين إلى آخر مدى هو الاغتيال الحقيقي للرومانسية والحب. هي تروح وتغدو في البيت بجلابية كُلِّشنكان. شعرها كرأس أمنا الغولة، على وجهها لبخة زبادي أو لبخة بيض لزوم وصفات البشرة، وما يستره الكورسيه تبعثر وتفشكل وأعلن أنه ليس هناك أزمة لحوم.

وهو؟ هو بالبيجامة كِرشُه يبرز من بين أزرارها، وذقنه نابتة، وشعره منكوش وألفاظه غير لائقة، فلم يعد هناك شيء من الخصوصية يحتفظ به كلٌّ من الطرفين، وعندما تُرفع الكلفة إلى آخر مداها وتختفي الخصوصية، فلا يعود هناك شيء يحرك الخيال أو يثير الشوق أو يحرك الفضول سوى امرأة خارج البيت أو الشغالة داخل البيت.

شروط الحب

المرأة يسعدها وجود رجلين: واحد تجري خلفه لأنها تحبه، وواحد يجري خلفها لأنه يحبها. الرجل الأول القلب وما يعشق، والرجل الثاني يُرضي كبرياء الأنوثة التي يهدرها الأول.

والحب عالم خاص جدًّا يصل فيه الإنسان إلى درجة عالية من السعادة لا يمكن أبدًا أن يبلغها بمفرده، الحب كاللمسة والقبلة تحتاج إلى شخصين، وإذا كان الزواج يحتاج أيضًا إلى شخصين فهناك فرق؛ إذ إن شخصًا واحدًا في الزواج لا يكفي لحدوث الخناق.

وإذا كان الحب يحتاج إلى شخصين، فالحب من طرف واحد غير طبيعي، إلا إذا أراد العاشق أن يكون فاعل خير.

وليس شرطًا أن تؤمن بالحب حتى تقع في الحب؛ فالحب يختارك ولا تختاره، وعندما يختارك فعليك أن تقبل بكل شروطه، ومن شروط الحب أحيانًا أن تقع تحت وصاية إنسان آخر، أو تحت نفوذه، يسعدك حينًا ويشقيك في معظم الأحيان، ومع ذلك فهو إنسان باهر ومدهش ولا مثيل له في العالم؛ فالإنسان الذي تحبه هو دائمًا الإنسان الكامل، مع أن الإنسان الكامل لا يوجد ولا حتى في كتب الخيال العلمي.

وإذا قبلت شروط الحب فاستمر، وإذا لم تقبلها فابتعد والعق جراحك وليكن عزاؤك أن كل حب في الدنيا ينتهي بكارثتين لا ثالث لهما: الفراق أو الزواج.

ماذا جرى له؟

المرأة كسبت وتكسب كل يوم أرضًا جديدةً، والرجل أمامها يتراجع بسرعة وبلا مقاومة أيضًا، لقد أُجريت دراسات على الرجل المعاصر وتبين أنه فقد مواصفاته الكلاسيكية. فقد هيبته وحماشته ودمه الحار أيضًا، ولم يقُلِ الباحثون ذلك صراحة، بل غلَّفوا الحقائق المزعجة بتعبيرات دبلوماسية مثل: أصبح الرجل أكثر تفهُّمًا لحريات المرأة - وتخلَّى الرجل عن مواقفه المتعنتة - وتنازل الرجل عن الكثير من المعتقدات الخاطئة التي كان يعتبرها مساسًا برجولته وكرامته. باختصار لم يعد الرجل رجلًا في الغرب بالذات.

حتى ثيابه سطت عليها المرأة، فلبست البنطلون والجاكت والقميص والبابيون والكرافت وأعطته - في المقابل - فردة حلق يضعها في أذنه، ربما لتذكرة تلك الحلقة في أذنه أنه صار نعجة.

وكان رجال العالم يحسدون الرجل الياباني لأنه سي السيد بحق، تعامله الزوجة كملك وتخدمه كجارية؛ إذ كان نظام العائلة القانوني يلزم الزوجة بالإذعان لإرادة الزوج والخضوع لسلطانه دون نقاش وسمعًا وطاعةً يا مولاي، والآن تغير القانون ليفرض المساواة بين الزوجين ويُحرِّم تبعية الزوجة لسي السيد ويعترف لها بالاستقلال المالي، وأصبحت الزوجة اليابانية كباقي نساء العالم - يمكنها أن تحدد الوقت الذي تراه هي مناسبًا ليحمل زوجها لقب المرحوم.

تُضاف إلى هذا كله حقائق علمية غير سارة تقول إن المرأة تغيرت جسمانيًا إلى «الاسترجال»، فزاد متوسط طولها عن القرن الماضي أربعة سنتي، وأصبحت أكتافها أعرض وصارت عضلات ظهرها وبطنها أكثر قوة وبروزًا وقفز متوسط حجم قدمها ثلاث درجات من مقاس 37 إلى 40 وهو حجم يؤهل القدم لضرب الشلاليت بكفاءة عالية.

هي وهو وعلم الحساب

الأمثال الشعبية أبدعتها وصاغتها ستي، فهي في مجملها أمثال نسائية، ومن هذه الأمثال تستطيع أن ترسم خريطة تهتدي بها إلى عالم المرأة. المرأة - مثلًا- لا تمل أبدًا من امتداح جمالها ومحاسنها، وهي لا تحب أن ينظر إليها الرجل فقط، بل ينظر ويلاحظ أيضًا، والذي لا يلاحظ هو عندها أعمى، ولذلك يقول المثل الشعبي: «المتكحلة متحبش الأعمى»، ولا يوجد رجل اختار امرأة ليحبها، بل توجد امرأة اختارت رجلًا لتوهمه أنها وقعت في حبائله، وهي تتحلى بالصبر حتى تلف حوله شباكها، ويقول في ذلك المثل الشعبي: «خلي حبيبي على هواه لما ييجي ديله على قفاه!»، ويا ويل الرجل لما ييجى ديله على قفاه!

وهي تعرف أن الحب عند الرجل تسلية، ويتمنى أن يستمر تسلية، بينما الحب عندها بناء عش وتكوين أسرة، وفي الوقت الذي يرفع هو فيه شعار: «ألف رفيقة ولا لزيقة» - أي زوجة تلزق له - تناور هي وتخطط وتستعين بنقاط الضعف الفطرية عنده، فهي تعرف أن الرجل يحب بحواسه، وكلما فتنته بمحاسنها جرى خلفها يلهث ولعابه يسيل، وهي ترسم تكتيكها في التمنُّع واثقة من أن الرجل أمام جمالها أهبل وبذلك تضع كلمة «تتجوزيني» على لسانه، وفي ذلك قالت ستي مثلها الحكيم: «العايز أهبل».

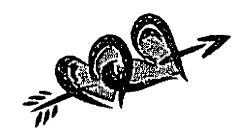
فالزواج هدف رئيسي وجوهري عند كل امرأة، وقد لا تبالي المرأة باعتبارات كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وفي ذلك تقول أمثال ستي: «إن لقيتي بختك في حجر أختك خديه واجري».

الحب لا يعرف علم الحساب عند الرجل، والمرأة تهتم بعلم الحساب لأن الحب عندها هو بداية الطريق إلى البيت والأسرة والأولاد، والبيت يلزمه

فلـوس، وفـي ذلك قالت سـتي: «معاك قرش تسـاوي قرش»، و«بفلوسـك بنت السلطان عروسك».

وإذا حققـت المرأة ذاتها بالأمومة تراجعت مكانة الزوج عندها إلى الخلف، ومع الزمن ربما يصبح مواطنًا من الدرجة الثالثة داخل البيت، وبعضهن يحسدن إناث العناكب؛ فالعنكبة بعد التزاوج تغرس إبرتها السامة في رأس العنكب دون أن تحار في كيفية الخلاص من الجثة، ولذلك تقول ستي إن الزوج يمكن تعويضه بـزوجٍ آخر، والابن يمكن أن تلـد المرأة غيره، ولكن الأخ لا يعوض أبدًا، وذلك في المَثل الذي يقول منطوقه: «الجوز موجود والابن مولود والأخ مفقود»..

ورحم الله شهداء الأكياس.



الملكة والجارية

بداخل كل امرأة ملكة وجارية، والرجل القوي في نظر المرأة هو الذي يعاملها كملكة ويوقظ في أعماقها الجارية المطيعة، وهي حالة يمتزج فيها الاستسلام عند المرأة بالتمرد، فرصيد الحب في قلب المرأة هو الذي يحدد مقياس قوة الرجل، لكن مهما بلغت قوة رجل فمصيره معروف.

فهي تسعد في البداية بأن تستسلم له بضعفها الأنثوي، ثم تسيطر عليه في النهاية بنفس السلاح: الضعف الأنثوي، ولو أتيح للمؤرخين مشاهدة عظماء التاريخ في لحظات الحب لرأينا لونًا مختلفًا ومسليًا من التاريخ، نيتشه فيلسوف القوة تذله وتعبث به بنت صغيرة، نابليون يتوسل إلى جوزيفين أن تعطي له بوسة، إيفا براون وهي تقرص هتلر من خده وتقول له: «باحبك يا قطة».

ولا يوجد رجل يظل باقيًا في موقع القوة ابتداءً من شمشون صاحب القوة العضلية إلى سليمان الحكيم صاحب الحكمة، وأمنا حواء مثلًا اعتراها رعب عظيم وهي تواجه آدم لأول مرة: مخلوق ضخم الجثة لم تَرَهُ من قبل يغطي الشعر وجهه وجسمه، ثم عرفته لتكتشف أنه ليس مخلوقًا لا خطر منه فحسب، بل ويمكن الضحك عليه أيضًا، وهو موقف شبيه بتلك الحكاية التي تتكرر كل يوم مع البنت وأمها، فإن كمية التحذيرات والنصائح التي تتلقاها البنت من الأم كل يوم تجعل من الرجل غولًا مخيفًا يتربص بها، ثم تتمرس البنت بالحياة وتعرف الرجل زوجًا، وتدهش كثيرًا لتحذيرات أمها من خطر ذلك العبيط الذي اسمه الرجل!

المرأة والذئب

سبب متاعب المرأة مع الرجل.. هي المرأة!

أولًا هي المسئولة الأولى عن سوء اختيارها، فالرجل لا يختار المرأة بل المرأة هي التي تختاره.

والمرأة كانت محرومة من حرية الاختيار، فكان الزوج يفرض عليها فرضًا، فلما تحررت تبين أن الحرية التي تتمتع بها لا تتيح لها حرية الاختيار؛ لأن المال يؤثر غالبًا على إرادتها، فقبول عريس ابن حلال ومكافح وعلى «أد» حاله مسألة صعبة، وأصعب منها التخلي عن عريس مليونير.

ومن أبرز متاعب المرأة - ثانيًا - أنها تميل إلى الرجل الدون جوان اللعوب، فهي تسعى إليه مدفوعة برغبة الفوز على الأخريات اللاتي يجرين خلفه، والفوز به هو شخصيًّا كفارس أحلام يطوف بها عوالم الرومانسية المثيرة وينتهي بها الأمر معه إلى الطواف بمحاكم الأحوال الشخصية.

ومن أسباب متاعب المرأة - ثالثًا - أنها في بداية العلاقة تخوض معركة السيطرة ضد الرجل التي يتحدد بعدها مَنْ يسيطر على مَنْ؟

وهي معركة تتمنى المرأة في أعماقها أن تهزم فيها، وأن يصبح هو السيد بجدارة، فإذا هزمته ندبت حظها العاثر الذي أوقعها في رجل ضعيف و«شُرَّابة خُرج»، وإذا هزمها أصبح على مر الزمن طاغية تعاني من تسلطه وجبروته ولا يمكن الخلاص منه دون الاستعانة بالكيس البلاستيك.

ماذا جرى لغيرة الرجل؟

إحساس الغيرة لم يتغير عند المرأة منذ الأزل، لكن غيرة الرجل أصابها تحول كبير، كان إنسان العصر الحجري إذا رآها تضاحك جارًا جرجرها من شعرها والتقط أقرب حجر ليدق رأسها دق الكفتة، وفي الغرب أرغمها الرجل على أن تلبس حزام العفة واحتفظ بمفتاحه، وكان يبارز غريمه بالسيف ولا يتردد في قتلها إذا اكتشف أنها تحمل «طفاشة» لفتح الحزام.

وفي الشرق ارتاح الرجل إلى سجنها في الحرملك، فتعلم العاشق لبس الحَبَرة والبُرقع كي يتسلل إلى المحبوبة، وكانت فرصة اختيار المحبوبة ضئيلة وغير متاحة بسهولة للرجل، فهي وراء جدران وأسوار، ومنافسة رجل له في حبها قد تنتهي بفقدها، ولذلك كان إحساس الرجل بالغيرة حارًّا وحادًّا وربما مشوبًا بالعنف.

ووجدت زعيمات التحرر النسائي أن غيرة الرجل على المرأة نابعة من أنانيته ورغبته في امتلاك الأنثى فقررن تجريده من الغيرة واعتبار الغيرة إهانة للمرأة؛ إذ لا بد أن يفهم الرجل أن المرأة نِدٌّ له وليست مجرد أنثى أو جارية للمتعة.

وقدَّم الرجل تنازلات وراء تنازلات وأصبحت الزعامات النسائية تكسب كل يوم أراضي جديدة في الغرب، وانتصرت على شوارب الرجل حتى حلقتها بمكنة الزيرو، وانتهى عصر الرجل الحِمِش، وتم استنباط نوع من الرجال مُستأنس وأليف ينسدل شعره على أكتافه ويلبس المشجر وفي ودنه حلق.

ولا عزاء للرجال!

هل هي لغز؟

كتـب بـلا حصر ظهرت لتُعين الرجـل على فهم المرأة، بينمـا لـم يظهر كتاب واحـد يعيـن المرأة علـى فهم الرجل. هـذا صحيح، ربمـا لأن البشـر - منذ بدء الخليقة - ينقسمون إلى قسمين: النساء والأغبياء.

فليس أدل على بلادة فهم الرجل أمام المرأة من أنه يلازمها منذ خروجها من ضلعـه، ومـع ذلك - وبعد هذه الأزمنة الطويلة - يشـق عليـه فهمها ويحتاج إلى كتب خارجية ودروس تقوية ومفسرين وشُرَّاح رغم أن فهم المرأة لا يتطلب شيئًا مـن هذا كله؛ فهي واضحة جدًّا: تغش الرجـل علنًا بالأحمر والأبيض والباروكة والرموش وهو يعرف أنها تغشه، ولا لفَّ عندها ولا دوران لأنها صريحة جدًّا، ما في القلب على اللسـان، لا تطيق أن تحفظ سرًّا، والكلام يدخل من أذنها ليخرج من فمها مباشرة، وهي تسعى إلى كل ما يكشف عنها ابتداءً من الميكروجيب إلى البكيني إلى التوبلس.

والمرأة إذا أحبت فهي أشـد ما تكون وضوحًا أمام الرجل الذي تحبه، لكنها تتحول إلى لغز أمام رجلين: رجل فتر حبها له، ورجل فتر حبه لها، الأول يدهش مـن غرابـة تصرفات لـم يعتدها، والثانـي يحولها إلى إنسـان غير متـوازن حيث تختلـط عندهـا المعاني المتناقضة بين الحب والغيـرة والرغبة في الانتقام، وهي في تلك الحالة قد تدرك بوضوح فائدة اختراع الكيس البلاستيك.

كذلك تبدو المرأة لغزًا عندما تعمد إلى التمرد الخفي على سلطان الرجل، فما من امرأة لا تجد متعة كبرى وتنفيسًا مريحًا وهي تهزأ بسلطان الرجل من خلف ظهره.

أمـا الرجـل فهو ليس فـي حاجة إلى كتب تشـرحه للمرأة، فـكل امرأة تعرف جيـدًا أن الرجـل أمام المرأة أهبل وعبيط، وأنه منذ حادثة التفاحة الشـهيرة خرج من الجنة ليسكن في الأرض بدرب المهابيل.

هل تحب رئيستك؟

إن المرأة كرئيسة في العمل لطيفة جدًّا (ما لم تكن زوجها)، وهي لا تضايق أبدًا رجلًا مرءُوسًا لها، بل هي تضطهد النساء فقط، وليس صحيحًا ما تزعمه من أن الطبيعة جردت الإناث من مقومات القيادة وقوة التأثير التي يتمتع بها الذكور، ففي مملكة الحيوان ومملكة الطير تقوم الأنثى بإعداد المكان لاستقبال الصغار وإدارة شئون الحياة بينما يكتفي الذكر بالفرجة، ومملكة النحل ترأسها ملكة، ومملكة النمل ترأسها ملكة، ولعل التنظيم الإداري المذهل في مجتمعات النحل والنمل يرجع إلى خلوها من حكم الذكور، فإن كلًّا من ملكتي النحل والنمل تفضل أن تكون أرملة عقب الزفاف مباشرة حتى تستريح من خلقته وأفعاله.

وليس صحيحًا أيضًا أن الست الريسة «آخر عُقد»، الصحيح أن المرأة تحقق نتائج أفضل من الرجل عندما تدير عملًا، فهي تحرص دائمًا على أن تثبت خرافة ما يشيعه الرجل من أن المرأة لا تصلح لعمل قيادي، وهي تقرن هذا الحرص بحرص أكبر على احترام نفسها، ولذلك فهناك قواعد لمعاملة الست الريسة وهي: ألا تغازلها أو تهديها وردة أو تمتدح فستانها أو عطرها أو تسريحتها، كما ينبغي تجنب إبداء الملحوظات البريئة، كأن تنبهها إلى أنها تلبس الباروكة بالمقلوب، أو أنها نسيت ترسم الحاجب الآخر، أو أن ذيل الكومبليزون أطول من ذيل الفستان، أو أن جوربها مكرمش إذ يجوز ساعتها أن تكون بغير جوارب، لكن ليس معنى ذلك أن تعاملها باعتبارها رجلًا، أو أن تشيع عنها أن إدارة شئون العاملين أرسلت إليها تطلب معرفة موقفها من التجنيد.

وأي شروع في علاقة عاطفية بالرئيسة في العمل تعتبر مخاطرة حمقاء، وقيام هذه العلاقة - إن حدثت - هي الخطر نفسه، فالحب كما تقول أم كلثوم، وصال ودلال ورضا وخصام، وحسب هذه الأحوال سيتقلب تقريرك في العمل بين ممتاز ومتوسط وزفت وهباب.

وعندما تتزوج فسوف يسهل عليك الأمر، وتصبح مدربًا على قبول رئاسة امرأة تطيعها وتأتمر بأوامرها، وتتعلم منها ألا تدس أنفك في أي شيء إلا منديلك فقط!



اعرف موقعك عندها

يتغير صوت الرجل ثلاث مرات: قبل البلوغ، وبعد البلوغ، وعند الحديث في التليفون مع المحبوبة، فإذا تحدث بصوت عادي فهو من قائمة الزملاء، وإذا كان الصوت خفيضًا فهو من نادي العشاق، فإذا لم يسمع أحد له صوتًا فهو مخروس في بيت الزوجية.

والمرأة عندها أجهزة خاصة تستطيع بها أن تفرق بين رجل يقترب منها كزميل وآخر يحاول الاقتراب من عواطفها كعاشق، وفي مكان يضم عشرين رجلًا يمكن للمرأة أن تتعرف على الرجل الذي يوليها اهتمامًا خاصًّا صامتًا.

والرجل في تقربه العاطفي للمرأة يختلف عن الزميل في جانب مهم؛ إذ تنشط لديه غدة الفشر فيميل إلى تقديم نفسه في برواز الشاطر حسن الذي يطمح إلى إبهار ست الحسن والجمال ببطولات لم تحدث ومواقف دون كيشُوتيَّة لا أساس لها من الواقع، ولا تتوقف هذه الغدة عن النشاط إلا بعد أن يجد نفسه في بيت الزوجية وقد أصيب بالخرس المنزلي، ذلك الوباء الذي يجتاح كل الأزواج.

وإذا تثاءب خلال الحديث معكِ فإنه بالتأكيد مجرد زميل؛ إذ من العسير أن يحمل رجل لامرأة اهتمامًا خاصًّا ثم يتثاءب في حضورها، ولا يعرف تاريخ الحب عاشقًا كان يهمس في أذن حبيبته ثم تثاءب، ولا يوجد روميو هَمَّ بتقبيل جولييت ثم فاجأها بفتح فمه على آخره كسيد قشطة، والزميل في العمل يعامل زميلته بشكل عادي وبشخصية متوازنة، فإذا تغيرت صفته وأصبح عاشقًا فَقَدَ الكثير من توازنه ونشطت عنده الغدة الخالدة التي تفرز هبلًا.

قلب المرأة؟

الرجل مخلص جدًّا، ويستطيع أن يخلص لأكثر من امرأة في وقت واحد!

فعاطفة الرجل تقبل القسمة على اثنين وثلاثة، وكانت عاطفة السيد هارون الرشيد تقبل القسمة على خمسة وخمسين!

والمرأة تتعامل أيضًا مع علم الحساب، فيقال - والله أعلم - إنها تضرب ثمن فستانها في أربعة وتطرح من وزنها خمسة، وتضيف خمسة إلى عمر أي صديقة! وتقسم عمرها هي على اثنين إلا في الحب، فالمرأة لا تقبل القسمة إلا على واحد صحيح، وتحب أن تكون هي هذا الواحد الصحيح، فهي ترفض أن يكون لها شريك في حب رجلها، لا بالأخذ ولا بالعطاء؛ فهي تغار من حب أمه، وحب أخته، وحب صديقه المفضل، وفي بلاد بره تتخلص أحيانا من صديق زوجها المفضل بالهرب معه.

وكما تفضل المرأة الاستئثار بالعاطفة لنفسها فقط فهي تؤثر أن تكون عواطفها لرجل واحد أيضًا دون شريك، فالمرأة تحب بمشاعرعميقة بينما الرجل ينقاد وراء نوازعه الحسية، ولا ذنب للرجل في ذلك لأن مفاتن المرأة هي الفخ الدائم المنصوب له، وقد كتب عليه الوقوع الأبدي في هذا الفخ شاء أم أبى، ولورد بيرون يرفع شعار الرجال جميعًا وهو يقول: «لو كان لنساء العالم فم واحد لقبلته واسترحت»!

وتبقى القضية الخالدة بين المرأة والرجل بلا حل، فلا الزمن توصل إلى وفاق بشأنها، ولا الحرب الدائمة وجدت لها حلًّا، وهذه القضية ببساطة هي أن المرأة تحب رجلًا واحدًا، والرجل يحب كل النساء.

ليتني كنت فأرًا

الحوار أيام الغرام هو ديالوج بين الطرفين، والحوار أيام الزواج هو مونولوج مـن طرف واحد، فالخرس المنزلي يصيب الـزوج بعد فترة من الزواج، وهو داء له أسباب متعددة (غير الأسباب العاطفية) أهمها:

أولًا: جـرَّب الزوج العودة من العمل ليجد أن شـهية الزوجة مفتوحة للكلام فـي أمـور كثيرة لا تعنيه، بينما هو قد عاد متعبًا يأمـل في الراحة وفي الهدوء وفي المشمش.

ثانيًـا: يحرص الزوج علـى الصمت - لعدم الغلط - إذا قالـت له إن والدتها ستأتي من البلد في زيارة قصيرة لمدة شهرين.

ثالثًا: تسـتأنس الأنثى بصوت الذكر فيزأر الأسـد بين حين وآخر ليُشـعر أنثاه وأشـباله أنهـم في الحمايـة، وينطلق الديك في صيـاح ليليٍّ - وليـس في الفجر فقـط - ليشـعر الفراخ بحماية ديك البرابر، والمـرأة - وراثة عن عصر الكهف - تستأنس بصوت الرجل وتستشعر الأمان، ولكن الرجل بصمته يسلبها هذا الأمان وقد لجأت زوجته إلى بيت أمها مثلًا تشكو سكوته تمامًا لمدة أسبوع كامل، لكن الزوج حلف لحماته أنه تصرف معها بمنتهى الأدب ورفض مقاطعتها في الكلام الذي بدأته مع بداية الأسبوع.

وفي وقت ما يشـعر الزوج أنه في حاجة إلى تبادل الحديث مع شخص آخر، غير أنه يُحجم عن محادثتها؛ لأنه جرَّب أسـلوب المناقشـة مـع الزوجة وأصبح يعـرف نتيجة المناقشـة مقدمًا، ثم هـو مع الزمن يؤثر الصمـت على أي كلام؛ إذ تسقط الندية بين الزوجين ويصبح هو بلا رأي.. مجرد مواطن من الدرجة الثانية فـي البيت وفي مرتبة دون «الفأرية» نسـبة إلى حكيم إسـبرطة الـذي قال: «ليتني كنت فأرًا؛ فزوجتي تخاف الفئران»!

كم يكفيها في الشهر؟

المـرأة ينغص حياتها أن يكون زوجها فقيرًا، كما يقلقها بشـدة أن يكون ثريًّا؛ فثـروة الـزوج تهدد أمن البيت وتنـذر بدخول امرأة أخرى في حيـاة الزوج، وفي ذلـك قالت سـتي زمان: «الحمار لما يشـبع يبعزق عليقه»، ومفهـوم طبعًا من هو الحمار.

والمرأة تسـعى إلى المادة لا حُبًّا في المادة ذاتها، لكن لأنها مسـئولة بالفطرة عن رعاية الأسـرة وإدارة المؤسسـة المنزليـة اقتصاديًّا، وهي تـرى الرجل مبذرًا ومتلافًا والرجل يتَّحد معها في هذا الرأي فيراها مبذرة ومتلافة أيضًا.

غير أن المرأة لا تسـرف ولا تبذر إلا إذا كانت الفلوس ليسـت فلوسـها، فما تكسـبه المرأة بجهدها تحرص عليه كثيرًا، والأسلوب الذي تدير به المرأة البيت اقتصاديًّـا يعجـز أي رجل عن تحقيقه بنجاح، فهي اقتصادية بالفطرة، أما السـعي إلـى الاسـتيلاء على أموال الزوج، فتلك ليسـت نزعة فردية تتسـم بها امرأة دون أخرى، بل هي إسـتراتيجية نسائية عامة تهدف إلى قصقصة ريش طيرها لا يلوف بغيرها، وقد سُـئل أحد أصحاب الملايين: كيف صنعت ملايينك؟ فقال الرجل: الفضل لزوجتي، فقد أردت أن أعرف – ولا أزال أريد أن أعرف – كم يكفيها في الشهر!

وهذا المليونير سـوف يصبح «مليارديرًا» ولن يكتشـف كم يكفيها في الشهر؛ لأن المرأة تريد كل ما لم تحصل عليه.

هل الحب دموع؟

أغانينــا تعطي صورة مشــوهة للحب وتصــوره عذابًا ونواحًــا ومندبةً، والدنيا تغيــرت لكــن أغانينا لا تزال تنتمي إلى منابعها الأولــى في عصر الحرملك، وفي عصر الحرملك كان العثور على فتاة تحبها مشــكلة كبرى، أما فقدان هذه الحبيبة فمصــاب جلــل يقتضي إقامة ســرادق عــزاء، ولا تــزال أغانينا التــي تحمل طابع عصر الحرملك توحي للعشــاق بالرعب من فقدان المحبوبة، مع أن المرأة – في نهايــة القرن العشــرين – لم تعد عملة صعبة، بــل أصبحت مثل الرجل – كالجنيه المحلــي، ولا يــزال هناك مَنْ يغني في آخر القرن العشــرين: «يــا خوفي لا تكون قرفان من حبي والاقيك طفشان».

وأغانينــا لا تعبر عن حقيقة الحب، فالحــب فيها غير صحي، بل هو حب من طرف واحد يؤلّه المرأة ويســتعطفها ويســترحمها ويتســول رضاهــا، وهي معانٍ أوحت إلى العشــاق – جيلًا بعد جيل – أن الحب مذلة مشــروعة ومستحبة، وأن الحب له طقوس تبدأ بالمشي في طريق الشوك ثم الوصول إلى حائط المبكى ثم حائــط الملطمة ثم الانهيار فوق الأرض مولــولًا: «هاتولي حبيبي»، ثم إلى غرفة الإنعاش.

وليــس معنــى ذلك أن يهيــن الرجــل حبيبته أو يحط مــن قدرهــا أو يقول لها إنــه قاطــع كل أصدقائه لأنهم يجمعون علــى أنها قبيحة، هذه قلــة أدب؛ فالحب احتــرام متبادل، والرجولة فروســية من أبرز ســماتها احترام المــرأة، والحب في حقيقتــه – بعيدًا عــن أغانينا – بهجة ومــرح وتفاؤل ورؤية للحيــاة جميلة ومثيرة ومدهشة، لكنه لا يخلو من لحظات شجن، أو ساعة فراق حزينة، ليس رد الفعل

لهـا الوقوف علـى حائط المبكى ثـم الملطمة وإنما كما يقـول أزنافور في أغنيته الجميلة التي تعكس حالة فراق في الحب الصحي: «يجب أن نعرف كيف نبتسم عندمـا يذهب الأفضل ويبقى الأسـوأ، يجـب أن نعرف متى نتـرك المائدة عندما يـزول الحب، يجب أن نعرف كيـف نذهب دون أن ننظر للوراء، يجب أن نعرف كيف نحبس صرخات الكراهية التي هي آخر كلمات الحب».

لكننـا لا نعـرف كيـف نحيل الحب إلى بهجـة لأن كل ما حولنـا يضفي علينا الأحزان، فالعيد بهجة ومع ذلك نقضيه في زيارة المقابر، والتلفزيون ترفيه جميل ومـع ذلك يقدم لنا البكائيات، وأغانينا كأفلامنا، فأغانينا من عصر الحرملك إلى عصـر الليـزر كلها صويـت ونهايـات باكية لحب مريـض، وأفلامنا تنتهـي دائمًا بالزواج، وهي نهاية يزعمون أنها سعيدة!!

الخصوصية

الزوجة تسعى أحيانا إلى إيجاد نوع من الخصوصية التي ترفضها أنت؛ لأن هذه الطريقة تجعلك متعلقًا بها على الدوام، فمن صفات الحب أنه شديد الفضول، يدفع كل طرف إلى أن يحاول معرفة كل شيء عن الآخر، وعندما يعرف الحب في كل شيء ولا يبقى شيء يثير اهتمامه، فهو هنا يفقد الكثير من عنصر الإثارة، إن امرأة جميلة مثلًا تضع نظارة سوداء ولا ترفعها من على عينيها أبدًا أمر يثير الغموض كما يثير اهتمام رجل أو أكثر حتى ولو كان السبب الحقيقي للنظارة هو إخفاء رمد مزمن أو عُماص.

وسحر الغموض يلعب دورًا مهمًّا في استمرار الاهتمام بالطرف الآخر، ولقد عرفت زوجًا شدَّ بغموضه الشديد اهتمام زوجته به لمدة 18 سنة كانت تحاول خلالها اكتشافه، فلما استكملت اكتشافه طلبت الطلاق؛ إذ تبين أنه تاجر مخدرات.

وكل امرأة مهما بلغ حبها للرجل تتوق إلى نوع من الخصوصية، كأن تخلو إلى نفسها بعيدة عنه، أو تفضفض لصديقة، أو تتهامس معها - أيام الخناق - بلعن أبو خاش زوجها.

والمرأة عندما تحب وتخلص تصبح كتابًا مفتوحًا أمام رجلها، فليس أبسط ولا أشد وضوحًا من امرأة محبة، بينما إذا أحب الرجل امرأة لا تحبه تخيل أنها اللغز الأكبر، وقد ارتاحت المرأة إلى اتهام الرجل لها بأنها لغز وأنها غير مفهومة؛ لأن الغموض له جاذبية خاصة في تكتيكات الهوى.

المرأة والخيانة

المـرأة لا تخون بسـهولة؛ فهي لا تُقدم على الخيانـة إلا من حب قوي تمكن منها، إن خيانة المرأة كجريمة القتل العمد مع سـبق الإصرار يلزمها تفكير وتردد بعكـس خيانة الرجـل، فهي كمخالفة المـرور في بلدنا ترتكب بمنتهى البسـاطة وبغير أدنى إحسـاس بالجرم لكن لكل قاعدة شـواذ، كمسـز تومسـون مثلًا التي فتحـت البـاب لطارقٍ فوجـدت رجلًا غريبًا يسـألها بصوتٍ مبحوحٍ بسـبب نزلة برد: هل مسـتر تومسـون موجود؟ فقالت له بنفس النبرة الهامسة الخفيضة: لا.. أدخل.

والمـرأة التـي تلجأ إلـى الخيانة انتقامًا مـن الرجل الخائن تفتقـر إلى التفكير السـليم، فالمجتمع للأسـف لم يفرض على الرجل نفس المسئولية التي فرضها على المرأة في هذا الصدد، ولهذا يزهو الرجال بالخيانة إلى حد الكذب واختراع القصص الخيالية، ويتصور الرجال أنهم عندما يخونون يكونون أشبه بالطائرات التي تخرج للقيام بغارة جوية ثم تعود إلى قواعدها سالمة في بيت الزوجية، لكن يبقى سؤال: هل الرجل الخائن يتحمل وحده مسئولية خيانته؟

إن هناك تضامنًا بين النسـاء جميعًا ضد الرجال في ميثاق شرف غير مكتوب، لكن يدهشـني حقًّـا أن هذا الميثاق لا يتضمن منع امـرأة من خطف رجل يخص امرأة أخرى، ونحن نطالب ميثاق الشرف بينكن ألا يتعرض رجل مملوك لامرأة لأي إغراء من جانب امرأة أخرى، وألا تغرر به تلك المرأة الأخرى وتستغل هبله التاريخي للإيقاع به، فالمرأة هي التي تكيف العلاقة بينها وبين الرجل، وهي التي

تضــيء لـه النور الأخضـر أو الأحمر، وهي التي تســتطيع أن تجعـل من القديس فاجرًا مثلما فعلت تلبيس، أو تحيل أشـد الذئاب خطرًا إلى حَمَلٍ لا خطر منه إذا قالـت لا، فـإن أردتن إخـلاص كل رجل لامرأته فاتفقن فيمـا بينكن على تحريم خطـف الرجال من بعضكن بعضًا؛ إذ إننـا ضعاف وبلهاء أمام الإغراء والجمال، وقد نقاوم ما وسعتنا المقاومة لكن الرجل منا غالبًا ما يصاب - في عز مقاومته- بالتخلف العقلي.



أوهام الهوى

الزواج حل لمشكلة مؤقتة اسمها الحب، ولا يوجد عاشق واحد يريد أن يصدق أن الحب عندما يصبح ذكرى يرى فيه الإنسان ما لم يره من الحماقات المدهشة، وأنت تعاني حالة أقدرها تمامًا، وإذا كنت تقول إن الزواج منها سوف ينقذك من الانتحار، فهناك ميزة عظيمة في الانتحار وهو أنه سوف ينقذك من الزواج.

فلو كان كل عاشق منتحرًا قد امتد به العمر وتزوج من حبيبة القلب لانتحر بعد الزواج لأسباب لا تخفى على أحد.

وأريد أن أطمئنك بأنك لن تنتحر بسببها ما لم يكن لديك أسباب أخرى؛ إذ لا يوجد رجل يقتل نفسه بسبب الحب، الرجل حبه حسي ولا يضرب إلى أعماق المشاعر كالمرأة لكن الرجل مندفع جدًّا في حبه، وهذا الاندفاع يوحي له وللآخرين بأنه عاشق متيم وميت صبابة، ولا يمكن أن يؤدي حب حسي إلى الانتحار، الصحيح أن الرغبة في الانتحار تكون متأصلة عنده لسببٍ أو لآخر، فيتخذ من الفشل في الحب ستارًا لانتحاره، هناك أمراض نفسية تفضي إلى الانتحار، وهناك مجتمعات التنافس الفردي التي ترتفع فيها نسبة الانتحار، ولا يشكل الفشل العاطفي سببًا في احصائيات الانتحار، وأشهر العشاق المنتحرين مثلًا أنطونيو قتل نفسه هربًا من ذُل الهزيمة أمام أوكتافيوس، وإذا فتحنا قضية روميو وجولييت، نجد أن روميو قد تزوج من جولييت في بداية المسرحية، لكن أسرتيهما وقفتا ضد سعادتهما فعاشا في الحرمان، ولم يشأ شكسبير أن يموت حبهما بالسكتة بعد رضا الأهل عن زواج الاثنين، فاختار الانتحار ليحفظ للقصة رومانسيتها.

كيف يأتي الملل؟

في المرحلة الرومانسية إذا نفخ أحد الطرفين في ضيق فهذا معناه أن الثاني تأخر عن موعده، أما إذا نفخ الاثنان معًا في ضيق فهذا معناه أن كلًّا منهما يجلس بوزه في بوز الآخر. الملل!

والملل يتسرب إلى الحياة الزوجية دون أن يشعر الطرفان بذلك؛ إذ تفرغ بطاريات المرحلة الرومانسية بالتدريج حتى يخرس الزوج ويكف عن كلام الحب وكل كلام، وشأن كل راديو تفرغ بطارياته يغلظ صوت الزوجة بعد الرقة، ويعتاد صوتها الغليظ لعن العيشة والقسمة السودة.

فإن الملل يأتي عندما يكتشف كل من الطرفين أنه لم يتزوج بطريق الحب كما كان يعتقد، بل تزوج بطريق الخطأ..

ومن أكبر عوامل تدعيم الملل وجود الزوج في البيت، فالرجل روتيني بطبعه، لا يغير سلوكه النمطي ولا يجدد حكاياته، ولا يكف عن إصدار الأوامر (التي لا تُنفَّذ أبدًا) وكثيرًا ما أغرى وجود الزوج في البيت باستعمال الساطور كسرًا للملل..

ومن العوامل التي تساعد على كسر الملل وجود الزوج خارج البيت، فهذا يشغل الزوجة بالشك في مسلك زوجها، كما ينشغل الزوج في الخارج بالخناق مع امرأة أخرى من باب التغيير.

وقد بُذلت محاولات من رواد الزواج الأوائل لكسر حالة الملل، ففاجأ أحدهم زوجته مثلًا بأشد القبلات حرارة في الزواج، وهي القبلة على الخد، فأثارت هذه القبلة دهشة بالغة عند الزوجة، وظلت تبحث عن المبررات وراء تلك القبلة حتى عرفت أنه تزوج عليها هربًا من الملل.

المهر الغالي

غير صحيح أن المرأة في الزواج تأتي في المرتبة الثانية، العكس هو الصحيح، المرأة دائمًا لها المكانة العزيزة الأولى، والدليل على ذلك أن مهرها غالٍ، وليس المهر هو الفلوس، بل هو سلسلة الأهوال التي يكابدها الرجل في سبيل الحصول على أنثاه لتكوين أسرة، يتساوى في ذلك المجتمع المتحضر والمجتمع البدائي، وأبونا آدم حصل على حواء بكسر ضلع من ضلوعه، فكان مهر أمنا حواء هو وضع قفصه الصدري في الجبس، وكل رجل هو آدم، وفي زماننا الصعب لا ينكسر لآدم ضلع واحد، بل تنكسر كل ضلوعه في المهر والشبكة والشقة، ثم قانون الأهوال الشخصية.

وعند الخطبة تتساءل مجالس النميمة: ماذا أهداها؟ بماذا شبكها؟ إنها أسئلة تحاول ترجمة مكانة العروس عند عريسها بالأرقام، وإذا أتينا إلى عقد الزواج فلا قيمة لرغبته في الزواج منها ما لم تقل هي نعم، فإذا جاء الزفاف فالأنظار كلها متجهة إليها، والاهتمام مُركَّز عليها وكأنما العريس كمالة عدد، حتى الأغاني الفولكلورية تتغنى بها وبجمالها.. و«اتمخطري يا حلوة يا زينة»، وأغنية فولكلورية أخرى تهنئها باقتناء ذلك المخلوق الذي يسير بجوارها: «مبروك عليكي عريسك الخفة»، تمامًا مثل مبروك عليكي الفستان ومبروك عليكي الخلخال.

ثم يتحول عريس الأمس من الاقتناء إلى التبعية المطلقة، فيصبح في البيت مواطنًا من الدرجة الثالثة، حرياته مصادرة وفلوسه مؤممة، ولسانه مخروس، ويستحق نظرة عطف من لجنة العفو الدولية.

وفـي أمثلتنا الشـعبية ما يكشـف بوضوح عن وضـع الرجل في ذلـك النظام الشـمولي المسـمى بالزواج؛ إذ يقـول المثل الشـعبي: «خُدي لك جـوز بالنهار أجير وبالليل غفير»، أي يكدح من أجلها طول النهار ويحرسها طول الليل، وإذا أردنا أن نعرف مكانة الزوج بين ما يمتون إلى الزوجة بصلة وجدنا المثل الشعبي يقول: «الأخ مفقود والزوج موجود»، أي إذا فقدت الزوجة الأخ فهو لا يعوض، أما إذا فقدت الزوج فغيره موجود؛ لأن الأزواج على قفا مين يشيل!

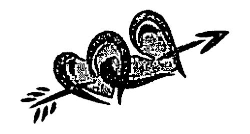
السلطة لمن؟

مـن الخلافات التي تنشـأ فـي البداية: النـزاع على السـلطة، هذا النـزاع يبدأ عادة بأن ينفش سـي السـيد ريشـه ثم يعلن في حزم: «يجب أن تعرفي أنني سـيد هـذا البيـت ولن أتخلى عن ذلك إلا على جثتي»، ثـم ينتهي الأمر بأن يتخلى عن «ذلك»، لكن هذا لا يعد تراجعًا من جانبه، فهو يعدل على أن يكون «ذلك» على جثته لارتفاع تسعيرة الحانوتية.

وأمثـال سـتي الحاجـة تشـرح لنـا ببسـاطة أهـم وأكبـر أسـباب الخلافات: الفلوس. فقلة الفلوس مشـكلة، وقد تكون كثرتها مشـكلة أعظم، ستي تقول في أمثالهـا: «عيب الراجل جيبه»، وتقول أيضًا: «يا جارية اطبخي يا سـيدي كلِّف»، وهي كانت تطمح إلى حياة مادية أفضل فتقول في حسرة: «متجوزة عدس عازبة عـدس». وإذا كانـت جدتـي - ككل امرأة - تعتبـر الفلوس أهـم أدوات تجميل الرجـل، فإن كثرة الفلوس فـي يد جدي كانت من العوامل التـي تدعو إلى قلقها الشـديد، ولهذا ابتكرت نظريتها التي تقضي بقصقصة الطير قبل أن يلوف بالغير، كمـا أنها صاحبـة الحكمة الأثيرة التي تقـول: «الحمار لما يشـبع يبعزق عليقه»، (معروف طبعًا مَنْ هو الحمار).

بعـض الزوجـات وليس كلهـن لا يؤمـنَّ بالحكمـة القائلة: «كُلْ مـا يعجبك والبـس مـا يعجب الناس»، بـل هي تفضل أن تأكل حسـب الريجيـم، وتلبس ما يغيـظ الأخريات؛ إذ كلما كان القوام جميلًا أغراها ذلك بأن تقتصد في القماش، فـإذا جاء الصيف تجـددت عند البعض مشـكلة المايوه، هو يريـد المايوه عنتريًّا تحـت الركبة، وهي تريده مختصرًا مفيـدًا، وينتهي الأمر غالبًا إلى مايوه ماركة ما قل ودل، وتستطيع العتة أن تأكله في وجبة واحدة.

وسواء كانت المشكلة سببها الغيرة، أو الزعم بالتدخل في الشئون الشخصية كفـض الخطابات أو اختيـار الصديقات والأصدقاء، فإننا نرى المشـكلة في كل الأحـوال تنتهي بما تريده هي، فلأن الأذكياء يحسـنون اختيـار أعدائهم، فالمرأة تحسـن اختيار العدو الذي تدفعه في النهاية إلى الاستسـلام: الرجل. أما الرجل فلا يهمه إلا أن يكون العدو أشقر أو أسمر، ومياس القد وكحيل العين!



أكذوبة مشهورة

إن الحب هو الأكذوبة الوحيدة الرائعة التي نصدقها رغم تكرار انكشافها، وهي أكذوبة تستغرق عادة مداها الزمني دون أن يستطيع أحد انتزاعك منها بمحاضرة أو نصيحة، فالإنسان لا يستطيع أن يتخلص من الحب إلا بالطريق الطبيعي وهو الزواج من المحبوب.

والزعم بأن الحب يمكن أن يتحول إلى صداقة فورًا أمر مستحيل، فأزمات الحب التي تبلغ حد الجراح أو نقطة اللّا عودة لا يمكن أن تسمح بقيام صداقة صافية أو غير صافية، وإذا كان هذا ممكنًا فلأن الإنسان يميل إلى الضحك على الآخرين ويميل أكثر إلى الضحك على نفسه.

والنصائح المعلبة والمواعظ سابقة التجهيز لنسيان الحب لا جدوى منها، لكنك لا تترك لنفسك خيارًا كبيرًا لكي تشفى، فالذي يريد أن يقلع عن التدخين لا يعتبر أنه قد هجر السيجارة لمجرد أنه غير اسم السيجارة إلى كراملة، ولأن الحب من ألطف أنواع الجنون، فليس هناك أسوأ من الإنسان الذي لا يعرف الصواب ويرتكب الخطأ إلا العاشق الذي يعرف الصواب تمامًا ويتجنبه، وكل العشاق يتجنبون الصواب لأنه عين العقل، والعقل يذهب بالحب (بعكس الزواج الذي يذهب بالعقل).

وكل حبيبين عبارة عن جهاز إرسال واستقبال يعملان على موجة واحدة وذبذبة واحدة، لكن الحال يختلف الآن، فأنت تحدثها الآن على موجة الحبيبة بينما تحدثك هي على موجة الصديق، والنتيجة: لا تفاهم، فإن ما يصلح لكي يُقال في الحب لا يصلح لكي يُقال في الصداقة.

وعجبي على مَنْ يتنهد اليوم قائلًا: آه لو تصبح الحبيبة زوجة، لكي يتنهد غدًا: آه لو تصبح الزوجة حبيبة!

حرب الرئيسات

يتهمـن الرجـل بأنـه درج منـذ بـدء الخليقة على إشـعال الحـروب التي تيتم الأطفـال وتحرق قلوب الأمهات، وأن الرجـال ينبغي أن يتنحوا عن قيادة العالم ويتركوا الأمر للمرأة من أجل عالم أفضل.

وهـذا الاتهام ينطوي علـى الكثير من التجني، فالمرأة عندمـا يتاح لها فرصة الحكم والسيادة السياسية فهي لا تتورع عن إشعال نار الحرب، ابتداءً من بلقيس ملكة سبأ التي شنَّت الحروب على بابل وفارس، وسميراميس التي استولت على إثيوبيـا وفارس وليبيا، وشـجرة الدر التي أدارت الحـرب الصليبية بذكاء واقتدار بعد وفاة زوجها، غير أنها خاضت حربًا أخرى ضد ضرتها أم علي فقتلتها أم علي ضربًا بالقباقيب، حتى نصل إلى عصر مسـز تاتشـر التي أشعلت حرب فوكلاند، ثم إلى عصر حرب النساء العصريات اللاتي ييتمن الأطفال أيضًا، وهي الشهيرة بحرب الأكياس البلاستيك ضد الأزواج.

ولن تسـفر قيادة النسـاء للعالم عن صورة أفضل، فالمعروف أن المرأة ترتاح إلى أن يكون رئيسـها أو مرءوسـها رجلًا لأن المرأة تكره المـرأة، ولو آلت قيادة العالـم إلـى المرأة فإن ما سـيحدث من خلافات على مسـتوى الـدول لن يكون لأسـباب سياسية أيضًا، بل لأسباب نسائية طبعًا، أما على مستوى العالم العربي، فسـوف نرى رئيسة دولة عربية تشـن حربًا إعلامية على رئيسة دولة عربية أخرى وتتهمها بالخيانة والعمالة لأنها قالت عنها إنها تداري قَرعتها بالباروكة.

هناك فرق

لا يوجد شيء اسمه نصف حب، المرأة إما أن تحب بكل مشاعرها وإما أن تتظاهر بالحب لتعطي لنفسها فرصة اختيار الرجل الأفضل (رصيدًا في البنك).

والمرأة التي تحبك تجدها شديدة الوضوح، فالمرأة تبدو للرجل الذي لا تحبه غامضة وغير مفهومة.

والمرأة التي تحبك عندما تغار عليك تفتعل أسبابًا أخرى للخناق غير الغيرة بينما المرأة التي تتظاهر بالحب تفتعل الخناق بسبب الغيرة.

والمرأة التى تحبك تشعر معها أنك على سجيتك ولا تفتعل شخصا آخر غير شخصك (ويعيب ذلك أنها قد تكتشف حقيقتك)

والمرأة التي تحبك تعطيك الراحة أيا كانت فلوسك، بينما المرأة التي تتظاهر بالحب تعطيك الراحة على قدر فلوسك.

والمرأة التي تحبك تترك لك اختيار ثوبها قبل الخروج؛ فهي ترتدي الثوب لك وليس - كالعادة - للآخرين وحرق دم الأخريات.

والمرأة التي تحبك تتوحد رؤيتها معك إلى حماقات الحب باعتبارها تصرفات عادية وليست تصرفات مجانين، فيغفر كل منكما للآخر ما قد يقرؤه الناس عنكما في صفحة الحوادث.

المرأة أقوى دائمًا

لا توجـد امـرأة تنتحر من أجل رجل؛ إذ اعتادت المرأة أن تحل مشـاكلها مع الرجل بقتل الرجل نفسه.

وصحيـح أن المـرأة تحب بعمق مشـاعرها بعكـس الرجل الذي يتسـم حبه بالاندفاع، لكنها رغم ذلك تسـتطيع أن تتكيف مع أي ظروف جديدة، ولها قدرة خاصة على مواجهة المصائب والكوارث والرجال أيضًا.

ولاعتبـارات عديـدة بينها الحمل والولادة جاء الجهـاز العصبي للمرأة متين الصنـع جـدًّا بعكـس الجهـاز العصبي للرجـل، فهو أقرب إلى شـيء كُلِّشِـنكان مكتوب عليه صنع في هونج كونج.. فكل الدراسـات تجمع على أن المرأة أكثر ثباتًـا مـن الرجـل أمام الخطر، خاصـة إذا كان يتهـدد الأسـرة والأولاد، كما أنها تحتفـظ بتوازنها أمام فقد العائل بينما الرجـل الأرمل يتصرف بتخبط واضح، أو بالتعبير الدارج يصبح «لايص».

وفي إحصائيات الداخلية لا توجد امرأة تنتحر بسـبب الحب، وإنما السـبب الأساسي بين سن 18 و20 هو الرسوب في الامتحان.

ومنـذ اللحظـة الأولـى لخلق حـواء أثبتـت المرأة أنهـا قديرة علـى التصدي للمفاجـآت المخيفـة؛ إذ خرجت من ضلع آدم تصـرخ ذعرًا من منظر الرجل ذي الشـعر الكثيـف الـذي يغطي رأسـه ووجهه، ثم احتـوت الموقف وتـوددت إلى آدم حتـى طوتـه تحت إبطها إلى أن همسـت في أذنه: «نفسـي فـي التفاحة دي يا أدومتي».

قبر الحب

المرأة أكثر صبرًا من الرجل لأن الصبر من ضرورات الأمومة، وخارج نطاق الأمومة تستطيع المرأة أن تكون في منتهى الصبر وطولة البال واللطف أيضًا مع رجل تقيل الظل ومليونير.

الطريقة التقليدية للخلاص من الحب وعذاب الحب، لا توجد طريقة - حتى الآن - أفضل منها، وهي أن تتزوج ممَّن تحب.

الإساءات الصغيرة تهدم الحب كالأخطاء الكبيرة، وهناك مثل أُورُبي يقول: «قبر الحب يتم استكماله بحفر صغيرة متصلة».

الحب - باختصار مركز - هو ذلك الإحساس السحري الذي يجعل من أم سحلول مارلين مونرو.

الحب لا يذهب بعد الزواج، والذي يحدث عادة أن كلًّا من الطرفين - بعد فترة العسل - يشعر أنه تزوج من شخص آخر.

النضج الحقيقي للرجل في مواجهة المرأة ليس هو أن يدرك ماذا تريد المرأة بل هو أن يكف نهائيًّا عن هذا السؤال.

هل الكذب ضرورة؟

كل الرجال يكذبون والنساء أيضًا، وأصدق النساء تظل كذلك إلى أن تبلغ الأربعين فتبدأ الكذب في سنها، وقد يولد الرجل صادقًا ومثاليًا حتى يتزوج فيتعلم الكذب.

والكذب له مسميات عديدة: المجاملة والكياسة والدبلوماسية والحرص على المشاعر، هذه كلها ألوان من الكذب، ومن المهم جدًّا مثلًا أن يكون جواب الزوج كذبًا عندما تسأله الزوجة: هل تخونني؟

وقد قال زوج مرة: إن الزوج العاقل هو الذي يحل مشاكله مع زوجته بالأسلوب الذي يجيده، ولما كان الزوج الذي قال هذه المأثورة ملاكمًا، فمن المتعذر على بقية الأزواج الذين لا يحترفون الملاكمة تطبيق هذه المقولة، وهنا تظهر الملاينة والكذب كبديلين ضروريين، غير أن الذي يفسد الأمر دائمًا أن الكذب يحتاج إلى قوة ذاكرة، لكن للأسف كل الأزواج ضعاف الذاكرة.

وإذا كان الكذب مشروعًا في الحب، فمن باب أولى أن نقبله في الزواج لأنه يمنع مصائب كثيرة، إن الحب نفسه كذبة جميلة شديدة الإقناع، تمامًا مثل مسلسل جديد نتابعه في التلفزيون بشغف، رغم أننا نعرف أنه كذبة اتفق المؤلف والمخرج والممثلون أن يرووها (ملحوظة على الهامش: الشاشة الصغيرة تزخر بأكاذيب أخرى نقبلها بلا احتجاج مثل الرجل الذي يظهر ليحدثنا عن النشرة الجوية والوزير الذي يظهر ويحدثنا بالأرقام)، وإذا كان الكذب في الزواج ضرورة فهو في الحب زاعقًا رغم أنه غير ضروري، فالعشاق يرددون أكاذيب غريبة مثل ذلك الذي يقول لحبيبته: «خد عين مني وطُل عليّا»؛ إذ نراه هنا يعرض عليها أن يكون «أعور» بس تطل عليه، ثم يساوم على عينيه الاثنتين ليصبح كفيفًا: «وخد الاتنين واسأل فيا»!

كداب طبعًا.

العرض والطلب

الحب لم يصبح مبتذلًا بعد اختلاط الجنسين وبعد أن أصبحت النساء على قفا مين يشيل.

إن النساء سوف يزدن على عدد الرجال إذا استمر نشاط حركة تعبئة الرجال في الأكياس البلاستيك، ومع ذلك فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة العرض بالطلب: الرجل دائمًا يمثل الطرف المعروض والمرأة تمثل الطرف المطلوب، وحتى في المجتمعات التي يفوق فيها تعداد النساء تعداد الرجال كالأرجنتين مثلًا، فإن طقوس الحب لا تتغير، فالرجل هو الذي يبدأ بالتقرب إلى المرأة، والمرأة هي التي تقود العلاقة العاطفية بالمنح أو المنع، فالرجل دائمًا هو المعروض والمرأة دائمًا هي المطلوبة: يطلب ودها، ثم يطلب يدها، ثم يطلبها في الطاعة أيضًا.

وحتى في عصر الجواري وحريم السلطان، كانت هناك امرأة واحدة تنفرد برفع علمها على قلب السلطان، بينما كل امرأة من الباقيات كانت تستأثر بقلب واحد من الحرس! ونابليون مثلًا زخرت حياته بالعديد من النساء لكن امرأة واحدة كانت هي المطلوبة: جوزيفين، بينما كان نابليون بجلالة قدره هو المعروض؛ فالحب وحده هو الذي يجعل المرأة مطلوبة، وهي لا يمكن أبدًا أن تكون معروضة لأنها هي التى تدبر الخطط بدهائها الأنثوي للإيقاع بالرجل مع تمتعها بميزة عظيمة اسمها صبر الصياد، ولن يكون هناك أبدًا تعبير «النساء على قفا مين يشيل» ما دام البشر ينقسمون إلى نصفين: النصف الأول النساء، والنصف الثاني المجانين بالنساء.

بروتوكول للرومانسية!

يحلم العشـاق دائمًا بحياة رومانسـية في ظل الزواج تستمر مدى العمر، وإذا تجاوزنـا عن أن هـذه نكتة وقديمة وبايخـة أيضًا، إلا أن العشـاق لا يكفُّون رغم ذلك عن التفكير في رومانسية لا تنتهي! كيف؟؟ وما هو السبيل؟؟

هل من الممكن مثلًا - في عز العسل - وضع ملحق لعقد الزواج، بروتوكول يتضمَّـن بنودًا ملزمة للطرفيـن لمنع الخلافات الزوجية والاحتفاظ بالرومانسـية علـى قيد الحياة ؟؟ لا أظن؛ لأن هذه البنود - مع زوال سـخونة الغرام - سـوف تصبح ذات آثار جانبية غير مسـتحبة، ولنضرب مثلًا بعاشـقين وضعا بروتوكولًا تضمَّن المواد التالية:

مـادة 1- لا يجوز لأحد الطرفين التصرف في مصـروف البيت في غير أوجه الصرف المخصصة له.

يعيب هذه المادة - بعد انحســار الغرام - أن الزوجة سوف تضطر إلى تكملة المال اللازم لفساتينها من محفظة الزوج أثناء الليل.

مـادة 2- يحـدد الطرفان يومًا معينًا في الأسـبوع يواجه فيـه كل طرف الآخر بسلبياته ويعبر عمَّا في صدره من ضيق دون غضب.

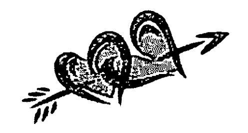
ويعيــب هذه المادة - بعـد زوال الغرام - اضطرار الجيـران إلى التدخل عند التشابك بالأيدي.

مـادة 3- لا يجـوز السـكوت علـى مشـكلة دون الوصول إلى حـل لها مهما كانت صعوبة هذا الحل.

ويعيب هذه المادة - في المدى الطويل - أن يضطر الاثنان للجوء للمأذون.

مادة 4- إذا لاحظ طرف أن الطرف الآخر متوتر ويوشك على الخناق، فعلى الطرف غير المتوتر أن يخرج ويتمشى في الشارع.

ويعيب هذه المادة أن كلًّا من الطرفين سيقضي حياته يتمشى في الشارع.



الحب العذري

لا يوجد في العلاقة بين الرجل والمرأة ما يسمى بالحب الأفلاطوني، الحب الأفلاطوني حب تصوره أفلاطون متساميًا عن الفرد إلى التأمل الصوفي في الخير والحق والجمال، وكما هو واضح لا علاقة لمثل هذا الحب برمش عينها ولا ضحكة شفايفها ولا تفاح خدودها، لكن شاع معنى الحب الأفلاطوني باعتباره لونًا منزهًا عن اللمسة والقبلة، وهو حب لا وجود له في واقع الحياة إلا عندما يحب رجل امرأة لا تطيق رؤية سحنته..

كذلك الحب العذري الذي لا يستمد من الحب العفيف كما يوحي اسمه بذلك، بل هو منسوب إلى قبيلة بني عذرة التي ينتمي إليها العشاق الرومانسيون الأمويون مثل جميل بثينة، ومثل هؤلاء العشاق ابتداءً من قيس وليلى ومرورًا بكُثيِّر عزة لم يكن حبهم منزهًا عن الحس، فقد وصفوا مفاتن الحبيبات، ومنهم من أهدر الوالي دمه، بل ونرى «قيس» المجنون ينافس قاسم السماوي وهو يسائل وردًا - زوج ليلى - في مسرحية أمير الشعراء قائلًا: بربِّكَ هل ضممت إليكَ ليلى.. قبيل الصُّبحِ أو قبَّلتَ فاهَا (جتنا نيلة في حظِّنا الهباب)..

فلا يوجد حب غير حسي طالما أن مفاتن الأنثى هي الفخ الأبدي المنصوب للرجل لاجتذابه وتكوين العش والأسرة.

لقد أسندت إلى الرجل مهمة الجري خلف المرأة مأخوذًا بالمفاتن حتى إذا أوقعته في حبائلها وأدخلته العش استأنف الجري خلف الأخريات، وهكذا كتب على الرجل أن يجري دائمًا: مرة خلف زوجته مطاردًا لها، ومرة أمامها هاربًا منها.

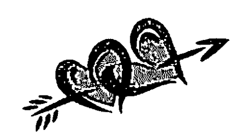
فلوسك

الحب هو الحب في كل زمان، وليس صحيحًا أننا في عصر ينفرد بعبادة المال، الصحيح أن الناس تموت في الفلوس وأن المال يلعب دورًا رئيسيًّا في الحب من قديم الزمان.

قالت ستي في أمثالها: «معاك قرش تساوي قرش»، و«بفلوسك بنت السلطان عروسك»، وقال العرب القدامى: «أظهَرُوا للناسِ زُهدًا.. وعلى الدينار دَارُوا.. وله صاموا وصلُّوا.. وله حجُّوا وزارُوا»، وقال الإنجليز في أمثالهم: «إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من النافذة»، وقال الفرنسيون: «عندما يتعلق الأمر بالمال، فكل الناس لهم تفكير واحد»، وقال مثل أوربي: «ثلاثة هم أخلص الأصدقاء: زوجتك العجوز، وكلبك الوفي، وفلوسك الجاهزة»، وأجمل الجميلات يتزوجن العواجيز المليونيرات، فالمرأة أمام الشباب والمال لا تملك حق الاختيار.

وثانيًا: أن الرجل المعاصر لا يختلف عن الرجل القديم في العلاقة بالمرأة، فبلاهة الرجل قديمة قدم حادث التفاحة، واهتزاز إرادته أمام المرأة أمر لا جدال فيه، ويقول الله تعالى عن آدم: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾، لقد سقط آدم في أول امتحان ولا يزال يسقط كل يوم، وكل يوم تخرجه امرأة من جنته: جنة الراحة، أو جنة النجاح، أو جنة المجد، أو جنة المنصب، ولا عبرة لأنه لا يريد أن يعتبر، فعنده عذر جاهز يردده من آلاف السنين: «أحببتها وكنت أعمى»، يا عيني على خيبتك، إن أبلغ ما قالته ستي عن الرجل في أمثالها الشعبية: «العايز أهبل».

ثالثًا: لعل الذي تغير في الأطراف الثلاثة: هي وهو والحب: المرأة. ذهب عصر الهوانم والنواعم وجنحت المرأة إلى العنف، لقد أخذت من الرجل شراسته وفظاظته، وتركت له عبطه وتركت أيضًا فروسيته، فالرجولة الحقيقية فروسية، وعيب المرأة الذي سوف يطاردها إلى الأبد أنها مش راجل.



إلا الخطوبة

لا يوجد إنسان كامل، وكل إنسان فيه عيوب، ومسموح لكل إنسان بنسبة معينة أو حد أدنى من العيوب المقبولة والتي لا تمنع من إدراجه في قائمة أولاد الحلال الطيبين، أما العيوب الجسيمة فهي مرفوضة تمامًا كالبخل مثلًا أو حب الأذى.

كذلك يعتبر الكذب عيبًا جسيمًا في مرحلة الخطوبة، فهو خطيئة كبرى مع حياة زوجية لم تبدأ بعد؛ إذ يتحول هنا إلى غش وتضليل، لكن الكذب مسموح به فيما بعد عندما يتحول خطيبك إلى زوج مزمن؛ إذ إن الرجل عندما تتقدم به الحياة الزوجية ويصبح مواطنًا من الدرجة الثالثة في البيت، فهو عندئذ لا يملك إلا الكذب؛ لأن الكذب سلاح الضعفاء والعبيد، ومن غير المقبول «أن تمسكي لخطيبك ع الواحدة» - كما يقول التعبير الدارج - طلبًا منك للكمال في شخصه، فالكثير من العيوب يدخل ضمن العيوب المقبولة، وبعضها يدخل في نطاق الذوق الشخصي، المهم أن تكون شخصيته من معدن جيد، وكما يتم تقييم السلعة بمكان إنتاجها، فهناك الإنسان الأصيل الصنع، كما أن هناك الإنسان الفالصو المكتوب عليه صنع في تايوان أو صنع في هونج كونج.

كل الرجال يتشابهون في ادعاء الغزوات العاطفية، وكل واحد هو أمير العشاق في زمانه، وكل واحد ماتت فيه النساء صبابة، وهي كلها هلوسة غير ضارة يصنعها وهم التفوق العنصري للرجل.

يُفضلنه خائنًا

المـرأة تُولَع بالرجل الذي يتفرغ تمامًا لحبها ولا يشـغله عمل أو واجب غير هواهـا، ويكـون متحدثًا طوال الوقت (بعكس الزوج الذي يكون مسـتمعًا طوال الوقـت)، وأن ينصبَّ حديثه عن جمالهـا وحلاوتها وطعامتها ويمتنع عليه تمامًا أي حديـث عن نفسـه أو عن الآخرين، وقـد يتوهم الرجل أن حديثـه عن عينيها وشفتيها أصبح معادًا ومملًا، لكنه لا يعرف أن المرأة تسمع عبارة «عنيكي تجنن» للمرة المليار، وكأنها تسمعها لأول مرة، ويستهويها الرجل الكمبيوتر الذي برمج لسانه على كلمة أحبك بمعدل عشرين مرة في الساعة، ويستهويها الرجل اللعبي الذي تتطلع إلى استخلاصه من أيدي النساء، فمثل هذا الرجل أثير عندها لأنه يثير شهيتها في تحدي الأخريات وإثبات تفوقها عليهن جمالًا وأنوثة، ومثل هذا الرجل لا بـد أن يكـون لعوبًـا وكذوبًا وهي تعـرف ذلك تمامًـا لكنها تمني نفسـها بأنها ستجعل منه صاحب فضيلة وسعاد وليلى وأخريات.

إن الرجال - على الكرة الأرضية - ينقسـمون عند المرأة إلى قسـمين: الرجال المفضلون عندها، والرجال الطيبـون، فالرجل المفضل عندها هو اللعوب الخاين الكـذاب، تجـري هي خلفـه للانفراد بصيـده دون النسـاء، والرجل الطيـب لا يثير مشاعرها لكنه ضرورة في حياتها أيضًا، إنها تستخدمه كقطعة من إكسسوارات الزينة، فهو الذي يرضي كبرياء أنوثتها وجمالها بالجري خلفها واسـتعطافها واسترحامها، وأنه - باختصار - يقوم بالدور الذي يقول عنه أحمد رامي: «عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك»، بينما هي تقوم بدور الذليل مع الرجل اللعبي، وهي تتصور طوال الوقت أنها سوف تتمكن منه وتكيد الأخريات وينتهي بها الأمر إلى لطم الخدود وهي تردد كلام ستي في أمثالها: «خدتك أكيد العواذل كدت أنا روحي»!

والكل يفضلنه.. خائنًا!

الحب والخبز

خدعوك فقالوا الحب قبل الخبز. كلام فارغ، الخبز أولًا قبل الحب والجنس وكل شيء، حتى الطفل الوليد يبدأ الارتباط العاطفي بأمه لأنها مصدر الإشباع الوحيد في الحياة والجوع يطيح بالحب، وينكر كل القيم ولذلك قالوا الجوع كافر، ويمكن أن نتصور حبيبين في قمة الحب (أي غير زوجين) تائهين في الصحراء ويشرفان على الهلاك جوعًا، طبعًا هي لا يمكن أن تفكر في أي حب، وبالتأكيد هو تراوده فكرة واحدة فينظر إلى ذراعها المربرب مرددًا في سرِّه - لشدة الجوع - «أكلك منين يا بطة».

ويقول شتاينبك إن هناك خيطًا رفيعًا بين الجوع والغضب، ويقول المثل الإنجليزي: «الرجل الجوعان رجل غضبان»، ولذلك يحسن أن يتجنب كل طرف حبيبه الجائع، ففي الجوع تزداد حساسية الجهاز العصبي ويصبح الإنسان ضيق الصدر، سريع الانفعال، على استعداد للخناق بلا سبب وكأنه زوج مزمن، ولا يمكن لإنسان أن يحب أو يغازل والجوع يؤلمه، ويحكى مثلًا أن عريسًا قضى يوم زفافه والليلة السابقة عليه دون أن يذوق طعامًا، وما إن انصرف المدعوون بعد الزفاف حتى قال لعروسه: «يا حبيبتي.. إنني أنظر إلى وجهك الفاتن وأحاول أن أقاوم نداء الطبيعة لكنني عاجز عن المقاومة»، وترك العروس وأسرع إلى الثلاجة.

وكل التجارب التي أجريت على الحيوانات أثبتت أن الخبز قبل الحب دائمًا، وفي أحد التجارب وضعوا فأرًا ذكرًا في متاهة، عند فتحتها الأولى طعام وعند فتحتها الأخرى فأرة (أي أنثى فأر) فانطلق الفأر في المتاهة واتجه إلى الطعام وتكررت التجربة مرات عديدة، وفي كل مرة يختار الفأر الطعام حتى بعد أن شبع تمامًا ولم يتجه إلى الفأرة ولا مرة.

وتبين أن الفأرة زوجته.

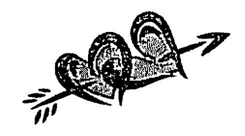
الحبيب النموذجي

عوامـل الاجتـذاب ينبغي أن تظل قائمة بين الرجل والمـرأة بعد الزواج، غير أن المـرأة اعتـادت أن تُهمـل مظهرهـا وهي داخـل البيت ولا تتزيـن أو تتأنق إلا قبل الخروج. والمرأة أيضًا تتمنى أن يكون زوجها جذابًا وأنيقًا لكن الزوج عادة لا يملك إمكانيات الأناقة لأسـباب قهرية، أحدها - مثلًا - أن أمام كل خمسـين فستانًا تشتريها الزوجة يشتري الزوج ربع بدلة أو ما يعادل فردة بنطلون.

وتعطينـا الأسـاطير القديمة صـورة الـزوج النموذجي الجذاب في شـخص هيمن إله الزواج عند الإغريق فهو فائق الوسامة صحته حديد (بعكس مواصفات الزوج المتعارف عليها عالميًّا) سعيد جدًّا، ولا يعاني الكآبة والأفكار الانتحارية (خصوصًا أول الشـهر) يمسـك بيده شعلة تنير له وللأسـرة طريق السعادة، وهو ينتسـب من ناحية الأب إلى أبوللو رب الشعر والوسـامة الرجولية، أما الأم فهي أفروديت ربة الجمال، وتقول الأساطير عن الزوج السعيد هيمن إنه أنقذ مجموعة من الحسناوات تعرَّضن لهجوم القراصنة وكوفئ على ذلك بزواجه من إحداهن، فعاش في شهر عسل دائم ولم يفكر لحظة في أن يستعمل الشعلة الحديدية التي يمسـك بها لشـج رأس زوجته، ولهذه الأسـباب جميعًا حملت كل أناشـيد ليلة الزفاف اسـم هيمن، ولا شـك أن هذا الهناء الذي عاشه هيمن مع زوجته يطمئن كل زوج جديد ويؤكد له أن السعادة الزوجية توجد في الأساطير.

غيـر أن الأسـطورة لـم تشـرح لنـا موقف زوجـة هيمن مـن زوجها الوسـيم الجذاب، فإن زواج امرأة من النجم ألان ديلون قد يسعدها كثيرًا لكنه سينتهي بها

غالبًا إلى عنبر خمسة بالعباسية بسبب الغيرة عليه، فالرجل طاووس يحب اللعب بذيلـه، والطاووس لا يفرد ذيله ولا يلعب به إلا عند مغازلة الأنثى، والأرجح أن سـر سـعادة هيمن هو أن «الإزار» أو الزي الإغريقي القديم الذي كان يلبسـه لم يكن له أي جيوب تتعرض للتفتيش الليلي.



وفاة الحب!

الحب أيضًا يموت..

إن مأساة الحب في اكتماله، فالثمرة تتجاوز مرحلة النضج المكتمل إلى مرحلة العطب، والبدر بعد تمامه يبدأ في النقصان، وفي الأساطير اليونانية كان العاشقان يتولاهما في البداية رب الرغبة «هيميروس» ثم «سواريلا» رب الغزل والكلام العسل، ثم «هيمن» رب الزواج الذي ينسب إلى اسمه لحن زفاف العروسين، ثم يحرس الزوجان «بوثوس» رب الألفة والإيناس والعشرة.

ولم تذكر الأساطير أي رب آخر بعد ذلك؛ إذ يبدو أن التكنولوجيا الإغريقية لم تكن تعرف اللدائن، وبالتالي لم يظهر «أكياسوس» رب الأكياس البلاستيك.

والحب عندما يكتمل ويبلغ ذروته تصبح أيام الشقاق أكثر من أيام الوفاق، فلا يجمع الاثنين إلا الغضب والاستفزاز وتصيد الأخطاء والخناق، ولا يطيق أحدهما البعد عن الآخر كما لا يحتمل القرب منه.

ولا نعفي الرجل في موت الحب، فالحب عنده - كمشاعر عميقة - لعبة لا يجيدها لأن الجنس عنده يسبق الحب، وكل علاقة حب عنده تبدأ بتسلية ويرجو أن تستمر كذلك، والمشاعر العميقة لا يصيبها ملل، ولعبة الجنس يقتلها الملل، لكن العلاقة قد تتطور من التسلية إلى حدث تراجيدي على يد مولانا المأذون سفاح الرومانسية في كل زمان، فالحب يموت لألف سبب وسبب والحب الذي يخلد على الزمان هو الحب الذي لم يكتمل، أو هو الذي يفرض فيه العاشقان فراقًا أبديًا، ولذلك فالقصص المثالية للحب هي روميو وجولييت وقيس وليلى مثلًا، ولهذا أيضًا لا يعمر الحب طويلًا إلا في الكتب.

ولا عزاء للسيدات.

النجاة من الأم

رحلة الحب تبدأ من الأم، وهي تعلم أن الرجل يأخذ ولا يعطي، ثم تأتي المحبوبة لتعلمه أن يأخذ ويعطي، ثم تأتي بعدها الزوجة التي تعلمه أن يعطي فقط (خصوصًا الفلوس).

وأفشل حبيب هو الذي لا ينجو نفسيًّا من مرحلة حب الأم؛ إذ يتهم كل امرأة يحبها - مهما بذلت - بأنها أنانية تهمل شأنه، فحياته الوجدانية تدور حول ذاته والأخذ دون العطاء، فهو في حاجة إلى جارية تحت رجليه، وحتى هذه الجارية سوف يتهمها بالأنانية والحب له آفات عديدة، فهو كائن حي يغضب ويرضى ويثور ويهدأ، وكالكائن الحي أيضًا هناك الحب المتزن والحب العصبي المختل الذي ينتقل من صفحة دفتر الرومانسية إلى صفحة الجرائم في الصحف.

وعيب الحب أنه لا يرضى أبدًا، ساعة الانسجام تفسدها الشكوك، وفي عز الوصال تثأر الظنون، والجلسة الرومانسية تنقلب من الهمس الهادئ إلى الانفعال الغاضب، وعندما تتوهج العلاقة الغرامية بين الاثنين ويصلان إلى الذروة يصبح الحب لعنة؛ إذ يشعر كل طرف أنه لا يستطيع أن يعيش مع الطرف الآخر ولا يستطيع أن يعيش بدونه.

فالرجل خلق لكي تحتال عليه المرأة بمواهبها، وهي مواهب تجعل أقوى الأقوياء يقف أمامها بريالة، فالمرأة قادرة على أن توحي للرجل بأنه أسد في الوقت الذي أصبح فيه حمارًا؛ لهذا يفر الرجل من المرأة العنيفة إلى الأنثى التي تجيد استخدام المواهب الفطرية، ولهذا أيضًا توجد أحيانًا على مكتب الرجل صورتان في بروازين، وهو ينظر إليهما داعيًا من كل قلبه ألا تتقابل صاحبة الصورة الأولى أبدًا مع صاحبة الصورة الثانية.

المرأة: ملكة الحب!

المـرأة هـي التـي تُعلِّـم الرجـل الحـب، هـي الأسـتاذة والمدرِّسـة وناظرة المدرسة، وهي حريصة على رسوب الرجل في كل امتحان أمامها، وهي تستغل طبيعته بدهاء، فالرجل بطبيعته غبي لأنه يعطي لنفسـه تفوقًا عنصريًّا لا وجود له، ويزهو بذكاء يتبدد مع أول لمسة من يدها، وهو الأضحوكة دائمًا، فبينما نراه في الحب له جرأة النمر نراه في الزواج في جبن الأرنب، وهو يحب جمالها ويحب مفاتنها ويحب أحاديثها حتى إذا تزوج أحب صمتها..

والمـرأة - ثانيًا - هي الأقوى لأنها تمتلك قيادة العلاقة العاطفية، وبناء عليه فهي تمتلك الضربة القاضية..

وثالثًا: الجنس عند المرأة نوعان: طفل وطفل كِنج سـايز وهو الرجل، وهي تسوس الطفل الصغير والطفل الكنج سايز بنفس الأسلوب: القمع والملاينة.

والمرأة لا تسعد إلا إذا كان في حياتها رجلان، واحد هي جاريته والآخر هي أميرتـه، الأول تقول له: أعبدك، والثاني يقول لها: عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك، الأول موقعه بين ذراعيها، والثاني موقعه - يا ولداه - بين يديها.

والمـرأة - رابعًـا - قـد تهـزم فـي معركـة لكنهـا تنتصـر فـي النهايـة، فرغـم أن المـرأة ليسـت مشـكلة الرجـل وإنمـا هـي حـل المشـكلة، فـإن العقبـة الحقيقيـة بيـن الاثنيـن تكمـن فـي أن كلا مـن الطرفيـن ليـس لديـه رغبـة قويـة فـي التفاهـم بقـدر مـا لديـه رغبـة أقـوى فـي التسـلط، والمـرأة لا ترفـع الراية البيضاء إلا إذا وقعت في هواه، ثم لا تلبث الراية البيضاء أن تنتقل إلى يده في بيت الزوجية، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

كيدهن عظيم

لا يوجد حب حقيقي وغير حقيقي، بل يوجد حب أو لا يوجد، والمرأة إذا أحبت تفانت، ورغم أنها أكثر صبرًا واحتمالًا من الرجل إلا أن الفشل في الحب عندها نكبة ونسيانه يكاد يدخل في خانة المستحيل، وإذا كان الفراق عند المرأة كارثة فهو عند الرجل مجرد حدث مزعج؛ لأن الرجل عمومًا حبه حسي بالدرجة الأولى، فنادرًا ما يوجد الرجل الرومانسي الذي يقاسي، وإن وجد، فإن الأمر قد ينتهي به إلى الزواج الآلي ليصبح زوجًا لامرأتين، واحدة في البيت والأخرى في قلبه.

والحب عند المرأة ينقلب بعد الفراق إلى لعنة؛ إذ تظل تقارن كل رجل تلتقي به بالرجل الذي كان: هذا ليست له شخصيته، هذا ليس له حضوره، هذا ليس له حديثه الجذاب، وهي تظل تلفظ رجلًا بعد آخر حتى تكاد تفقد فرصة الاختيار عندما تفلت منها سنوات العمر فتستسلم بلا شروط ما دام كل الرجال يتساوون بعد حبيب العمر.

وليس صحيحًا أن المرأة في هذه الحالة «تتعس» الرجل الذي تزوجته، بل هو سوف يقتنع تمامًا أنه الرجل الأوحد في حياتها، وأنه حبها الأول والأخير، فالمرأة لديها قدرة خارقة على الإقناع بأن الحب يأتي بعد الزواج، وهي تستمد هذه القدرة من موهبتها على التظاهر بالحب، وتلك الموهبة زودتها بها الطبيعة ليسهل عليها تحقيق الهدف: الزواج وبناء العش، فأي بنت غير مجربة تستطيع أن توحي إلى أي شاب مهما كان مجربًا أنها أصبحت صريعة هواه، وهي تسعده بمواقف رومانسية باهرة، وهي توهمه بالحاجة العاطفية إليه بينما هي تضعه تحت الاختبار لتفاضل بينه وبين آخرين يقفون ببابها، وبعد كل هذه العواطف المتقدة يضرب الشاب كفًّا بكفٍّ في ذهول، وهو يقرأ خبر خطبتها دون أن تقول له حتى كلمة وداع.

إنها مشكلة الرجل الأبدية أمام المرأة: العبط.

متهم حتى تثبت براءته

الرجل عمومًا متهم في إخلاصه، إن التطلع إلى امرأة جميلة مثلًا يمكن أن يكون بريئًا من جانب عاشق للجمال، تمامًا كالتطلع إلى لوحة أبدعها عبقري.

وكما أنه كله عند العرب صابون، فكله عند النساء أيضًا صابون؛ إذ تتساوى عند المرأة نظرة الرجل إلى امرأة أخرى، سواء كان ذئبًا أم عاشق جمال؛ لأن النظر إلى امرأة أخرى جميلة ليس إلا مؤشرًا على فراغة عينه، فالرجل مشدود إلى المرأة بعينيه، ويمكن أن يعقب هذه النظرة سلام فكلام فموعد فسهولة اصطياده، يعني يمكن ترجمة العملية كلها إلى: النظرة الأولى له والباقي عليها..

ونظرة الرجل إلى امرأة جميلة قد تعتبر في نظر بعضهن جناية تستوجب اللجوء إلى بيت أمها، وبعضهن يخفضنها إلى جُنحة، وبعضهن يرينها مخالفة يمكن التغاضي عنها، ولكن لا توجد امرأة واحدة تحكم لهذه النظرة بالبراءة؛ فالنساء تحت الجلد متشابهات تمامًا في النظر إلى إخلاص الرجل، هذا في الوقت الذي قد يثق فيه الرجل بالمرأة التي يحبها ثقة مطلقة لأسباب تتعلق بتخلفه العقلي أمام الأنثى.

لهذا تظل المرأة مفتوحة العينين دائمًا لحراسة إخلاص الرجل من عدوان امرأة أخرى، وهي تعتقد دائمًا أنه مدان حتى تثبت براءته التي لن تثبت أبدًا، وهي عندما لا تصل إلى برهان إدانة لا تمتلئ بالتمرد ويصبح أمامها أحد طريقين: طريق تسلكه المرأة العاقلة، وطريق تسلكه الأغلبية!

المرأة العاقلة تسوس الرجل بدهاء الأنثى وتغمض عينيها عن الصغائر التي لا تمثل خطرًا على البيت وتعطي له مساحة حرية يتحرك في حدودها، الأغلبية تفضل الشجار والنقار واللجوء السياسي إلى بيت أمها حتى ينصلح حاله، وهناك مَنْ تعمد إلى الانتقام بجهل غريب فترفع شعار: يكفي إخلاصي له وأنا بين ذراعيه!

العش والفندق

المرأة لا تغير مشاعرها بسهولة إذا أحبت، وإذا قورنت بالرجل فقلبها عش دافئ لا يتسع إلا لرجل واحد، بينما قلب الرجل فندق تختلف نوعيته باختلاف النزيلات، فهو حينًا فندق خمس نجوم وأحيانًا فندق نجمة واحدة (في حالة حب الشغالة).

ودور الرجل في العلاقة العاطفية يبدأ وينتهي بالمبادرة والتقرب إليها، وهي وحدها بعد ذلك التي تتحكم في مسار العلاقة تستقر أو تنتهي، والذي يستيقظ في الصباح ليجد أن محبوبته قد هجرته بلا سبب لا يعرف غالبًا أنه رسب في مادة رئيسية خلال اختبار لم يشعر به، فكل تصرف للرجل مع المرأة إما أن يضيف إلى رصيده عندها أو ينتقص من هذا الرصيد.

ونحن نتهم المرأة بأنها تحب الفلوس كما لو كان الرجل قد خُلق زاهدًا في الفلوس، مع أن الرجل الذي يكره الفلوس هو غالبًا مصاب باضطراب عقلي، ولا علاج للحب عندما تتبدَّى للمرأة أعراض البخل؛ لأن المرأة مرتبطة بعلم الحساب، فهي ذلك المخلوق الرقيق الذي «تطرح» معها الهم جانبًا، «وتقسم» معها السعادة «وتضرب» من أجلها نفقاتك في عشرة.

الحب قوة قاهرة

الحب العقلاني خرافة، فلا صادفت في حياتي امرأة تحب بالعقل، ولا رأيت رجلًا يحب بالمنطق، لكني شاهدت وأشاهد ألوف المجانين، فالحب أحلى ألوان الجنون، ربنا يجنّك، وإذا كان حبك عقلانيًا فأنت لا تستمتع بجنون الحب، وحبك العقلاني ليس حبًا، بل هو علاقة مطلية بمظاهر الحب، تنشأ عادة بين شخصين لأحدهما - أو كليهما - مصلحة في الارتباط بالآخر، فالحب العقلاني لا وجود له في الكتب العاطفية لكنه متوافر بكثرة في كتب البيزنس.

وعندما يداهمك الحب الحقيقي ويصيبك الخبل العظيم، ستدرك أن الحب قوة قاهرة كالزلزال والبركان والإعصار، لا يجدي معه تعامل عقلاني، بل إن العقل إذا تدخل في الحب أفسده تمامًا، وعندما يعرف رجل - بالعقل والمنطق - لماذا يرتبط بهذه المرأة بالذات، فهو بالقطع لا يحبها؛ لأن زوال السبب يعني زوال الحب، مثال ذلك لو اكتشف رجل أنه يعشق حبيبته لتفكيرها الذكي اللماح، فمن المؤكد أنه سوف يكُفُّ عن حبها إذا أصبحت متخلفة عقليًا بسبب إدمانها على مسلسلات التلفزيون.

والحب في حياتنا ونحن كبار نجهل أسبابه تمامًا لأنه متصل بحياتنا الوجدانية في الطفولة حيث الصراعات العاطفية والنفسية المتعاقبة التي توجه تصرفاتنا في الكبر، ولهذا السبب نرى رجلًا محترمًا يحب امرأة ساقطة دون أن تجدي معه نصائح العقلاء، كذلك نرى امرأة تحب رجلًا وهي على وعي تام بكل سفالاته، لكن نقائصه لا تشكل عندها سببًا وجيهًا للبعد عنه، وهي بالتأكيد معذورة لأن الحب لا يتعامل مع عقل، والخلاصة أننا نحب لأسباب غامضة، ولكننا نكره لأسباب معروفة تذاع عادة بعد ذبح الزوج.

يا مآمنة للرجال

الغيـرة علـى الرجل هـي الـرادار الذي يشـعر المرأة بـأن امرأة أخـرى تهدد سعادتها، وهي ظاهرة صحية لكنها - في العادة - لا تستمر كذلك؛ إذ سرعان ما تنقلب إلى مرض من أبرز أسـبابه أن المرأة لا تثـق بالرجل وقلَّما يمنحها الرجل الاسـتقرار النفسـي والأمـان، فهي مهددة دائمًـا بامرأة مجهولة لا بـد أنها أجمل وأرق وأكثر أنوثة وأصغر سـنًّا، وهي في ذلك ترفع الشـعار الذي ورثته عن الأم والجدة: «يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال».

فالرجـل خانهـا أو لـم يخنها هو خائن أو هو على اسـتعداد لكي يكون كذلك لو غفلت عيونها عنه، ولذلك غالبًا ما ينتهي الأمر بأن تتحول المرأة إلى سـجانة تحصي عليه حركاته وسكناته، وتلك بداية النهاية للحب، ويزيد من شقاء المرأة أنها تسـعى إلى الفوز بالرجل اللعوب حتى تثبت تفوقها الجمالي والأنثوي على الأخريات اللاتي يسعين للإيقاع به.

ومشكلة المرأة أنها لا تثق في أي امرأة، فهي تغار من المرأة بقدر ما تغار على الرجـل، تغـار من عيون امرأة، وتغار من شـفاه امرأة ثانية، ومن شـعر امرأة ثالثة، وقـوام امرأة رابعة، وفسـتان امرأة خامسـة، والثوب الـذي لا تتفحصه المرأة من أسفل إلى أعلى إذا ارتدته امرأة أخرى هو مريلة سجن القناطر.

والمـرأة تغـار مـن أقـرب صديقاتهـا، وهي أيضًـا تحـرص على إثـارة غيرة الأخريـات، فتسـم بـدن أعـز صديقاتها بفسـتان آخـر صيحة، وتضاحـك رجلًا لا تحبـه - وربمـا لا تطيقـه - كيدًا في امـرأة أخرى، وربمـا تخلصت من زوجها بتعبئته في كيس بلاستيك لتثير حسد وغيرة باقي الزوجات!

المسترجلة

المرأة المسترجلة موجودة من قديم الزمان، وفي أساطير اليونان أن لسستراتا دعت بنات جنسها لمقاطعة الرجال فاستجَبْنَ إليها لبعض الوقت، ثم تخلَّين عنها عائدات إلى الرجال، وبقيت لسستراتا رمزًا للمرأة المسترجلة، أو الزعيمة غير الأنثى، أو المرأة الذكر الهاربة - بلا عذر مفهوم - من التجنيد.

وكل لسستراتا مسترجلة تحاول أن تُحرِّض كل جميلة على أن تتمرد وتنتقم من الرجل، ولأن الكاتبة الإنجليزية ماري كورللي كانت أنثى جميلة فقد تساءلت في القرن الماضي: أي نوع من النساء تلك التي تطالب بالمساواة وعلى شفتيها قبلة حبيبها؟ غير أن هناك أسبابًا أخرى لظهور المرأة الذكر، أو لسستراتا القرن العشرين، فأنت تنبهر بشخص لأنك لا تستطيع أن تفعل ما يفعله، وقد كانت المرأة شديدة الانبهار بالرجل في عصور مضت، ثم أصبحت تمارس كل عمل كان يبهرها به، ففقد الرجل بريقه، وفي المجتمعات المنحلة التي طغى فيها التحرر النسائي استُنفدت تمامًا العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة، وحلَّت محلَّها العلاقة الشاذة بين المرأة والمرأة، واستسلم الرجل لجنوح الحركات التحررية النسائية فغابت هيبته، وأصبحنا نسمع عن لص نقل إلى غرفة الإنعاش لأنه تسلل في الفجر إلى بيت يسرقه فظنته ربة البيت زوجها عائدًا من سهرة.

كذلك من الملاحظ أن الأنوثة تنحسر عن النساء ببطء في العالم كله، فالمرأة تواجه مرحلة خشونة الخروج إلى العمل، والأيدي الناعمة لم تعد ناعمة، وطبيعة الاندماج مع الرجل في العمل جعلت المرأة تخشوشن وتحاول أن تكسب الكثير من صفات الخناشير، فنجحت المرأة في اكتساب السلوك العدواني، وتباهت بالعنف، لكنها كانت حريصة وواعية تمامًا، فلم تكسب من الرجل أردأ صفاته، وهو الهبل الشديد أمام الجنس الآخر.

المرأة والهدف

المرأة – قبل اختيار الزوج – تعطي نفسها فرصة المفاضلة بين الذين يخطبون ودها، والرومانسية يأتي ترتيبها العاشر في المفاضلة، حبيب الأمس الذي كانت تلقاه بالتنهيدات راحت عليه وظهر في الصورة شخص جديد تمامًا؛ لأن المرأة تختار أولًا مصلحتها، فهي التي ستواجه اقتصاديات البيت وإدارته، والأولوية عندها للرجل القادر على النهوض بمسئولياته المادية، فإن تصادف واجتمع الحب والفلوس معًا فهذه زيجة مثالية، وإذا غاب الحب وحضرت الفلوس فهي قادرة على إقناع الرجل بأنه حبها الذي لم تصادف حبًّا قبله ولن تصادف حبًّا بعده، فالمرأة إذا لم تجد مَنْ تحبه مثلت الحب على مَنْ تجده.

وهذا هو الفرق بين الرجل والمرأة، والمرأة تعرف ماذا تريد من الرجل، بينما الرجل ليس لديه أي خطة واضحة تجاه المرأة التي يلتقي بها، فهو يبدأ علاقة عبثية تستهدف التسلية، ثم يجد نفسه – إن شاءت هي – يمشي في شارع الزواج، ولذلك يمكن القول بأن قرار الزواج الذي يتخذه الرجل هو نتيجة مجهود شخصي بحت بذلته المرأة وحدها.

وإذا كنت ترى في خطبتها لغيرك مثلًا غدرًا بك لأنها فضَّلت المصلحة على الحب، فالرجل – من جانب آخر – دائم الغدر بطبعه، فمن عيوب الرجل أنه أهبل وعلى قدر كبير من التخلف العقلي أمام المرأة التي يحبها، وهذا الهبل هو مكمن الخطر الحقيقي في الرجل، فهو يندفع في حبه دون مشاعر أصيلة أو عميقة، ولكن الذي يجتذبه إلى المرأة حواس جائعة تهدد بعدم الاستقرار عند الشبع، ولذلك فإن أكبر ما تعانيه المرأة هو افتقاد الأمن النفسي تجاه الرجل وشعورها الدائم بأنه سوف يغدر بها وأنها مهددة بامرأة أخرى مجهولة، وعندما يتصل الأمر بخيانة الرجل وغدره تتحدث جميع الزوجات بأسلوب واحد، بينما يختلف رد الفعل بين استعمال حق الطلاق وبين استعمال الساطور.

هل هو خبث الرجل؟

رجـال زمان لم يكونوا أفضل من رجال اليوم لأنهم وضعوا قواعد الإتيكيت التـي تحيط المـرأة بمظاهر الاحترام من جانب الرجل، المـرأة مكفولة الاحترام دائمًا في أي مجتمع متحضر، وقواعد الإتيكيت التي تطالب بها المرأة مسـتوردة من أوربا، وأرجح أن الذين وضعوها هم في منتهى الخبث؛ إذ جعلوا معظم هذه القواعـد في خدمة الرجـل.. فالإتيكيت مثلًا يقضي بأن تتقـدم المرأة الرجل في المجتمعات، والهدف الحقيقي من ذلك هو إتاحة فرصة طيبة للرجل لكي يمشي وراءهـا محملقًا في سـاقيها؛ فسـيقان المرأة من الخلف أجمـل كثيرًا من الأمام، وإذا كانت تلبس فسـتان سهرة طويلًا يغطي السـاقين، فإن مثل هذا الفستان يتيح للرجل أن يبحلق في ظهرها العاري الذي تكشـف عنه عادة الفسـاتين السواريه. منتهى اللؤم.

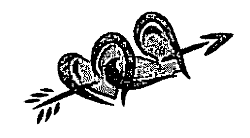
ويقضـي الإتيكيـت الأوربـي - عند نـزول المرأة على السـلم - أن يمسـك الرجـل بيدها ويتقدمها درجتين، أما في حالة صعود السـلم فيحتم الإتيكيت بأن تتقدمـه المرأة درجتين، وفي الحالتين إذا زلَّت قدمها بالكعب العالي فهي تصبح في حضنه تلقائيًا عند وقوعها. منتهى الخبث.

وقواعـد الإتيكيـت الأوربيـة تمنـع المرأة مـن أن تصفع رجلًا فـي المجتمع وإلا اعتبـر تصرفها مسـتهجنًا وأمرًا أقرب إلى الفضيحـة، وقد وضع الرجل هذه القاعـدة ليعطي نفسـه حصانة خاصة عندمـا يرتكب - من تحـت المائدة مثلًا - أفعالًا تستحق الصفع.

ويقضـي الإتيكيت بأن يقدم السـفرجي الطعام للمـرأة أولًا، وألَّا يبدأ الرجل

الأكل إلا إذا بدأتـه المرأة، وهـي قاعدة حرص الرجال الجنتلمانات على اتباعها حتى تجرِّب المرأة الأكل أولًا؛ إذ ربما يكون مسمومًا.

وحثت قواعد الإتيكيت على تقبيل يد المرأة عند الاسـتقبال والوداع، ورسم مصممـو الإتيكيـت للرجل كيف يمسـك بيد المرأة وكأنه يمسـك بقطعة حلوى ثـم يرفعهـا إلى فمه ويلثمهـا، وقيل إن الـذي ابتكر تقبيل اليد علـى هذه الصورة رجل كان يتعيَّش من أموال النسـاء، فكان تقبيل اليد بالنسبة إليه فرصة لا تُعوَّض لفحص السوليتير وكام قيراط وهل هو حر أو فالصو.

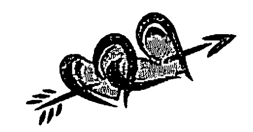


الاغتصاب الشرعي

إذا كانت المرأة قد توحّشت ونبتت لها مخالب مخضبة بدماء الرجل لا بالأكلادور، فينبغي ألا نهمل الوجه الآخر للمشكلة، وهو أن أكثر ما يستفز المرأة في علاقتها الخاصة بالرجل هو أسلوب الاغتصاب الذي يلجأ إليه بعض الأزواج بغض النظر عن استعدادها الجسماني أو النفسي أو العصبي، فهي لعبة كل ليلة، وهي تسلية جاهزة ومجانية، وبينما يعتقد الرجل أنه يمارس حقًّا مشروعًا، ترى الزوجة أنه سوء استعمال حق وعدوان على مشاعرها واحتقار لإنسانيتها، إن تسعين في المائة من الزوجات على الكرة الأرضية يُصبن بالصداع عندما يأوين إلى الفراش، وفي المقابل نرى تسعين في المائة من الأزواج يصابون بخلل في السمع لا يسمح لهم بسماع هذا العذر.

والمعادلة صعبة وتكاد تكون بلا حل، فالطبيعة زوّدت المرأة بالمفاتن الجميلة لاجتذاب الرجل، ولا توجد امرأة سيطرت على رجل بغزوٍ عقليٍّ أو فكريٍّ أو روحيٍّ، بل هي تغزوه بمفاتنها؛ لأن الرجل يحب بعينه. خلقة ربنا. ركبة عارية تشد انتباهه. ميكروجيب يقلب كيانه. بكيني يصيبه بلوثة، والمرأة تعرف ذلك، ولهذا يساندها مصممو الموضة في تعرية نفسها، والرجل هو الرجل.. يتساوى في ذلك الصعلوك والعظيم: سوكارنو وزوجته اليابانية راتونا ساري التي كانت تستثمر مفاتن جسدها كموديل للمصورين، هتلر وإيفا براون الجميلة التي لم تنل أي نصيب من التعليم، بيرون ديكتاتور الأرجنتين وإيفا المغنية المتواضعة، ماركوس وإيميلدا الغانية، ماو تسي تونج والممثلة المغمورة شيانج شنج، والأمثلة كثيرة، والذي يقرأ مثلًا رسائل نابليون إلى زوجته جوزيفين يرى بوضوح كم كان نابليون يتعشق مفاتنها رغم كل خياناتها، فالرجل برياله أمام

أنوثـة المرأة، سـواء كان هذا الرجـل نابليون أو حناطة، وإذا كانـت مفاتن المرأة هي السـلاح لغزو الرجل، فهو ينقلب إلى سـلاح ضدها عندما تعتذر للرجل بأن عندها صداعًا، وعندما يصم الرجل أذنيه عن هذا العذر كانت جدتي زمان تدعو في سرها: «روح ربنا يهد حيلك»، أما اليوم فقد أعلنت المرأة التعبئة العامة، تعبئة الرجل في أكياس.



شركة لها شروط

العلاقة الطيبة مسئولية الزوجين، فالزواج الناجح يتوقف بنسبة خمسة في المائة على ما يصدر من كل طرف، وخمسة وتسعين في المائة على أسلوب كل من الطرفين في تقبل أفعال الطرف الآخر، وهذا ممكن جدًّا بالنسبة للذين يتحلون بنعمة العقل، ولكن من أشق الأمور على الإنسان أن يكون زوجًا - أو زوجة - وعاقلًا في نفس الوقت.

كثير من الزوجات لا يدركن أن الزوج مدرب تمامًا على طاعة المرأة بحكم العلاقة بالأم، وحتى في العلاقة بالأم نرى الولد يضمر لأمه نوعًا من التمرد والعناد باعتبارها قوة متسلطة تكبح جماحه، فما بالك إذا كان التسلط من جانب الزوجة؟ لذلك ينبغي على الزوجة الذكية أن تحكم الرجل بديكتاتورية غير سافرة بأن تعطي له حق الهبهبة.

تتطلب ليونة العلاقة بين الزوجين قدرًا كافيًا من الانسجام النفسي، لكن المشكلة أن المرأة دائمًا باسمة والرجل غالبًا عبوس نكدي، كما أن فرص الراحة النفسية والبدنية غير متكافئة بين الاثنين، فالمرأة مثلًا أعمق نومًا من الرجل، وجسم الرجل لا يعمل كيميائيًّا بنفس كفاءة جسم المرأة، كما أنه أقل مقاومة للأمراض ولا يستطيع تحمل التقلبات الجوية كالمرأة؛ فهي تتمتع بطبقة شحمية تحت الجلد، هذا بالإضافة إلى أن الرجل أكثر تعرضًا - بنسبة خمسة أضعاف - للحالات الهستيرية والعصبية، والرجل أخيرًا - وهذا خبر سار - أكثر استعدادًا للانتحار، وهو بذلك يوفر مشقة ذبحه وتعبئته في أكياس.

وهناك أزواج تغلبوا على مشكلة الأعصاب المتوترة، بأن يروض الزوج نفسه على كبت ثورته، وعلى الصبر، وأن يعد من واحد إلى مائة ثم ينفجر باكيًا.

لكـن رغـم هذا كله ممكن جدًّا لكل زوج - أو زوجة - أن ينعم بلحظاتٍ من الهدوء والسعادة إذا استيقظ قبل الآخر.



أقنعة الحب

إذا قـال رجـل عـن امرأة إنـي أكرههـا فهـو يحبهـا، وإذا انتوى الانتقـام فهو يعشقها، وإذا فكرت هي في قتله فهي تعبده؛ لأن الحب يتنكر وراء أقنعة عديدة، بل إنه قد ينسـج خيوطه الأولى أحيانًا متخذًا شـكل النفور والاسـتفزاز، ولذلك قيل: «ما محبة إلا بعد عداوة»، والحب في كل أطوار تشنجاته وغضبه يضع أقنعة الكراهيـة أو الخصومة المتهورة أو الانتقام، ولكنه في جوهره حب، فعطيل كان يقتـل ديدمونة ويخاطبها - دون أن يشـعر - قائلًا: «يا حبيبتـي»، ويبتهل إلى الله أن يرحمها، والحب يخلط كل أقنعته عندما يهدأ ويموت، فإن الإنسان يعرف أنه شـفي من الحب إذا التقى بها والتقت به والمشـاعر هادئة، محايدة، غير منحازة، وكأنه لقاء زوجين في البيت.

وشـيء طبيعـي أن تكـون أعاصيـر الحـب سـببها الغيـرة، والغيـرة تكبـر أو تصغـر وفقًـا لحجـم الثقـة بالنفـس، ولهـذا لا يعتـرف إنسـان - رجل أو امرأة - بأنه يغار على الآخر، لكن مهما أنكر العشـاق الغيرة فإن كثيرًا ما تفضحهم صفحة الحوادث.

والمـرأة تفتقـد دائمًا الأمن والاسـتقرار تجـاه الرجل؛ لأنها تعـرف جيدًا أنه عبيـط يمكـن أن تسـتولي عليـه امرأة أخـرى بغمزة عين، فـإذا كانـت الغيرة عند الرجل موقفًا انفعاليًا قد تُحتِّم أحيانًا رجولته أن يحسـمه بالفراق، فإن الغيرة عند المرأة - بافتقادها للأمن - اضطراب عقلي حقيقي تصدِّق معه كل ما يخطر على بالها من هواجس، والغريب أن هناك الرجل السـاذج الذي يسـعد بجنون الغيرة عليـه ويتصـور بغروره أنه أصبـح بطلًا دون أن يـدري أن غيرتهـا المجنونة عليه يمكن فعلًا أن تجعل منه بطلًا محمولًا على الأعناق في عمر مكرم.

أنت في حالة زواج

يتحول الغرام الحامي إلى حالة زواج عندما:

- تبدأ هي في المقارنة بينه وبين الذين طلبوا يدها.

● يبدأ هو في البحث عن سبب وجيه للزواج منها.

- تشعر هي أنها تفتقد الكتف التي تضع رأسها عليها.

● يتظاهر هو بأن كتفه مصابة بالروماتيزم.

- تسترجع عهد الخطوبة أيام كان يجلس معها إلى منتصف الليل.

● يعود هو من الخارج عند منتصف الليل.

- تتذكر هي كيف كان يبدو كالأبله وهو يجري خلفها ليخطب ودها.

● يتحقق هو أنه أيام كان يجري خلفها كان أبله فعلًا.

- تبدأ هي تحار في معرفة حقيقة مشاعره.

● يبدأ هو في إخفاء حقيقة دخله.. ويغادره الشعور بأن مجرد رغباتها أوامر.

- ترغمه على تحقيق مطالبها عن طريق اللجوء السياسي إلى بيت أمها.

● يبدأ هو في سياسة ترشيد القبلات.

- تبدأ القبلة تتحول عندها إلى أمنية.

محنة تخين

الرجل في علاقته العاطفية بالمرأة بطيء الفهم، فالمرأة لها لمحات وإيماءات خاصة لا يفهمها الرجل، بينما هي تفهم الرجل وتتيقظ لكل كلمة أو نظرة منه، ولديها القدرة على تمييز رجل - وسط عشرين رجلًا - تلمح في نظرته اهتمامًا خاصًا، وهي أيضًا قادرة على قراءة أفكار رجل ينظر إليها في صمت وتتمنى لو قالت لحظتها لمثل هذا الرجل: يا قليل الأدب يا سافل.

ومن أسباب بطء الفهم عند الرجل أنه يركز تفكيره على الناحية الحسية بينما المرأة تستغرقها المشاعر الرومانسية الرقيقة ورسم الخطة المحكمة للإيقاع به زوجًا، وكلما تغلب الجانب الحسي عند الرجل تعذر عليه الفهم والاستجابة، وصحيح أن المرأة هي التي تقود العلاقة العاطفية، ولكن تصرفاتها يجب أن تبدو ظاهريًّا، كرد فعل لتصرفات الرجل، ولذلك فهي تواجه مهمة صعبة لأنها تنتظر منه دائمًا أن يفهم وأن يأخذ زمام المبادرة بلباقة، لكنه لبطء فهمه كثيرًا ما يفسر مواقفها بأنها غير مهتمة به فينصرف عنها وهذا ما لا تريده هي أبدًا، فالمرأة تعرف أن الأمر لو ترك للرجل فإنه لن يفكر أبدًا في الزواج.

إن المرأة بأدوات أنوثتها من دهاء ومناورات ومواقف تحتاج إلى رجل يفهم بسرعة متى تعني لا عند المرأة نعم، ومتى تعني نعم لا، ويجب أن نعذر للرجل بطء فهمه أمام امرأة تبدو حقًّا صعبة الفهم، فهي تقاوم القبلة الأولى مقاومة عنيفة، ولكنها تحرص جدًّا على ألا تحرم نفسها منها!

أعداء المرأة

لا يوجد رجل يمكن أن يوصف بأنه عدو المرأة؛ فالرجولة فروسية، ومشاعر العداء للجنس الآخر ليست فروسية، بل هي مرض وعقد نفسية، والرجل قوي بقدر ما يستطيع أن يستغني، لكنه مهما بلغ من قوة فإنه لا يستطيع أن يستغني عن المرأة لأنها ضرورة جوهرية لحياته، كما أنها ضرورة أيضا لوفاته باعتبار أن لكل وفاة سببًا.

ولعل أفظع ما قيل في عداء المرأة هو ما كتبه الكاتب النمساوي أوتو فيننجر في أوائل هذا القرن من أن المرأة لا خلاق لها وعبدة لشهواتها وأنها أساس التحلل والفساد، وقال فيننجر - وهو يهودي - إن النساء كاليهود تمامًا، فاليهود يعبدون المال وهم بلا ضمير ولا أخلاقيات وموهوبون في المكر والخديعة نتيجة الاضطهاد الطويل، وعصور اضطهاد النساء جعلت كيدهن خطرًا ومدمرًا.

غير أن هذه النظرة إلى المرأة تأتي أقرب إلى الحكم الانفعالي، فقد وردت هذه الآراء في كتاب فيننجر «الجنس والأخلاق» وعمره 23 سنة، وهي سن مبكرة جدًّا لفهم المرأة، كما أن موته منتحرًا يؤكد أنه إنسان غير سوي، ولو طالت الحياة بفيننجر لرجع عن آرائه، فحياة الرجل مع المرأة تحت سقف واحد تجعله يتوب إلى الله.

لكن يمكن أن يقال إن هناك صراعات بين الرجل والمرأة لا ترقى إلى مرتبة العداء؛ فهي صراعات تحكمها علاقة انفعالية اسمها الحب، والحب بين المرأة والرجل هو في حد ذاته صراع، فالحب يتنكر وراء أقنعة كثيرة، أحيانًا يضع قناع النفور، وأحيانًا قناع الغضب، وأحيانًا قناع الانتقام، فعن الحب نقرأ أحلى الرومانسيات في الكتب، وعن الحب أيضًا نقرأ أغرب الأخبار في صفحة الحوادث.

وللحب مراحل

الحب الأول أو حب المراهقة ليس بذي تأثير فهو يبدو لنا دائمًا كحلم أو منام ضاع الكثير من تفاصيله، وأفضل ما في هذا الحب الأول أنه لا يؤدي أبدًا إلى الزواج.

والحب الثاني قد يقع في عنفوان الشباب، حيث تتعجل المرأة الحصول على عريس بينما قد يصاب الرجل في تلك المرحلة بعمى الأشخاص، وكما يخطيء المصاب بعمى الألوان في التمييز بينها تتدخل عوامل الاندفاع وافتقاد التجربة في اختيار الشخص الخطأ، ويُقال إن الزيجات المترتبة على هذا الحب تقع فيها ثلاث حوادث طلاق في كل خمس زيجات، وتستمر الزيجتان الباقيتان بسبب عدم توفر مؤخر الصداق مع الزوج.

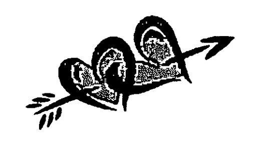
والحب الثالث قد يطل مع سن النضوج العاطفي عندما يتعلم الرجل أن يعطي بسخاء وتصبح ردود أفعاله مع الطرف الآخر تتسم بالتفهم وتقدير الظروف، ومع أن هذه أفضل مراحل الرجل إلا أن المرأة قد لا يرضيها هذا الرجل، فكما تشكو المرأة من الرجل اللعوب فهي تضيق بالرجل الطيع الذي لا يثير غيرتها وربما يثيرها بسرد غراميات سابقة له، وربما تكون كل هذه الغراميات من تأليفه، فالرجال يميلون كثيرًا إلى اقتباس صفحات من مذكرات كازانوفا، فإذا كان ما رواه صحيحًا يبرز سؤالك: إنني أخشى أن تنتهي قصته معي كما انتهت القصص الأربع السابقة، والجواب هو أن الحب يولد لأسباب غير مفهومة لكنه ينتهي لأسباب قوية كتطور شخصية طرف دون الآخر، أو اكتشافها أنه متزوج، أو اكتشاف كل طرف لندالة الآخر.

ملكة العشق

فوجئت وأنا أشاهد التلفزيون بأن هناك فيلمًا عالميًّا آخر عن كبرى عاشقات التاريخ كليوباترا غير فيلم إليزابيث تايلور، وعجبت لأن السينما الأمريكية تحتفل بالتاريخ المصري القديم فتقدم أفلام «كيلوباترا»، «بن هور والمصري»، وغيرها، بينما السينما عندنا لم تفكر أبدًا في الاقتراب من تاريخنا الفرعوني.

ونحن نشكر للسينما عندنا أنها لم تقترب من تاريخنا الفرعوني، فهذا يحفظ لتاريخنا عظمته وجلاله، لكن ينبغي القول بأن السينما عندنا لم تتجاهل تمامًا تخليد قدماء المصريات، فقدمت مشكورة أفلام زوبة الكلوباتية، وبسيمة شخاليل، وغيرها، ثم لماذا كليوباترا بالذات؟ ولماذا هي فذة؟ إن كليوباترا لا تمت لمصر بصلة، فهي يونانية لحمًا ودمًا واسمًا أيضًا، ومعنى اسمها باليونانية: سيدة الجميع، أو ست الكل، ومن المؤسف أن هذه الملكة غير المصرية حظيت - عن طريق سوء السير والسلوك - بشهرة تاريخية طاغية تفوقت على شهرة ملكات مصريات فاضلات كان لهن أسمى قدر ومكانة عند المصريين مثل: تي، ونفرتيتي، وحتشبسوت، ولقد أسرفنا في تخليد هذه الغانية اليونانية بلا معنى، فأطلقنا اسمها على حي كليوباترا بالإسكندرية، وكليوباترا المحطة، وكليوباترا الحمامات، وبلاج كليوباترا، وكليوباترا سوبر، وكليوباترا عبد الوهاب، مع أن تاريخها الحقيقي مع المصريين كله محن وآلام مما دفعهم إلى الثورات المتوالية في وجهها حتى فرَّت ذات ثورة متخفية من الثوار وسط بدو الصحراء، لكن الفن لا يذكر شيئًا عن نضال المصريين ضد حكمها ويكتفي بسرد غرامياتها، والفن أيضًا رسم لها صورة رومانسية أخاذة تخالف واقعها تمامًا؛ إذ يقول عنها المؤرخ بلوتارك الذي عاصرها إنها كانت سوقية الألفاظ وغير مهذبة، وإنها كانت تتبادل

مـع أنطونيـو النكت الخارجـة بألفاظ بذيئـة، لكنه الفن الذي يضفي دائمًا لمسـة الجمـال، فالفـن هو الذي صوَّر لنا مجنـون ليلى في وسـامة الممثل أحمد علام وصـوت محمـد عبـد الوهاب، مـع أن قيـس الحقيقي مضـت عليه السـنون في الصحراء دون أن تمتد إليه يد حلاق تغير من شكله الغوريللي، ودون أن يستحم طبعًا، والفن أيضًا هو الذي حول سـيدة إيطالية اسـمها مدام فرانشسكو من سيدة هَبَّ فيها «وابور سبرتو» مسح حواجبها إلى لوحة خالدة اسمها الموناليزا.



أحبك!

جـاء إلى الوطن يزور الأهل ورآها، ووقع في هواها، غير أن أهلها رفضوا أن تسافر معه إلى المهجر، فترك النجاح والثروة وعاد من أجلها إلى الوطن ليبدأ من جديد، وصبر، ونجح، وتفوق، وعاش وعاشـت معـه في أحلى حلم على أرض الواقـع، ولـم يحتمل شـرود النظـرة الحزينة فـي عينيها، فاصطحب شـقيقها إلى الخـارج، وتبـرع له بكليته، ونجحـت العملية، وعادت الابتسـامة تضيء وجهها وقـد تضاعـف حبها له، كيف يمكن أن تكافئ هذا الرجـل؟ إنها مهما فعلت فلن تستطيع أن تجاري هذا العطاء الخرافي المتدفق.

فـي السـنة الثالثـة ظـل الحـب بينهمـا متوهجًـا ورائعًـا وكأنـه فـي شـهوره الأولـى، ثـم بـدأت تفتعـل خلافـات تتيـح لهـا البـكاء، وذات مـرة ذهبـت إلـى بيـت أسـرتها وانفجـرت فـي حضـن أمهـا باكيـة لتفصـح - للمرة الأولى - عن مشكلة حياتها الأليمة.

مشكلة حياتها أنه طوال السنوات الثلاث لم يقل لها ولا مرة: أحبك!

صدِّق أو لا تصدق.

إنني شخصيًّا أصدق، وأتلمس العذر لهذه الزوجة، ويجوز أن الزوج لم ينطق بهـذه الكلمة لأن الناس - فـي نظره - ابتذلوها، وقد يرى أن حبه أكبر وأروع من أن تعبر عنه بكلمة رخصت كثيرًا، لكنها - في كل الأحوال - أحلى كلمة تتعطش لسـماعها المـرأة فـي كل وقـت، فالمرأة بالنسـبة لهـذه الكلمة ذاكرتهـا «تيفال» لا تلتصق بها كلمة أحبك، ولذلك فهي تحب أن تسمعها كثيرًا في كل حين وهي

تفضـل أن يكـون الرجل كسـاعة الحائط يدق لهـا كل ربع سـاعة بكلمة أحبك، فالمرأة فقيرة الثقة بالرجل، ومهما كان رصيدها من الحب عنده فهي تجدد ثقتها بالرجل سـاعة بساعة، وكلمة أحبك هي المؤشر على وجود الرصيد مهما كانت الأفعـال تؤكـد وجوده، وحتى فـي أحلى لحظـات العطاء عند الرجل يسـاورها الشك بأنه يغطي بعطائه خيانة من خلف ظهرها (وهذا ما يحدث غالبًا).



عاصمة الرجل

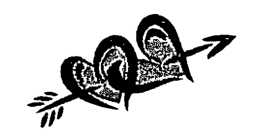
الجيب هو عاصمة الرجل، فهو أهم موقع إستراتيجي تسعى المرأة للاستيلاء عليـه، وكما يُقال فـي البلاغات الحربية: وتقوم قواتنـا بتطهير الجيوب من فلول العـدو، يُقـال أيضًا: وتقـوم الزوجة بتطهيـر الجيوب من فلـوس العدو، والحب يرتبـط ارتباطًا هامًّا بحالة الجيـب عند الرجل في مختلف مراحل العمر، فالطفل يحصـل على الحب بلا مقابل، والشـاب يحصل عليه بالوعد بالزواج بما فيه من مهر وشبكة وشقة، والعجوز يشتريه بالفلوس.

ولا تصـدق أن هـذا العصـر بالـذات هـو عصـر المـادة، فكل زمـن هو زمن الفلـوس، وسـتي تقول فـي أمثالها من قديـم الزمـان: «اللي معاه قرش يسـاوي قـرش»، و«بمالي أعمـل ما بدالي»، و«صاحـب القرش صيَّـاد»، وإذا قيل لها إن سـت الحسن والجمال أحبت الشاطر حسـن وتركت ابن السلطان، رفعت ستي حاجبًا وأنزلت الحاجب الآخر ومصمصت شـفتيها قائلة: «كل شـيء جايز حتى حَبَل العجايز».

وتفتيـش جيـب الرجـل عادة زوجيـة قديمة قِـدَم اختراع الجيـب، ولـم تفلح محاولـة واحدة لوقف هذا التفتيـش، كذلك الرجل الذي ظل يضع في كل جيب من جيوبه نسخة من قصاصة جريدة مكتوب فيها: رجل يقتل زوجته لأنها تفتش جيوبه، حتى ذهب إلى عمله ذات صباح فوجد في كل جيب نسـخة من قصاصة أخرى تقول: زوجة تقتل زوجها بالسم لخيانته.

والزوجـة مضطرة إلى هذا التفتيش لأن جيـب الرجل هو النافذة التي تحاول أن تطل منها على مسـلكه الاقتصادي، فالمعروف أن الزوج - في ظل الحكومة

الزوجيـة - مؤمـم وحيازته لمال خاص غير معلن عنه تشـكل جريمة ضد المبدأ الدستوري النسائي الشـهير «قصقصي طيرك لايلوف بغيرك»، وقد يؤدي فحص المنديل في جيب الرجل إلى معلومة جديدة هي أنه يكره اللون الأحمر ويسـعى دائمًا إلى مسـحه وإزالته بذلك المنديل، إن جيب الرجل قد يكشـف عن هواياته خـارج البيـت؛ إذ قد تدل أوراق متناثرة في الجيوب على أنه من هواة جمع أرقام التليفونـات وينـوي تأليف دليل تليفون حريمي، والمؤسـف أن الرجل لا يصبح على مستوى المسئولية في ممارسة هذه الهواية عندما يُضبط متلبسًا برقم تليفون في جيبه، فما إن تسـأله هي: ما هذا الرقم؟ حتى يرتبك، ثم يزعم أنه رقم رخصة السـلاح أو رخصة البناء أو رخصة السـيارة أو أي رخصـة، فتمد يدها إلى قرص التليفـون وتدير رقم الرخصة، ومـا إن يرد عليها صوت ناعم حتى تقول الزوجة: «يا سلام سلِّم الرخصة بتتكلم»!



في التشريح؟

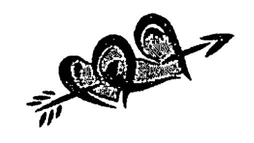
إن الرجـل يتمتـع بمميـزات خلقية أو فسـيولوجية تجعله سـوبرمان بالنسـبة للمـرأة، وفيمـا عدا النواحـي البيولوجيـة المعروفة، فـإن المـرأة لا تختلف عن الرجل من الناحية التشريحية، إن عين الرجل وأنفه وفمه مثلًا تعتبر بروفات أولية لأشياء أجمل وأرق وأدق هي عين المرأة وأنفها وفمها.

خـذي مثـلًا رقبة الرجـل: كلها شـعر ومنظرها مزعـج، بينما رقبـة المرأة لها وظيفة جمالية ووظيفة اجتماعية أيضًا، فهي مصدر رزق للجواهرجية، بينما رقبة الرجل لا تعتبر مصدر رزق لأحد إلا في حالة واحدة نادرة، وذلك عندما يكسب منها عشـماوي عشـرة جنيهات عند شـنق الرجل وقطم رقبته، كذلك نلاحظ أن رقبـة الرجل تتوسـطها تفاحة آدم، وهي رمـز للتفاحة التي غيـرت مجرى الحياة البشرية منذ بدء الخليقة، ووجودها في منتصف رقبة الرجل يرمز إلى أنها وقعت في زوره، فلا طال سماءً ولا طال أرضًا.

وصحيـح أن التشـريح لا يختلف، لكـن تبقى دائمًا الوظائـف المتعددة لعين المرأة وحواجبها وأذنها وفمها وشعرها ويدها.. حتى الأظافر، فكل هذه الأعضاء تفتح ملايين البيوت للعاملين في مسـتحضرات التجميل، كذلك نلاحظ اختلافًا واضحًـا في الوظائف الطبيعية، فالرجل يسـتخدم عينه أساسًـا للبصبصة وأحيانًا للإبصار، بينما المرأة تسـتخدم العين اسـتخدامات متعددة تحدَّث عنها الشعراء والرومانسـيون وعلماء الجفون والرمشـيولوجي، غير أن أهم وظيفة تبقى للعين النسـائية هـي أنها أقوى وسـيلة لتحقيق كل ما تريده المرأة مـن الرجل عن طريق ضـخ الدمـوع في العيـن، وهناك اختلاف تشـريحي بسـيط وهو أن عيـن الرجل

يعلوها حاجب كثيف بينما الحاجب النسائي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة بعد غسيل وجهها.

ويمتـد الاختـلاف في الوظائـف الطبيعية إلى الأذن أيضًا، فالرجل يسـتخدم الأذن للسمع وتستخدمها المرأة لتعليق الحِلقان، كذلك تختلف المنافذ الداخلية في أذن المرأة عن أذن الرجل، فالسـر الذي يُهمس به إلى الرجل يدخل إلى أذنه ويخـرج مـن الأذن الأخرى كأنه لم يكن ، بينما السـر يدخـل أذن المرأة ويخرج فورًا من فمها!



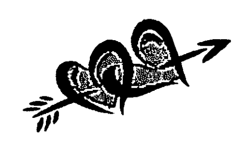
سندريلا.. والزوجة

إن الحب يبدأ باتفاق الرأيين فيرى كل منهما في الآخر الإنسان الوحيد في العالم الأجمل والأرق والأكثر حنانًا، ثم يتوغلان في سنوات الزواج، فيتحد رأي الاثنين أيضًا: هو يرى أنه اختار الشخص الخطأ وهي تراه كذلك!

وقد يرى هو أنها لا تزال السندريلا وحلمه الرومانسي الكبير بينما تدرك هي أن زواجها منه هو أكبر مقلب، لكن في معظم الأحوال تدهش هي كثيرًا من عاشق الأمس الذي كان يقول لها أحلى كلام ثم تدريجيًا أصبح مملًا وعصبيًا، كذلك الزوج الذي قالت زوجته لصديقاتها إنها لا تراه طوال الأسبوع إلا ساعة واحدة فلما أبدت الصديقة إشفاقها قالت الزوجة: لا الحمد لله الساعة بتفوت بسرعة.

فالرجل هو الذي يبدأ في التغيير العاطفي لكن المرأة تتميز عن الرجل بأنها مزودة بقدرة فطرية عالية على الصبر والتحمل وامتصاص الصدمات، وكلها من ضرورات الأمومة، وهي قادرة دائمًا على التكيف مع المواقف الجديدة كأنما تتوقعها، وهي تدرك أن الرجل صانع الأمان في حياتها هو أول من يهدد هذا الأمان، ومنذ الأزل والرجل يحب بحواسه بينما المرأة تحب بمشاعرها، ومنذ الأزل وهي تخوض معركة تقليدية تتحدث عنها ستي في أمثالنا الشعبية قائلة: «أنا فيك بادادي وانت بتقطّع أوتادي»، و«برَّه وجوَّه فرشتلك وانت مايل وإيه يعدلك»، وترجمة هذا المثل: يا زوجي العزيز أنت ندل!

هـل مـن الغريـب بعـد ذلـك أن تُطيِّـر وكالات الأنباء خبـرًا مـن بنجلاديش عـن مظاهـرات الأزواج المضروبيـن ضربًـا وحشـيًّا مـع التعذيب والمسـيرات والمظاهـرات التي تطالب بوقـف عدوان الزوجات؟ وهل مـن الغريب أن تنقل الوكالات من سيول كوريا عن 386 زوجًا ضربتهم الزوجات ضربًا قاتلًا نَجَمَت عنه كسـور وجراح وعاهات مسـتديمة؟ وهل نعجب إذا خصـص يوم 11 فبراير من كل عام ليكون عيد النصر النسـائي وذكرى أول امرأة عظيمة وضعت زوجها في كيس.



ضرب الأزواج

منذ سنوات كتبت أقول بأن الرجل سوف ينقرض، وأن المرأة - قبل تلك المرحلة - سوف تستولي على العالم وسوف تكون هناك ديكتاتوريات نسائية مستبدة تملأ المعتقلات بالرجال حيث التعذيب وغرف الغاز، وقد تسلك حكومات النساء مسلك العناكب والنمل والنحل في قتل الذكر بعد التزاوج مباشرة، فيضم جهاز العروس مسدسًا تفرغه في دماغ العريس بعد ليلة الزفاف، وقد تعمد بعض الحكومات النسائية إلى أن تجبر الرجل على أن يرتدي زيًّا خاصًّا بلا ياقة حتى يسهل لكل امرأة في الشارع ضربه على قفاه.

ولقد أوردت وكالة رويتر تقريرًا صحفيًّا يؤكد أن تلك النبوءات قد ظهرت بوادرها؛ إذ نقلت الوكالة من داكا عاصمة بنجلاديش أن أفواجًا هائلة من الأزواج المقهورين طلبوا حماية السلطات بعد تعرضهم لضرب مبرح، وتعذيب غير إنساني ومستمر على أيدي زوجاتهم، وأضافت رويتر أن لجنة جديدة لمقاومة تعذيب الرجل نظمت مسيرة في مدينة زانجبور - شمالي بنجلاديش - انتهت بتقديم 14 طلبًا لحاكم المقاطعة من بينها تشكيل محكمة خاصة للنظر في حوادث العنف والإيذاء البدني الشديد التي يتعرض لها الأزواج إضافة إلى الإذلال والقهر النفسي!

ولفرط بشاعة التقرير الصحفي الذي أوردته رويتر أتخيل زوجًا تعيسًا هائمًا على وجهه وقد تنكر في زي امرأة حتى لا تتعرف عليه زوجته، وأتصور زوجًا آخر قد فر إلى بيت أمه يحتمي بها فوجدها قد كتفت والده بالحبل.

اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه، والله أكبر على كل من طغى وتجبر.

المرأة مفتاح العلاقة

يقول المثل الشعبي: «المركب اللي فيه ريسين يغرق»، إلا الحب، فهو المركب الوحيد الذي يحتاج إلى ريسين متفاهمين تمامًا، فمن أعقد مشاكل الحب أن الأحداث فيه لا تقع بإرادة منفردة، بل لا بد من تناسق وانسجام رأيها ورأيه، وهو أمر يتطلب أعلى درجات التفاهم ليسير مركب الحب، بعكس مركب الزواج، فبعد قليل من زمن الزفاف يسود الحكم الشمولي البيت ويختفي الرأي الآخر ويتحول الزوج إلى شُرَّابة خُرج.

وفي الحب، المرأة هي التي تقود العلاقة من الموعد الأول إلى نهاية الشوط عند المأذون؛ لأنها هي التي تعطي الرجل الضوء الأخضر ليستمر أو الضوء الأحمر ليتوقف، فهي التي تتحمل مسئولية الإبقاء على الحب أو تدميره؛ لأن الرجل لا يملك الفعل، بل رد الفعل لتصرفاتها، فهو لا يستطيع مثلًا أن يفعل شيئًا إذا امتنعت عن الرد على مكالماته، ثم هو لا حول له ولا قوة إذا عرف أن سبب امتناعها هو أنها خُطبت لرجل ذي زلمكة.

وقد لا تحسنين فهم رجلك لأنك لسِت مجربة، إن الرجل يعتقد أنه جنس متفوق ومتسيد ومسموع الكلمة، وهو يحرص أمام المرأة على تأكيد هذا الوهم ولو من باب الاحتفاظ بالشكل والمظاهر، والمرأة المجربة تعرف ذلك، وتعرف أن العنف معه يعقد المشكلة أكثر، وإن كثيرًا من النعومة وبعضًا من مظاهر الحنان الأنثوي (المظاهر تكفي وليس الحنان نفسه) كفيلة بترويضه تمامًا، فأمام النعومة ودفء الجمال تنشط بشدة عند الرجل تلك الغدة التي تفرز عبطًا. لقد قيل إن الرجل أمام المرأة المعشوقة يتحول إلى طفل، هذا غير صحيح، فقد أثبتت الدراسات أن الطفل يفكر ويميز وليس حمارًا.

المرأة تختار بحكمة

الرجل يقع في هوى المرأة بنظرة عين، ومفاتن الأنثى لها عنده الأولوية وآخر ما يفكر فيه هو عقلها، وفي بلاد تركب الأفيال جمال المرأة عند الرجل هو الأهم وما داخل الجمجمة لا يهم، وفي بلاد لا تركب الأفيال تعقد للمتقدمات إلى الوظيفة اختبارات الذكاء والشخصية والثقافة، وبعد فحص النتائج يأمر المدير بتعيين البنت الشقراء.

والذي يحدث غالبًا أن الرجل يتعرض للمأزق الحاد المعهود عندما ينحسر عنه الانبهار بالجمال، ولا يبقى منها إلا تفكير متواضع أو رأس غبي أو عقلية مثيرة للمتاعب.

وإذا كانت مفاتن المرأة هي مركز الجاذبية عند الرجل، فإن المرأة أكثر حكمة عند الاختيار لأن الرجل يحب بعينيه والمرأة تحب بمصلحتها مدفوعة في ذلك بفطرتها كمسئولة عن تكوين العش والأسرة، فهي لا تتجاهل وسامة الرجل، لكن الوسامة عندها ليست كل شيء؛ إذ إنها لا تمنح تأشيرة الدخول إلى حياتها إلا بعد أن تقترب أكثر من شخصية الرجل، إن المرأة تجتذبها الرجولة، ورجولة الرجل هي فروسيته، والفروسية هي حنانه وحمايته واحترامه لها، وفي أحيان كثيرة يجتاز الرجل امتحان الشخصية عند المرأة بنجاح كبير إذا بدا لها بوضوح - من أول نظرة - أنه مليونير.

في المناقشات معها

هناك بديهيات لإرساء حياة زوجية هادئة، لعل أهمها ينحصر فيما يلي:

لا تناقش زوجتك أبدًا، فكل الذين سبقوك عرفوا على وجه اليقين أن أي مناقشة مع الزوجة فيها رأيان: رأي الزوجة والرأي الغلط.

99٪ من خلافات الزواج سببها الفلوس فأعطها كل ما تطلب واجتهد في إرضائها بأن تخلق مصادر جديدة لدخلك بالسلفيات.

اطلب رأيها من وقت لآخر في مشكلة تخصك واحرص على الاهتمام الشديد برأيها مهما كنت واثقًا كالعادة أنك لن تعمل به.

لا تناقش خلافاتك معها خارج البيت حتى لا يعرف الناس أسرار حياتكما، ولا تناقش الخلافات داخل البيت حتى لا يعرف الأولاد أنك مثلهم قابل للتأديب.

لا تتدخل في اختيار صديقاتها أو تبدي عدم ارتياح تجاه صديقتها الحميمة، فهي في حاجة إلى صديقةٍ كتومٍ تحافظ على ما تقوله لها من شكاوى وشتائم فيك.

الزوج المثالي يفهم زوجته دون أي كلام من جانبها فإذا رأيتها تقرأ خطابًا بسعادة فتظاهر أنت بالسعادة أيضًا ولا تسألها بضيق كم يومًا ستقيم أمك عندنا.

الحياة الزوجية تفتقر إلى إجازة من وقت لآخر حتى تنفرد الزوجة بنفسها وتتاح لها فرصة لتجديد الأشواق وتنفرد أنت بنفسك وتتاح لك فرصة للبكاء.

حرب الأمثال

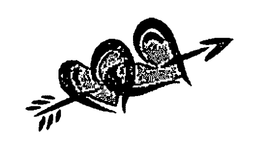
الحب والزواج في أمثالنا الشعبية يخضعان لتقاليد زمان، فالحب أمام ستي جريمة لأن المثل الشعبي يقرن الحب بالجريمة: «إن سرقت اسرق جمل وان عشقت اعشق قمر»، فالعشق في الزمن القديم يستحق العقوبة كالسرقة، فإن أقدمت على العشق فليكن المعشوق عظيم الشأن جمالًا وفتنة حتى يهون ما سوف يصيبك من عقاب ولوم.

وعن مقاييس الجمال والجاذبية بين الجنسين، فقد كانت المرأة ذات القوام الجميزي ملكة جمال، والمرأة الرشيقة يعيرونها بأنها عصاعيص النقارية، وتقول الأمثال: «الدهن في العتاقي»، كما تصف المرأة الرشيقة بأنها: «زي الجارية الملبسة لا دهن ولا جلسة كويسة»، كذلك تقدم الأمثال عينات من العرائس لكل منها ميزتها: «اللي يحب الفنطازية يتجوز التركية، واللي يحب العفية يتجوز الرومية»، وتحذر الأمثال من الزواج من أنواع معينة من النساء مثل: «ابعد عن الحنَّانة والزنَّانة والمنَّانة والأنَّانة»، كما يضيء المثل الشعبي النور الأحمر بالنسبة للغانية التي هي لشدة براعتها «تتكحل بإبرة وتتخطط بمسمار»، وعن عوامل الجذب عند الرجل فهي لم تتغير ولا أظن أنها سوف تتغير: «الراجل عيبه جيبه»، «بفلوسك بنت السلطان عروسك»، «اللي معاه قرش يساوي قرش».

وواضح جدًا أن الغالبية العظمى من أمثالنا صناعة نسائية، ولذلك فهي تنحاز إلى وجهة نظر المرأة، فهناك في أمثالنا حملة مستمرة على الزوج، فهو فرعون في المثل: «اللي تحسبه موسى يطلع فرعون»، وهو القرد في المثل: «يغور الشهد

مـن وش القرد»، وهو الحمار في المثل: «الحمار لما يشـبع يبعزق عليقه»، وهو الخنزيـر في المثل: «شـعرة من جلد الخنزير مكسـب»، وهو الأقـرع في المثل: «جبت الأقرع يونسني كشف راسه وخوفني»..

ومسكين كل أقرع وخنزير وقرد وحمار تزوج!



العشق إدمان!

العاشـق عندنـا مطـارد مـن النـاس دائمًـا، ولهـذا تجده يصـرخ فـي أغانينا: بتلومونـي ليه؟ وعلـى إيه بتلومني؟ وليـه بيلوموني وياك في حبـي؟ كما أن أكثر الكلمـات ترديدًا فـي أغانينا هي العـذول والعواذل وهم اللائمـون، وواضح أن هناك حربًا باردة بين المجتمع والعاشـق، فمن ناحية يعتبر المجتمع عندنا مصابًا بالحول في النظرة إلى الحب؛ إذ يسمح بالحب في السينما والتلفزيون والإذاعة، أما في الواقع فالحب في نظر المجتمع عمل طائش يمارسـه ولد مفعوص وبنت مقصوفة الرقبة أو رجل أهبل وامرأة تلعب بالبيضة والحجر.

ومن ناحية أخرى يُحدث الحب تغييرات أساسـية في شخصية الإنسان إذ إن له أعراضًا تقترب بشدة من أعراض الكثير من الأمراض العقلية، ففيه من أعراض الاكتئاب والهم والغم واضطراب النوم وفقدان الشهية، وفيه من مرض الوسواس القهـري القيـام بأعمال غريبة يرفضها المنطق، وفيه من البارانويا الإحسـاس بأنه مضطهـد مـن الناس ومن أهل المحبوبة ومن أهله قبل الجميع، وفيه من أعراض التخلف العقلي الرغبة في الإقدام على الزواج.

ولهذه الأسـباب جميعًا يميل العاشق إلى الانسلاخ عن المجتمع والاندماج تمامًـا مع المحبـوب بعيدًا عن الناس الذيـن يواجهونه بالعداء السـافر: فكل مَنْ ينصحـه بالبعـد عنها عدو، وكل مَنْ يرى أنها لا تليق به قليل أدب، وكل مَنْ يؤكد له أن الحب شيء والزواج منها شيء آخر هو سافل وجاهل ولا يعرف أنها ملاك نزلت له من السماء.

ويزيد الأمر صعوبة أن العشــق إدمان، والعاشــق مدمن، فهــو يدمن الاهتمام بإنســان، ويدمن التفكير فيــه ويدمن لقاءه ويدمن الحديث معــه ويدمن الحديث عنــه، والإقلاع عن الإدمان مشــكلة، وتكاليف العلاج من إدمــان الحب بالذات باهظــة جــدًّا لكنهــا مضمونة، فلا عــلاج للعاشــق المدمن إلا في مصحة اســمها الزواج، وفي تلك المصحة يتوب عن العشق.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.



متهم إلى الأبد!

تهمة الخيانة معلقة دائمًا فوق رأس الرجل، فالرجل عند المرأة إما أنه يخونها أو سوف يخونها.

وهناك مثل صيني يقول: «اضرب بلا سبب ودعها تعرف السبب»، ويقابل هذا المثل نصيحة أخرى نسائية تقول: «اتهمي زوجك بالخيانة بلا سبب وهو بالتأكيد سيعرف السبب»!

وفي الأساطير اليونانية أن أبوللو صاحب الوسامة والشباب الدائم وقع في غرام ماريسا التي فتنته بسحرها، غير أن ماريسا وقد هامت به رفضت في النهاية أن تتزوجه؛ إذ أدركت أنها سوف تشيخ وتصبح عجوزًا بينما أبوللو ذو شباب دائم أبد الدهر، فأصرت أن تتقي شر عذابات الغيرة والخيانة وكل رجل هو أبوللو: عينه دائمًا على المرأة الأجمل والأصغر والأكثر شبابًا، وهو يظل يبصبص ويبصبص، ولا يعرف أنه بلغ أرذل العمر إلا عندما تشفق عليه امرأة غمز لها بعينه فظنت أن في عينه شللًا!

والمرأة معذورة إذا شكَّت دائمًا في إخلاص الرجل؛ فهي قد شبَّت لتسمع الحِكم والأمثال من الأم والجدة عن الرجل الذي لا يُؤمَن جانبه، وهي تعرف كيف أوقعت برجلها في شراكها وكيف يمكن أن توقع به امرأة أخرى بنفس الطريقة، فجهاز المناعة ضد النساء في حالة عطل دائم عند الرجل، يضاف إلى ذلك أن نساء الأرض جميعًا فشلن في عقد ميثاق شرف بألا تخطف امرأة رجلًا من امرأة أخرى، بل العكس، يعتبر خطف رجل من امرأة دليل على امتياز الجمال وتفوق الأنوثة وسم بدن الأخريات.

ابحث عن نفسك بين أصابعها

الرجل لا يتزوج لأنها مثالية وملائكية وعظيمة. أبدًا. الرجل يتزوج لأن الزواج مرض وراثي أعراضه الحب، وما دام الحب قد جاء فهي مثالية وهي ملائكية وهي عظيمة، فالحب هو الذي يفكر لنا، ونتحمس معه لحماقتنا خصوصًا تلك الحماقة الكبرى: الزواج!

إن نقطة الخلاف الكبرى بين الحب والزواج هي أن كل طرف - في الحب- يفهم شخصية الآخر فهمًا رومانسيًّا جميلًا، بينما في الزواج يبدأ كل منهما في فهم الآخر فهمًا واقعيًّا أليمًا.

مثلًا، بعض الذين عشقوا كانوا يقدمون الهدايا بجنون، فهي أغلى من أي هدية، وما لبثت أن أصبحت الهدية أغلى منها! وبعض الذين عشقوا - مثلًا - كان يجد متعة كبرى في أن ينصت إليها بالساعات وهي تتحدث في أكثر من موضوع، ثم اكتشف أنها تتحدث بالساعات دون أي موضوع. إن الرجل في علاقته بالمرأة كثيرًا ما يخطئ التقدير، فكل شيء في المرأة خادع: ضعفها الجميل يخفي خلفه قوة، وعينها الحالمة تخفي وراءها دهاءً، ويدها الصغيرة تخفي رجلًا يعشقها!

وإذا لم تصدقني فابحث عن نفسك بين أصابعها!

الحب يعطل عقلك

لا يوجد شيء اسمه الحب بالعقل؛ لأن العقل وجد للتعامل مع المقادير الجبرية واللوغاريتمات ومعادلات إينشتاين وتساؤلات الفلاسفة، أما العواطف والغراميات فلا أثر للعقل فيها؛ إذ لا يعرف عاشق لماذا أحبها، ولا تعرف عاشقة لماذا أحبته، وتلك حكمة كبرى، فلو كان الحب قائمًا على أسباب فإنه يزول بزوال أسبابه، والحب من طباعه أن يتنكر للعقل، فأجمل ما في الحب أنه أحمق وأرعن وغبي ومندفع وطائش، بدليل أنه يؤدي إلى الزواج.

والإنسان عندما لا يلجأ للعقل، فلا دور للعقل في اختيار مَنْ نحب، وقد نجد مفكرًا أو عالمًا جليلًا يتدله في حب سنية طقطق وسط دهشة الآخرين. كل الآخرين، ففي قصص الحب غير المقبولة من المجتمع نجد عقل العاشق يتغاضى عما يجري أو يقف على الحياد، لكنه لا يملك قوة مؤثرة ليحول بين صاحبه العالم الجليل وبين الزواج من سنية طقطق.

والمجانين في الدنيا ينقسمون إلى قسمين: قسم يقيم داخل أسوار المصحات اسمهم المرضى، وقسم خارج أسوار المصحات اسمهم العشاق، فالحب المجرد من الجنون يفتقد ركنًا جوهريًا من أركان وجوده، والمرأة العاشقة مثلًا تعتبر نصف مجنونة، وإذا تملَّكت منها الغيرة أصبحت «مورستان»، وفي المقابل تريد المرأة بطبيعتها أن يكون الرجل مجنونًا بها، ولهذا تحدث للزوجة خيبة أمل كبرى بعد أيام العسل؛ لأن الزوج لم يعد مجنونًا بها، بل مجنونًا بغيرها.

الثقة المفقودة

كل حب - في عز عسله - مصحوب بالتوتر والتوجس والهواجس؛ لأن ألعن ما في هذه العاطفة الجامحة هو الإحساس الدائم بالخوف عند كل طرف من أن يفقد الطرف الآخر، مع أن الذي يحدث غالبًا بين العاشقين - في أحسن الفروض - هو أن كلا منهما يفقد الآخر بالزواج منه!

والخوف من فقدان الحبيب هو إحدى سمات عدم الثقة بين الرجل والمرأة، فالمرأة - بالوراثة - لا تثق في الرجل، وتعرف أنه عُرضة للضحك عليه من امرأة أخرى، والرجل ليس أفضل منها في ذلك، فهو يعرف أيضًا أنها قد تختفي من حياته فجأة - وبدون تفسير - عندما يتقدم لها أول رجل مناسب يطلب يدها، فانعدام الثقة قائم بين الطرفين وإن كان غير معلن (يتم إعلان عدم الثقة عادة على مسمع من الجيران بعد الزواج).

الشيء الأغرب أن المشكلة تتعقد أكثر إذا كان الحب حقيقيًا وعميقًا بين الاثنين ولا مجال للخيانة فيه؛ إذ يعتبر كل من الطرفين أن الطرف الآخر ركنٌ أساسي في حياته لا غنى عنه ولا حياة بدونه، هنا يتحول الحب إلى حالة مورستان بسبب الخوف من فقدان الحبيب، ويطلق كل منهما بالونات اختبار يمتحن بها إعزاز الطرف الآخر له، فيكثر الصد والهجر والخصام والعذاب والتعذيب، وميـن عذبك بتخلَّص مني، وقوم ياللي شاغلني بيك جرب ناري، وحرام عليك، وكفاية عذاب، وأروح لمين؟

حرب مشتعلة بين الاثنين، لكنها تهدأ بعد هدنة قصيرة ليستأنف الاثنان حربًا جديدة رهيبة اسمها الزواج!

رادار المرأة!

المرأة تجيد قراءة الرجل: حركاته، لفتاته، نظراته، ومن بين مائة رجل تستطيع المرأة أن تميز الرجل الذي يوليها اهتمامًا خاصًّا في صمت، وهي قد تتطلع إلى رجل غريب في مجتمع، فترى في عينيه نظرة تكاد هي تصرخ معها في وجهه: أنت قليل الأدب!

وقد زُوِّدت المرأة بهذه الموهبة الفطرية لتصل إلى الرجل الذي يكفل لها الحماية والأمان، لكن ما إن تحصل المرأة على الرجل الذي يوفر لها الأمان حتى تشعر أنها في حاجة شديدة إلى الأمان من خطره هو شخصيًّا، فهو إن لم يعترف بخيانته فهو يخونها من خلف ظهرها، وهو إن لم تظهر عليه أي دلائل على الخيانة فهناك دائمًا شبح امرأة يهددها ويهدد بيتها، وهي في سعيها لاكتشاف الخيانة - الوهمية غالبًا - تجرد الرجل من أي إخلاص، وهي تنقلب من زوجة وحبيبة إلى ضابط مباحث ولا عجب بعد ذلك إذا رأته يغسل وجهه سألته: بتتشيك رايح على فين؟

وإذا كنت متزوجًا، وتريد إثارة غيرتها حتى توقظ فيها الرومانسية التي كانت أيام الجامعة! رومانسية مين يا صاحبي؟ إن امرأة مثل زوجتك لا تنشد من دنياها إلا الأمان والحنان، إنهما أغلى عملتين عند أي زوجة، وأنت تعجز - كمعظم الرجال - عن توفيرهما لها، فالرجل مع المرأة غبي مرتان، مرة أمام جمالها، ومرة في التعامل معها، فالمرأة في حاجة إلى الحنان أكثر من حاجتها إلى فحولته أو غرامه الحامي، وهي تتوق إلى الأمان عندما يستبد بها إحساس بأن مصير حياتها كله معلق في كلمتين: أنتِ طالق. فادخل عليها بالحنان والأمان قبل أن تدخلك هي في الكيس.

الأمومة والرومانسية

تتغير صفة الإنسان حسب الظروف أو الموقع، فهو مثلًا في القطار راكب، وفي الضرائب ممول، وفي المستشفى مريض، وفي الإذاعة مستمع، وفي الصحافة قارئ، كذلك هو في أيام الغرام عاشق، وفي شهر العسل عريس وبعد العسل زوج، وقد تلقبه الزوجة بين صديقاتها بأسماء حركية سرية مثل: الكُبة والهباب، لكنه رسميًّا يظل يحمل لقب زوج حتى يحصل على لقب المرحوم.

وفي بيت الزوجية، من العسير أن يجمع الإنسان بين لقب رومانسي ولقب زوج، لكن من السهل جدًّا أن يكون الزوج في منتهى الرومانسية مع الأخريات.

فأنت تطالبها بالرومانسية وسخونة الحب الذي كان حتى بعد أربع سنوات من ليلة الزفاف، وكما لا يستطيع أحد أن يلومك على مشاعرك الرومانسية، فإن أحدًا أيضًا لا يستطيع أن يلومها لأن أجهزة الاستقبال عندها لم تعد تستقبل الإرسال الرومانسي من جانبك، وهذا لا يعني أنها لا تحبك، بل يعني أن جهاز الاستقبال عندها تغيرت موجته ولم يعد يصلح لتلقي تنهدات الغرام وآهات العشق المجنون، بل هي تتوق إلى الحب الهادئ العميق والحنان والمشاركة الوجدانية الحميمة.

المرأة عندما تحقق ذاتها بالأمومة، فكل الرومانسيات تتوارى، ويتحول الزوج إلى مرتبة عاطفية مختلفة تمامًا، وفي بعض الأحيان يتراجع إلى الدرجة الثانية من عواطفها وأحيانًا الترسو، وتلك نعمة في مملكة البشر، ففي مملكة الحشرات مثلًا تعمد الأنثى غالبًا إلى قتل الذكر بعد التزاوج خصوصًا في العناكب بينما الأنثى في مملكة الحيوان أكثر رقة؛ إذ إنها تبعد الذكر عنها بعد التزاوج بالضرب، فهي لا تملك - كالأنثى البشرية - السكين والساطور.

ماذا يعجبكِ في الرجل؟

الرجال أيضًا يغرُّهم الثناء وليس الغواني فقط، وبالمناسبة الغانية ليس معناها الخليعة، بل هي المرأة التي غنيت بجمالها وحسنها واستغنت عن الزينة، وبذلك لا توجد بين النساء غانية واحدة!

والرجل يحب المديح ويتوق إلى الثناء على صفات عظيمة لا تمت إليه بصلة، وتاريخ الرجل مفضوح في دفع الملايين من أموال المسلمين للشعراء المنافقين من مداحي الخلفاء والولاة، وبقدر ما كان الخليفة تواقًا إلى المديح كان الشاعر متعطشًا إلى الدنانير، وقيل إن شاعرًا ظل يستزيد الخليفة في العطاء فيأمر له بزيادة المبلغ دون أن يكتفي الشاعر، فقال له الخليفة: ماذا تريد بعد هذا كله؟ قال المدَّاح: أريد عمولة 5٪.

والرجل يقيم وزنًا كبيرًا للمديح، ولولا عشق الرجل للمديح لما ظهر المنافقون، غير أن امتداح الرجل - من جانب الجنس الآخر - له شروط وقواعد حتى يصبح مؤثرًا وفعالًا، فالرجل مثلًا لا يحب امتداح النواحي الشكلية؛ إذ لا يجدي مثلًا أن تقول امرأة لرجل: تسريحتك حلوة، أو لون حواجبك يجنن.

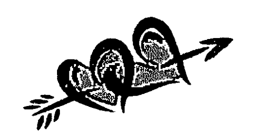
ومن المديح غير المقبول أن تقول واحدة لواحد: أنت تشبه تيرون باور أو رشدي أباظة أو حسين فهمي، فبرغم وسامة هؤلاء النجوم إلا أن الرجل لا يرضيه أن يكون مثل فلان أو علان، لكن يرضي غروره أن تعجب به لذاته. أن تشعره بذاته.

ولا يعتبر مديحًا مؤثرًا أن تقول امرأة لمغني الأوبرا العالمي التينور دومينجو: إن صوتك رائع، الألوف قالوها له وسوف تُقال له من ألوف، لكن دومينجو

لا يـزال يذكـر المرأة التي صافحتـه وقالت له في انبهار: ياه! لـم أكن أعرف أنك بهذه الأناقة!

فالرجل يسـتمتع بإطراءٍ لم يسمعه من قبل ويمثل اكتشافًا لم يكن منتبهًا إليه، كذلك يسعد الرجل إذا امتدحته امرأة جميلة بصفة ليست فيه، مثال ذلك أن تقول له: أنت ذكي.

فهي كاذبة؛ إذ لا يوجد رجل احتفظ بذكائه أمام امرأة جميلة.



علاقة متوترة دائمًا

العلاقـة بيـن الرجل والمرأة هي سلسـلة محـاولات فاشـلة للتفاهم، وذلك بسـبب أزمـة الثقة، هذه العلاقـة المتوترة تبدأ عندما تعي البنـت الصغيرة الحياة، فتتولـى الأم تشـويه صورة الرجل عندهـا بتحذيرها منه وتصويـره بصورة العدو الغامـض الـذي لا يفعل إلا شـرًّا، وهنا تبـدأ البنت رحلة التوجس والشـك تجاه الرجـل، ثم يزول توترها عندما تتعرف بحبيب القلب، ويعقب ذلك هدنة جميلة في أيام العسـل، وبعد الزواج يبدأ خرق الهدنة وإطلاق النار، وأحيانًا يُسـتعاض عن النار بالساطور..

وأكبـر إنجاز يقوم به رجـل هو إقناع المرأة بأنه مخلص، فأشـد الرجال ولاءً لحبيبتـه متهم دائمًا في إخلاصه، ذلك أن المرأة تعتقد أن هناك رجلين اثنين فقط مخلصين، واحد في المريخ والثاني في زحل..

وهناك فئة من النساء ترفع شعار عضي الكلب إذا عضك الكلب (الكلب هنا معـروف مَنْ هو طبعًـا)، فهن ينتقمن من خيانة الرجـل بخيانة الرجل، والنموذج المكتمـل لهـذه الفئـة هـي الإمبراطـورة الرومانيـة ميسـالينا ملكـة الفضائح في زمانها؛ إذ كانت ترى أن على المرأة أن تخلص للرجل وهي في حضنه فقط لأنه لا يستحق أكثر من ذلك..

وتتـدرج ثقة المرأة في الرجل من سـيئ إلى أسـوأ حتى الأشـد سـوءًا عندما تصل إلى سن اليأس، فبقدر ما تفقد ثقتها بأنوثتها يكون اتهامها للرجل بالخيانة، مع أنها في حاجة إلى سن اليأس لاكتشاف هذه البديهية..

عصر العناكب!

عـن مسلسـل قتل الأزواج وظهـور المرأة الخارقة في بيـت الزوجية، فإن ما حدث بالضبط هو أن هيبة الرجل قد سقطت في العالم كله، واكتشفت المرأة أن الشوارب لا تخيف، فالصراصير لها شوارب والأرانب أيضًا.

وحتى في المجتمعات التي تطرقت إلى التحرر النسائي نجد المرأة ساخطة، انظـر إلى غلاف مجلة تايم الأمريكية وعليه هذا المانشـيت الكبير: «هل ضاقت المـرأة بالرجـل؟ دراسـة ميدانيـة سـاخنة تقـول: نعـم»، وأفردت المجلة سـت صفحـات لتلـك الدراسـة التي شـملت 4500 امرأة وجـاء فيها أنه برغـم الثورة الجنسية وحصول المرأة على حقوقها فإنها ما زالت تعاني ظلم الرجل وإساءاته، وتقول الأرقام إن 95٪ من النسـاء اللاتي شـملتهن الدراسـة يقاسين من السلوك العدوانـي للرجـل، وأن 91٪ من المطلقات هن اللاتـي طلبن الانفصال، و76٪ مـن الزوجات لا يخالجهن أي شـعور بالذنـب من الخيانـة الزوجية، و87٪ من الأزواج على علاقة حب بامرأة أخرى.

وواضح من هذه الدراسـة أن المـرأة لا ولن يكفيها كل أرض جديدة تحصل عليها من الرجل المستسـلم استسـلام الحمـار الوديع، وواضـح أن العلاقة بين المـرأة والرجـل تكاد تسـتنفد أغراضهـا، فلعلنا مقبلـون على عصـر تتحول فيه المـرأة إلى عنكبـة أو أنثى العقرب التي تلدغ الزوج لدغـة العقرب بعد أن يحقق لها أمومتها ليلة الزفاف، وإلى أن يأتي عصر النسوان العناكب سوف يظل العنف يحكـم العلاقـة بينها وبين الرجل، فليس مصادفة أنها تسـمي نفسـها الآن المرأة الحديدية والمرأة الفولاذية، وليس مصادفة أن أسماء البارفانات النسائية تحولت

إلى سوفاج (متوحش)، وماجريف (مخلبي)، وبواسون (سم)، ورحم الله زمانًا كانت المرأة تقتل فيه الرجل برمش العين، فأصبحت تقتله بملة السرير، ولو عاش الشاعر العربي جرير لعدل عن قوله: «قتلننا ثم لم يحيين قتلانا»، ولقال: قتلننا قتل الأُسدِ للحُمرِ (جمع حمار أو رجل).. تلك تعبئنا في كيس بلاستيكي.. وأخرى تعبئنا في شنطة السفرِ!



قمة ضعفها = قمة قوتها

الرجـل هـو نتاج تربية نسـائية متصلة، ففي حفل السـبوع وهو وليـد يُقال له: اسمع كلام أمك، وتظل الأم صاحبة الأمر والنهي حتى تصنع منه رجلًا ثم تسلمه إلى امرأة أخرى هي الزوجة لتستأنف تربيته وتأديبه.

وإذا كان الرجل سيئ الأخلاق والسلوك، فهذا تقصير منكن في تربيتنا نعتذر عنه نيابة عنكن، ورغم أن مسلك زوجك شائن إلا أنني لا أعفيكِ من المسئولية؛ فـالأم التي تربينـا نحن الرجال تمزج السـيطرة بالحنان بالحـزم باللهفة بالعقاب الحاني بالحب، وهي تخلط كل هذه المقادير المتناقضة بموهبة خارقة من صنع أمومتهـا، لكـن الزوجة – وهـي امتداد للأم – قد تفشـل في خلط هـذه المقادير وقد تجنح إلى العنف والتحدي، والرجل سلس القيادة كطفل لو أحسنت المرأة الضحـك عليـه، ومهما بلغ بـه الضعف، فالمـرأة الذكية حريصة علـى أن تحفظ عليـه مظاهـر رجولتـه، فهي تعرف أنه يؤثـر أن يبدو في صورة القـوي والمتفوق وصاحـب الكلمـة العليا، ومن هنا سـلبت الشـغالة منـك زوجـك، وقديمًا قال الحكيـم الإسـبرطي: أربعة أسـباب هـرب من أجلها مـع الشـغالة: أربعة عيوب فـي الهانم! تعيش المرأة عصـر الحريم والجواري والقمع، لكننا نرفض أيضًا أن نرى المرأة أمازونة متمرسـة بالعنف والشدة، كما صورت الأساطير الأمازونات واحـدة منهن إذا ضربـت زوجك مرارًا بالكرسـي وغيره، ونحن نسـمع بين يوم وآخر عن شـغالة أو أرتسـت أو غانية خليعة خطفت زوجًا، السـبب بسـيط جدًّا: الشـغالة والأرتسـت والغانية لم يسـرن خلف الزعامات النسـائية المتطرفة التي ترفع راية العصيان باسـم التحرر من طغيان الرجل، فإن فطرة الأنثى في الشـغالة والأرتسـت والغانية علمتها أنها تصل إلى ذروة قوتها عندما تبدو أمام الرجل في قمة ضعفها.

الحبيبة رقم «1» !

عندما يتساءل رجل هل يتزوج الجميلة رغم غباوتها؟ فهذا دليل على أنه يحبها، فلا توجد امرأة جميلة وغير جميلة، وامرأة ذكية وأخرى غبية، بل هناك امرأة تحبها فتصبح الأجمل والأذكى والأكمل والأرق والأشد سحرًا.

وكلما كانت لدى الطرفين القدرة على رؤية الحقائق السخيفة في الطرف الآخر، فالعلاقة بعيدة عن جنون العاطفة لأن الحب صلة باهرة بين اثنين تخفي إبهارها كل نقائص الآخر، وبسبب هذا الإبهار ظهرت طبقة العواذل الذين يرون حقيقة الاثنين، فالعواذل يلومون العشاق والعشاق يلعنون العواذل، والعشاق سُكارى بالحب، والعواذل يمصمصون الشفاه، وأحدهم يقول للآخر: هل علمت ماذا جرى أمس لمحمود، فيهز الآخر رأسه في أسى: نعم حضرت فرحه.

فمن أكبر عيوب الغرام أنه يجعلنا نرى ولا نلاحظ، وفرق كبير أن ترى، وأن ترى وتلاحظ، الأمر الذي تترتب عليه نتائج تقليدية عندما تدركنا الملاحظة بعد فوات الأوان، فتشكو الزوجة مثلًا من بخله الشديد، بينما هو يستغيث من إسرافها، أو تشكو لأهلها أنه يقول عنها إنها حمارة وغبية ومغرورة، فيقسم على المصحف أنه لم يقل مغرورة.

ودائمًا نرى ونلاحظ ونعقل بعد فوات الأوان، ولذلك تزدحم الدنيا من قطبها الشمالي إلى قطبها الجنوبي بقاعات تُلقى فيها المحاضرات المستمرة عن مساوئ الزواج، وهي طبعًا قاعات محاكم الأحوال الشخصية.

معركة للسيطرة

كل امـرأة - فـي بدايـة العلاقـة - تخـوض معركـة سـيطرة ضـد الرجـل وهـي تتمنـى فـي أعماقهـا أن يهزمهـا بجـدارة فـي تلـك المعركـة، فانتصـاره عليهـا يرمـز إلـى القـوة والقـدرة علـى حمايتهـا، والمـرأة لا تحب الرجل الذي يسميه الإنجليز «يس مان»، وهو من يقول نعم على طول الخط ظنًّا منه أنه سوف يسعدها بهذه «المهاودة»، كذلك تضيق المرأة بالرجل الذي تسأله القرار فلا يحسم الأمر ويقول «لمانشوف»، فمذهب «اللمانشوفيزم» مرفوض عندها، والمـرأة تحب الرجل الذي يتخذ القـرار دون الوقوع في مصيدة الانفراد بالرأي، أما الذي يرد عليها «اللي تشـوفيه يا حياتي واللي تقولي عليه يا روحي»، فالنسـاء عادة يطلقن على هذا الرجل لقبًا مكونًا من كلمتين، أولاهما كلمة: شُرَّابة..

وكما قيل: إذا أردت أن تعرف حقيقة رجل فأعطِهِ سُـلطة، فيمكن القول: إذا أردت أن تعرف حقيقة امرأة فاسقط في حبها دون أن تحبك هي بنفس القدر.

ويـا مـن هجرتك امـرأة، أرجـو أن تراجع كل السـطور السـابقة؛ لتقف على السبب الحقيقي لهجرها لك إلى الرجل الآخر، فليس صحيحًا أن وسامة الآخر هي السـبب، كازانوفا بجلالة قدره الذي كان يحترف الحب لم يكن وسيمًا على الإطلاق كما تدل صورته في المتحف البريطاني، لكنه كان لعوبًا وخائنًا وسافلًا ولا خـلاق له، وصدقنـي إن المرأة تنجذب إلى هذا النوع مـن الرجال الذي يثير عندها الرغبة في تحدي الأخريات والفوز بقلب الدون جوان اللعوب، فأهم عند المرأة - من الانتصار على الرجل - الانتصار على الأخريات.

وكلمـة أخيرة في ودنك: النسـاء يأخذهـن الرجال الطيبـون، لكنهن يؤخذن عادة من الرجال الطيبين!

كلمة السر: الحنان

في مملكة الحيوان، في مملكة الطير، في مملكة الحشرات، يلاحظ أن الزواج يستنفد أغراضه بمجرد التزاوج، فتقتل ملكة النحل عريسها في ليلة الزفاف، وتغرس العنكبة إبرتها السامة في رأس العنكب، وتضرب أنثى الطير الذي يشاغبها وهي منهمكة في بناء العش، وتظهر أنثى الحيوان للذكر جفاءً يختلط أحيانًا باستعمال الأظلاف، ويحدث أحيانًا من هذا القبيل في عالم الإنسان، فما أن تحقق المرأة أمومتها حتى يتحول الرجل إلى مواطن من الدرجة الثالثة في البيت، وكلما حاول التقرب منها دعت في سرها: «ربنا يهد حيلك»، وتأسف الزوجة أحيانًا أنها لا تملك إبرة العنكبة السامة فتستعيض عنها بالساطور.

ويعجل إحساس الزوجة بأن الزوج قد استنفد أغراضه عندما يفشل الزوج في توفير الضروريات النفسية التي لا تستطيع امرأة الاستغناء عنها وهي العطف والحنان، والإحساس بالأمان، فالمرأة تتطلع إلى حماية الرجل والعطف والحنان يؤكدان لها الأمن النفسي، ولذلك قالت ستي في أمثالها: «ضِل راجل ولا ضِل حيط»، وإن كان ضل الحيط أهم من ضل الرجل منذ أن أصبحت الشقة بحيطانها من حق الزوجة.

بل إن هناك عددًا من الأمثال صاغتها ستي لتعبر بوضوح عن مدى أهمية عنصر الأمان، فقالت: «عيش يا حبيبي ولا تبكِّيني.. حِسَّك في الدنيا يكفيني»، وقالت: «خدي لك راجل بالنهار أجير وبالليل خفير»، أي يحرسها ويحميها، وتقول في مثل آخر معبرة عن خيبة أملها أنها اتخذت منه ملاذًا وحصنًا يحميها لكنه لم يفعل: «خدتك لوَّاذ خدتك عوَّاذ خدتك أكيد العواذل كدت أنا روحي»، وتعبر أيضًا عن افتقارها للأمان: «جبت الأقرع يونسني كشف رأسه وخوفني».

مع تحياتي لكل أقرع.

الدروس السابقة!

مهما كان الحب والتفاهم متوفرين بين الزوجين، هناك شيء اسمه لذة الشكوى من الزوج، وعندما تجتمع الزوجات بعيدًا عن الأزواج يدور الحديث بينهن وكأنهن يتحدثن عن شخص واحد، ولذلك ليس غريبًا أن تطلق بعض الزوجات على الزوج أسماءً حركية بين صديقاتها مثل: بسلامته، والكبة.

ومهما كان الغرام ساخنًا بين حبيبين أو زوجين (في العسل طبعًا) فإن المرأة يطيب لها كثيرًا أن تتمرد على قيود الرجل وأوامره من خلف ظهره، إذا قال لها مثلًا لا تلبسي البكيني، فهي تلبس البكيني إذا سمحت لها الظروف لتشعر بالمتعة مرتين، مرة لأنها تلبس البكيني ومرة لأنها خالفت أوامره من خلف ظهره، ويمكن للرجل أن يحرم المرأة من هذه المتعة عندما يتركها تعصيه علنًا بعد أن يتحول هو إلى شرابة خرج.

والعلاقة بين الرجل والمرأة تكاد تكون شبه خصام دائم لا يتخلله إلا فترة هدنة قصيرة هي أيام الهوى والغرام، فالمرأة الشرقية تتلقى الدرس من أمها مبكرًا بأن الرجل وحش كاسر أو ذئب مفترس ينبغي عليها أن تأخذ حذرها منه، وأن يبادر رجل بالحديث مع امرأة لم يسبق له معرفتها فهذا موقف يُعرِّضه للبهدلة، وربما التهديد بإبلاغ شرطة الآداب عن قلة أدبه، وتأتي قصة الحب والغرام لتمثل هدنة رومانسية يعقبها الزواج، وفي الزواج تتجدد الخصومة التي تنتهي أحيانًا بانتقال الزوج إلى مقره الأخير في الكيس.

أريد حلًّا!

المرأة - بفطرتها - تعد نفسها لمسئولية كبرى في تكوين الأسرة، فالفلوس مهمة ولذلك هي عند الزواج تقارن بين مصالح وليس بين عواطف.. وإذا كانت قد أكدت لك دائمًا أنها تحبك لشخصك، فقد كان عليك ألا تجرح قلبها الذي أحبك لشخصك عندما عرفت هي أنك لست غنيًّا.

ولا أهون عليك لأنها هجرتك، لكن صدقني إن تباريح الهوى صعبة، وإن العاشق يريد حلًّا، والحل هو الزواج، غير أننا نكتشف بعد فوات الأوان أن الزواج هو حل أبدي لمشكلة مؤقتة اسمها الحب.

فما أن يحصل العاشق على الحل الذي هو الزواج حتى يتحول إلى عاشق متقاعد.. انتهت ليالي الشوق والحنين وترهل الحب وطلع له كرش، وكل عاشق متقاعد يروي دائمًا قصة شهيرة يقول فيها: حتى خمس سنوات مضت كنت أنا وهي نعيش حياة سعيدة حقًّا، ويسألونه: وماذا حدث بعد ذلك؟ فيرد قائلًا: تقابلنا!

وتقول شاعرة إنجليزية: المرأة عادة تصلي لتتزوج من الرجل الذي تحبه، أما أنا فأصلي لكي أظل على حبي للرجل الذي أتزوجه!

وفي أوربا يرفعون الكؤوس في الحفلات وهم ينشدون في صحة حبيباتنا وزوجاتنا.. لعل حبيباتنا يصبحن زوجاتنا، ولعل زوجاتنا تظل حبيباتنا!

الرجل صرصار

منذ صيحة ماري ولستونكرافت في القرن التاسع عشر بإثبات حقوق المرأة والحركة النسائية تعمل في دأب وصبر ومكر يدعو إلى الإعجاب، حتى تم استئناس الرجل في أوربا ثم بدأ في بعض دول الغرب عصر الرجال الذين جردتهم المرأة من الرجولة أو عصر الرجال الأفوَات.

إن الرجل ينتظره زمن عصيب قادم لا محالة تسود فيه المرأة وتحكم وتتحكم وتنتقم مما قاسته ابتداءً من العصر الحجري إلى عصر الحريم.. وطبعًا سوف يكون حكم النساء عنصريًّا، يوكل فيه إلى الرجل بالأعمال الدنيئة وتتسم فيه القوانين بالتفرقة فتصبح مثلًا جريمة قتل الرجل مخالفة عقوبتها غرامة 25 قرشًا، ويتم تشديد العقوبة في جرائم الخيانة الزوجية، وسوف تسمع القاضيات دفاع الزوج بأن المرأة التي أغرته شرَّبته حاجة صَفرَا.

وفي إمبراطورية النساء سوف يُقال إن الرجل هو الذي أشعل الحروب منذ بدء الخليقة، فأحرق قلوب الأمهات في كل زمان ومكان، وقد ترتفع أصوات المتطرفات بوجوب التخلص من الرجل بالمذابح الجماعية حتى يسلم العالم من شروره، وفي مقابل ذلك سوف تتكون الجمعيات السرية للمقاومة كالألوية السوداء لقتل المرأة والماوماو لتحرير الرجل، وسوف تنتهي الآراء النسائية إلى قانون يحتم على المولود الذكر التطعيم ضد الدفتريا والحصبة وشلل الأطفال والذكاء أيضًا فيُعطى حقنة خاصة يُصاب بعدها بالتخلف العقلي، ولن تجدي الصيحات القليلة العاقلة التي تحذر من انقراض الرجل بسبب المذابح والإبادة والقوانين العنصرية والاستعداد الطبيعي عند الرجل للانقراض، وسوف تذهب مع الريح كل دعوة لسن القوانين التي تحمي الرجل من الانقراض بمنع صيده «بقصد الزواج منه أو قتله»، إلا بترخيص خاص.

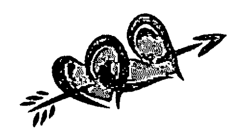
ولا عزاء للسيدات.

أعياد في أعياد

إن عيد الزواج في كل سنة له اسم خاص، في السنة الأولى يطلقون عليه العيد الورقي، ومن السنة الثانية إلى السنة العاشرة بالترتيب: العيد القطني. الجلدي. الكتاني. الخشبي. الحديدي. الصوفي. البرونزي. الخزفي. القصديري، وفي السنة الخامسة عشرة العيد البلوري، وفي العشرين العيد الصيني، وفي الخامسة والعشرين العيد الفضي، وفي الثلاثين العيد اللؤلؤي، وفي الخامسة والثلاثين المرجاني، وفي الأربعين الياقوتي، وفي الخامسة والأربعين السفيري (الياقوت الأزرق)، والخمسين الذهبي، والخامسة والخمسين الزمردي، والستين والخامسة والسبعين العيد الماسي.

وواضح أن معظم هذه الأسماء تفسر نفسها بنفسها، فلا شك أن العيد الورقي في السنة الأولى هو عيد توقيع تلك الأوراق التي بها تحديد إقامة الطرفين في مكان واحد، وليس صحيحًا ما قد يظنه البعض من أن الرجل - بعد تجربة سنة- أرسل إليها ورقتها في العيد الورقي، وأستبعد أن يكون العيد القطني - في السنة الثانية - له صلة بالقطن الطبي الذي يُستعمل عادة لتطييب الجروح إثر الاشتباكات القتالية في البيت، فالوقت بدري. ومن المرجح أن الإنسان تحدث له في السنة الثالثة - العيد الجلدي - تغيرات جلدية فيبدأ الغلاف الخارجي للوجه في اتخاذ فورمة الزواج كالبوز الضارب والشفاه الممطوطة في اشمئناط وتكشيرة الجبهة.. إلى آخره، ومن المؤكد أن العيد الخشبي وثيق الصلة باستعمال المنتجات الخشبية للدفاع عن النفس كالعصا والقبقاب الحريمي ذي الفيونكة، يؤيد ذلك أن العام السادس الذي يليه هو العيد الحديدي؛ إذ تطور الأمر من الخشب إلى الحديد حيث يحتاج الحديد هنا إلى رخصة سلاح، وفي العام السابع يتبدد غالبًا دفء الزواج ويبدأ الرجل في الاعتماد على الحلول الذاتية

للتدفئة كلبس الصوف وذلك هو العيد الصوفي، وإذا كان العيد العاشر هو العيد الصفيحي أو القصديري فلا شـك أن صمود الاثنين في المعارك الطاحنة بينهما حتى العام الخامس والعشرين هو عيد فضي يستوجب الاحتفال بنجاة كلٍّ منهما من يد الآخر، على أنني أدهش حقًّا لوجود زوجين يحتفلان بالعيد الماسي - 75 سـنة - إلا إذا تـم ذلك في قرافـة الغفير، وأعتقد أن التسـمية المنطقية التي ينبغي أن تطلـق علـى كل عيد زواج هـي أن يقال مثلًا في العيد الرابـع: الذكرى الرابعة لوفاة الحب.



الدكتوره تساوي تفيدة بنجر

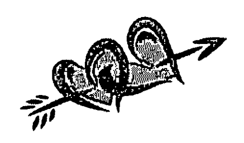
الرجل عندما تفتنه امرأة فهو لا يعنيه أن تكون هذه الجميلة دكتوره في الجامعة أو ساقطة إعدادية، وإذا كان هناك مخ خمس نجوم ومخ أربع نجوم ومخ نجمة واحدة، فهو لا يفرق عند التعلق بامرأة بين واحدة لامعة العقل مخها خمس نجوم، وبين تفيدة بنجر أو مخ نجمة واحدة!

وقد عرفت المرأة أن الرجل ما دامت قد أوقعت به لا يهمه أن يكون مخها فاخرًا خمس نجوم، أو أن يكون ماركة تفيدة بنجر، ولهذا اعتبرت المرأة مخها من الكماليات واكتفت بدهائها الأنثوي الفطري الذي أثبت أنه يحقق نتائج باهرة منذ حادث التفاحة المؤسف.

ولهذا نجد عظماء وقادة في العالم وقعوا في حب نساء بسيطات ماركة تفيدة بنجر، ماو تسي تونج أحب تفيدة بنجر، وتعلق أيزنهاور بسائقة سيارته تفيدة بنجر، وبيرون عشق تفيدة بنجر، وسوكارنو تزوج تفيدة بنجر، بل ما الذي يجعل مفكرًا مثل آرثر ميلر يتزوج من مارلين مونرو وهي امرأة كان رأسها كحبة العنب البناتي خاليًا من أي بذرة تفكير أو مخ؟

والفيلسوف الألماني نيتشه كان يبشر بعقيدة القوة والسوبرمانية، ويرى أن المفكر المتزن يجب ألا يربط حياته بامرأة.. فماذا جرى لهذا السوبرمان عندما وقع في حب لوسالومية، وهي تفيدة بنجر بمخ نجمة واحدة؟ أذلته وعذبته ورفضت الزواج منه، وماكسيم جوركي مثلًا بكل تفوقه الذهني نراه يعبد أولجا إيفا فنوفا - مخ نجمة واحدة - ويركع تحت قدميها فلا منَّت ولا حنَّت عليه حتى ببوسة.

وكان كل هؤلاء المفكرين العباقرة يفلسـفون عشـقهم، فـكل تفيدة بنجر في نظرهـم جهلها اسـمه بـراءة وصفاء نفس، وتخلفهـا طيبة ونقاء طويـة، وغباوتها سذاجة حلوة تدعو للإعجاب!



أساتذة معاملتها

إذا أردت أن تعامل المرأة بطريقة مثلى تسعدها كثيرًا، فحاول أن تقلد أولئك الذيـن تحتـم عليهم أعمالهـم التعامل مع المـرأة، إن البائـع المتخصص في بيع السـلع النسـائية يعتبر نموذجًا مثاليًا في التميز بالصبر وطـول البال والقدرة على الاحتفاظ بالابتسـامة، انظر مثلًا إلى تلك السـيدة تدخل أحد المحلات الكبرى وتتجه إلى قسـم الفسـاتين، فتجرب جميع الفساتين مقاسـها وغير مقاسها، ومع آخـر فسـتان تجربه يعتذر لهـا البائع لأنها لـم تجـد بغيتها، وهو لا يفقد ابتسـامته عندما ترد عليه قائلة: الحقيقة أنا جاية أشتري طقم شاي، والبائع الأوربي يتفوق كثيـرًا على البائع عندنا، فهو يسـعد المرأة بالكلام الذي يثنـي على جمالها مثل: إن لـون بشـرتك الخمري يزداد تألقًا مع هذا الفسـتان الأصفـر الليموني، أو أن يقـول: غريبة.. اللون الوردي يوحي عادة بشـحوب الوجه ولكني أرى بشـرتك متوهجة معه، كذلك الكوافير الذي يمتع أذنيها مع كل تسـريحة بكلام عسل ولا مانع من أن يقول لها: مدام فلانة طلبت مني أن أقلد تسريحتك لكن للأسف هي تفتقـر إلى طـول رقبتك وجمالها، ثم إن خدودها مش حلوين، هذا بالإضافة إلى أن الكوافيـر يحظـى بمنزلـة خاصة لأنه مسـتمع جيد إلى النميمـة، ومصدر مهم للنميمة أيضًا، وهو استعداد لا يتوفر عند كل رجل.

ومـن هـؤلاء جميعًا: البائـع النسـائي والترزي ومصمـم الأزيـاء والكوافير، اقتبـس الرجـل الذئب «الشـهير بالجنتلمان» أسـلوبه فـي معاملة المـرأة: الصبر الطويل والابتسامة الدائمة والإشادة بالفستان وتفصيلته ولونه والشنطة والحذاء والإكسسوار والتسريحة اللي حتاكل من وشها حتة، ولهذه الأسباب جميعًا قالوا في المأثورات إن المرأة تصرخ إذا رأت فأرًا، وتبتسم إذا رأت ذئبًا.

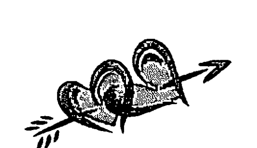
الحب واللاحب!

من أسـرار الحب الغامضة أن شـخصيتين غريبتين تلتقيان فيشـعر كل منهما أنه عثـر على نصفه الآخر، فيتخيلان أنهما متشـابهان في الصفات ويتصوران أن لهما نفس الميول ويحفل كل منهما باهتمامات الآخر ويلتقيان في الذوق بقدرة قادر، فيحب اللون الأصفر الذي كان يكرهه لأنه الأثير لديها ويدندن «سـلامتها أم حسـن» بعد أن كان من عشـاق بيتهوفن وتشايكوفسكي، حتى عيوب الحبيب تصبـح مسـتحبة ولها سـحرها، وأعرف فتـاة أحبت أسـتاذها فـي الجامعة، كان يرمـش بعينيه كثيـرًا فانتقلت هذه الحركة العصبية إلى رمشـيها الجميلين حبًّا في بربشة المحبوب.

والحب يضرب الاثنين في خلاط ليصبحا شخصًا واحدًا، فهو يوحد وجهات النظـر، ويدفع الأفكار في مسـار واحـد، ففي الحب إذا قال لها: أنا لا أسـتحقكِ يا حياتي.. ردت قائلة: بل أنت سـيد النـاس جميعًا ولن أجد من هو أعظم منك، وفـي الـلا حب (اللا حب يسـمونه أحيانًا الـزواج) إذا قال لها: أنا لا أسـتحقكِ، ردت عليـه: تعجبنـي صراحتك، وفي الحب هي تعتقد أن مـا حصلت عليه أكثر ممـا تتمنـاه، وفي اللا حب تـرى أن كل ما تتمناه، هو ما لـم تحصل عليه (بما فيه الـزوج الخايب النايب)، وفي الحب هي تراه كما يرى نفسـه: أذكى الناس، وفي الـلا حـب هي ترى أن الغبي هو الـذي يعتقد أنه أذكى النـاس، وفي الحب يقول لها: أنا لا أستطيع الحياة بدونكِ، تتنهد وهي ترد بصوت ملتاع: ولا أنا يا عيوني، وفي اللا حب يقول لها: أنا لا أسـتطيع أن أعيش بدونكِ، فتقول في سـرها: وأنا مستعدة أتكفل بمصاريف عمر مكرم.

فالحب مجموعة أحلام جميلة قد تظل أحلامًا، وقد تنقلب إلى كوابيس، وفي ذلك قال حكيم إسبرطة: لقد عشت أنا وزوجتي كذا وعشرين سنة في سعادة رائعة بعيدًا عن المشاكل والخلافات، فسُئل: وماذا حدث بعد ذلك؟

قال: تقابلنا.. وتزوجنا!



مواطن درجة ثالثة

الرجل مخلوق أليف ومستأنس ويقوم أيضًا بعجين الفلاحة إذا وجد المروضة الجيدة، وكل امرأة هي مروضة جيدة؛ إذ يقول المثل: «اللي مربي قرد عارف لعبه»، والرجل تربية ستات من اللحظة الأولى للميلاد، فهو يبدأ حياته من حِجْرِ الأم، ثم بين ذراعي الحبيبة، ثم بين يدي الزوجة.

والرجل مخلوق أليف - ثانيًا - لأنه يبدأ الحياة الزوجية معلنًا أنه السلطان وصانع القرار، ثم لا يلبث أن يرفع الراية البيضا مستسلمًا للأمر الواقع، وبعد أن كان يقول لها «لا» بقوة وعنف في مواجهة محاولات السيطرة من جانبها تخفت «لا» في حلقه إلى أن تختفي تمامًا، ولا يبقى له - أمام قراراتها - إلا حق الامتعاض إن أمكن.

والرجل مخلوق أليف - ثالثًا - لأنه بعد تجارب مرة يتعلم ألَّا يبدأ خناقة أبدًا، ولا يرد على تحرش، ويفضل ادعاء الصمم، فهو يعرف أن زوجته تطلق عليه أسماء تدليل من خلف ظهره مثل: «الكبة»، و«الزفت»، و«الهباب».

وزيارة ميدانية عشوائية لبعض بيوت الزوجية سوف تكشف أن الزوج بعد خلف العيال يتحول إلى مواطن من الدرجة الثالثة في البيت، الأولاد يسرقون سجائره ويسطون على ملابسه وهو لا حول له ولا قوة، ويستحق زيارة من سيدات الهلال الأحمر.

تحت سقف واحد

يتطلب عقد الزواج أن يكون الرجل عاقلًا رشيدًا متحرر الإرادة من أي إكراه، فلا يمكن بعد ذلك أن يُقال إنه «وقع في الزواج»، والحياة بلا زواج قد تبدو ذات بهجة ولها بريق، لكنها بالتأكيد غير محتملة، فالرجل في حاجة دائمًا إلى دفء المرأة، وإلى رفيقة على طريق الحياة تشاركه الفشل قبل النجاح، وإذا نجح فهي التي ترده إلى نفسه إن أسكره غرور، فيسمع منها الزوج ما لا يستطيع أن يقوله الآخرون له، وتتجلى صراحة الزوجة في أروع صورها عندما تنطلق على سجيتها تُعدِّد نقائصه.

ومع شريكة الحياة يسقط قناع القوة والتحمل الذي يضعه الرجل أمام الناس، ففي لحظات الاختناق قد يبكي بعض الرجال، كما أن هناك المرأة التي تُنفِّس عن آلام الرجل وهمومه فتتيح له الفرصة بين وقتٍ وآخر لكي يبكي منها.

والإنسان عادة - رجلًا كان أم امرأة - في حاجة إلى أن يختلف مع أحد، وما دام هناك سقف واحد يعيش تحته اثنان، فالزواج يعتبر فرصة لا تعوض لإشباع رغبة الإنسان في الاختلاف مع إنسان آخر، وقد يتيح كلٌّ منهما لزميله أن يُشبع نزعات أخرى مكملة، كغريزة حب المقاتلة بالطقاطيق والأطباق.

وفضل الزوجة عظيم جدًّا، فالذي يراقب حياتها مع زوجها لمدة عشر سنوات مثلًا أو أكثر أو أقل، سوف يخرج من هذه المراقبة بقوله إنها سيدة عظيمة ليس فيها من شذوذ الطباع إلا أنها ظلت تستمع إليه لمدة عشر سنوات عن عبقريته وغباوة مديره الحمار، ولو قدمت الزوجة تسجيلًا صوتيًا قاله الزوج على مدى السنوات العشر لنالت البراءة من تهمة قتله.

الرجل والفستان

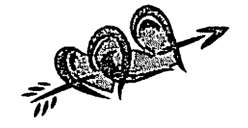
المرأة لا تتأنق لرجل، بل للصديقات، وبقدر ما يكون فستانها نادرًا وثمينًا، يكون سم بدن الأخريات. إن المرأة تهتم اهتمامًا بالغًا بما ترتديه الأخريات، وما من امرأة صادفت امرأة إلا استعرضت ثوبها من أعلى إلى أسفل وبالعكس، والثوب الذي لا تتفحصه المرأة إذا ارتدته امرأة أخرى هو مريلة مستشفى المجاذيب.

أما الرجل فليس له أي اهتمامات بالفستان، وكل العلاقة بين الرجل والفستان هي أن الرجل هو المتخصص - على المستوى العالمي - في ابتكار الموضة للمرأة، كما أنه المتخصص الأوحد - على مستوى البيوت - في دفع ثمن الفستان.

وقد هيأت المرأة ذهنها تمامًا إلى أن الرجل لا يفهم في الفساتين، ولا يعرف - مثلًا - أن ملكة بريطانيا إليزابيث تلبس دائمًا آخر موضة ظهرت سنة خمسين، ولذلك يتفوق الرجل الجنتلمان - أو الذئب طويل البال - على الرجل العادي في أنه يستجلب رضا المرأة بأن يُبدي انبهاره بفستانها، كذلك يحرص الرجل الذئب على تمييز العطر النسائي ومعرفة اسمه بمجرد الشم كالكلب الوولف، وهي تطرب كثيرًا عندما يشرح لها الرجل الذئب كيف أن موجات عطرها الشاعري تتناغم تمامًا مع ألوان الفستان.. كلام فارغ وحياتك، ولكنه يجد صدى عظيمًا عند المرأة، بل إن الرجل الذئب يستولى على اهتمام المرأة تمامًا إذا قال لها: إن الفستان الذي ترتديه سرق الأضواء من فستان فلانة، أي فلانة، فكل امرأة هي غريمة باقي النساء (بدون سبب)؛ لأن الذي يجمع بين

النســاء ليــس هو الصداقة وإنما ضرورات مشــتركة، فالمرأة فــي حاجة إلى امرأة تشــاركها النَّم وأسرار الأخريات، وحتى عندما تجتمع صديقات مقربات فالويل دائمًا للصديقة التي تنصرف أولًا.

والرجل كان يرحب كثيرًا بفستان المرأة عندما اجتاحت العالم موضة الميني والميكــرو، وهــو لم يرحب بالفســتان في حد ذاتــه بل بالمســاحات الكبيرة التي ينحســر عنها الفستان، حتى قيل إن سيدة فتحت خزانة ملابسها فلم تجد فستانها الميكرو الجديد، ثم عرفت أين ذهب الفســتان عندما لمحت حشــرة عتة خارجة من البلاكار.



ويزعمون!

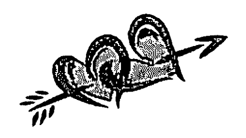
تفوق المرأة وحصولها على المراكز الأولى في الامتحانات العامة لا ينهض دليـلًا علـى ارتفاع ذكائها وانخفـاض ذكاء الرجـل، فإن مناهج التعليم الفاسـدة عندنا تعطي الفرصة لأي بغبغان كي ينجح ويتفوق دون ملكة ابتكار أو إبداع، أما في الحياة العامة فإن ذكاء الرجل ينكمش أمام المرأة، ويتلاشى الذكاء تمامًا عند بعض الرجال خصوصًا أمام الشقراوات.

إن المـرأة الفاتنة تلغي ذكاء الرجل، فمن اللحظ الفتان والفم الجميل والخد الأسـيل تخرج موجات تشـويش قوية وداهمة تشـل مراكز الذكاء في مخ الرجل ليتحـول إلـى أهبل، ولا يبقى مـن الرجل إلا عيون تحملق فـي الجمال، فالرجل يحـب بعينـه، وبشـارة الخـوري يقول: «إن عشـقنا فعذرُنـا أن في وجهنـا نظر»، وبفضـل إلغاء ذكاء الرجـل، وبفضل عينـه وحدها تحولت جارية السـلطان إلى الملكة شـجرة الـدر، وتحولـت ربيبة حواري باريـس إلى محظية تحكم فرنسـا اسـمها مدام بومبـادور، فالمرأة تمتلك ما يتفوق علـى ذكاء الرجل بمراحل وهو دهاء الأنثى، وكل النساء متساويات - أمام الرجال - في القدرة على هذا الدهاء، وقد أدركت المرأة منذ القدم أن الرجل «بتاع مناظر»، فاهتمت بنقوش الزينة على وجههـا وجسـمها من الأحمـر إلى الكحلي إلـى كل ألوان الطيـف، وهي تعرف تمامًا أن الرجل لا يقع في حب امرأة مفتونًا بعقلها؛ إذ إنه بغرور السيادة يكره أن تناقشـه بذكاء، ويرفض أن تراجعه في قرار، ويثور إذا خالفت له أمرًا، فهو يفضل فـي ذلـك أن يكون مخدوعًا، حتى أنه بعد زواجه يصبـح داخل البيت كالمواطن داخل البلاد الديكتاتورية، لا يعلم من مجريات الأمور إلا بقدر ما تريده له الدولة

أن يعلمه، والرجال عمومًا ينقسمون إلى قسمين: قسم يعجب بالمرأة الذكية التي تناقش وتجادل، والقسم الثاني الأغلبية!

والشيء الغريب حقًّا أنه لا توجد امرأة ترضى برجل قليل الذكاء، لكنها تعجب وتنبهر بالرجل الذكي دون خوف من ذكائه، فهي على ثقة من أنها تملك إبطال مفعول هذا الذكاء وقتما شاءت.. بحركة رمش عين.

ويزعمون أنهم أذكياء!



التفكير الخنفشاري!

يحدث أحيانًا أن تحبك وتحبها ثم تتنازل عنها طواعية لكي يتزوجها رجل آخر بدعوى أنه يسعدها، هذه ليست تضحية، هذه خيبة كبيرة، فالحب الحقيقي هو أن تتمسك بمن تحب، وأن تقاتل من أجل ذلك، أما التضحية على هذه الصورة فهي تفكير خنفشاري لا يمت للطبيعة الإنسانية بصلة ولا يوجد إلا في روايات العصور الوسطى وحواديت أمنا الغولة والأفلام المصرية.

وأغانينا أيضًا تحفل بهذا التفكير الخنفشاري، فنسمع مَنْ يقول: «أنا يسعدني تبعد عني وتجرب غيري في هواك»، وأغرب من ذلك أن نسمع مَنْ يقول: «ولما اشوف حد يحبك يحلالي اجيب سيرتك وياه.. واعرف جراله إيه في حبك وأد إيه صانه ورعاه»!! فالحب الحقيقي لا يعرف هذا التفكير الخنفشاري، الحب لا يعترف بأي شريك في الحبيب؛ لأن الغيرة تولد مع الحب، والغيرة هي صوت الاستئثار بالحبيب والانفراد بتبادل الحب معه، إن الرجل مثلًا تشترك في حبه زوجته وأمه وأخته، والزوجة ترفض هذه المشاركة، والأم والأخت في الجانب الآخر لهما نفس الموقف، وفي ذلك تقول الأمثال الشعبية على لسان الزوجة!! الحما حُمَّة وأخت الجوز عقربة سامة، وعن مشاركة زوجة أخرى للزوجة في زوجها قالت الأمثال: «الضرة ما تحب لضرتها إلا المصيبة وقطع جرتها»، والغيرة عند الرجل الشرقي دماء حارة تفور وأعيرة نارية تنطلق، والغيرة عند الرجل الغربي امتعاض، مجرد امتعاض، فالرجل الشرقي إذا رأى أنثاه تجلس بجوار رجل غريب على كنبة فهو يفتك بالاثنين، أما الرجل الغربي فيكتفي ببيع الكنبة.

وعندما أراد شكسبير أن يصور تأثير الغيرة في الرجل اختار رجلًا شرقيًا حار الدماء هو القائد المغربي عطيل، في حين أن أمير الشعراء شوقي بك في مسرحية مجنون ليلى يقع في غلطة درامية غير مستساغة فيحول رجلًا عربيًا ساخن الدماء إلى أوربي من ذوي الدم البارد وهو ورد زوج ليلى الذي يسـأله قيس: بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها؟ فلا تثور دماء المستر ورد، بل يرد فـي بـرود: أجل قبلتها من الرأس إلى القدم، ويرد قيس بقلة أدب يصف قبلة ورد لليلـى: قبلة الذئب إذا الذئب على الشـاة جثم، وينتهـي هذا الموقف اللا معقول إلى خاتمة أشـد لامعقولية فينادي ورد ليلى لتقابل حبيبها قيس، ويستأذن الزوج الخنفشـاري منصرفًـا وهو يقـول: قيس أرى الموقـف لا يجمعنـا.. أنت حبيب القلـب والـزوج أنا، ثم ينصرف تـاركًا قيس يحب ليلى علـى راحته، وواضح أن الذين اختاروا لورد اسمه - وهو اسم نبات - كان جديرًا بهم أن يختاروا له اسم نبات آخر هو قلقاس.

متى تسلم قلبها؟

الرجل يحب من أول نظرة لأن عينه تنبهر بمفاتن الأنثى، لكن المرأة لا تحب من أول نظرة، بل ولا تقع في الحب بسهولة، وإنما توحي إلى الرجل أنها وقعت في هواه وتسعده بكلمات الحب الكاذبة، بينما هي تضعه تحت الاختبار (خصوصًا الاختبار الاقتصادي) وفي نفس الوقت تمنح نفسها الفرصة للمفاضلة بينه وبين آخرين يدقون بابها؛ لذلك يصدم الرجل غير المجرب كثيرًا لأنها - بعد تنهداتها بين أحضانه - تخلت عنه بلا كلمة وداع وخطبها رجل آخر اقتصاده قوي ومتين ولا يحتاج للسلف من صندوق النقد.

لكن المرأة إذا قررت أن تسلم قلبها إلى رجل فمعنى ذلك أنها تحبه بمشاعر حقيقية، ولا تتخلى عنه ولا تخونه بسهولة وتتحلى - في التعامل معه - بصبر مدهش وهي لا تشك في إخلاصه رغم الغيرة عليه، ولا تتصور لحظة أنه يخونها، ثم هي تقتل نفسها حزنًا عليه عند موته، ويأتي موته عادة في ظروف غامضة بعد أن تكتشف أنه يخونها من أول يوم.

لماذا يخون الرجل؟

لأن الرجل يحب باندفاع وربما بتهور ولكن بغير عمق، بينما المرأة إذا أحبت ضرب الحب بجذوره إلى آخر أعماقها، ثم إن الرجل - بحكم تكوينه - لا يستطيع أن يصمد أمام إغراء الأخريات، وهو مبرر - عند غالبية النساء - لشطبه من صفحة العشاق ونقل اسمه إلى صفحة الوفيات.

التنازلات

الحب لا يتحقق بإرادة واحدة، ولا تسير أحداثه بإرادة واحدة، ولا يستمر بإرادة واحدة، فكل شيء في الحب يتم بإرادة الاثنين؛ إذ لا يستطيع أحدهما أن يقبِّل نفسه ولا أن يضم نفسه، فالحب يتطلب اثنين للعناق مثلما يتطلب الزواج اثنين للخناق.

والحب خزانة مليئة بألوان متعددة من الجمال، لكنها خزانة لا تفتح إلا بمفتاحين وكل طرف يحتفظ بمفتاح، فإذا رفض أحدهما التعاون تعذر على الآخر أن يستعمل الطفاشة.

وهذه الإرادة المزدوجة هي التي تعطي الحب معنى التوحد والامتزاج الوجداني والعقلاني، من هنا تصبح «التنازلات» ضرورة لاستمرارية العلاقة الحميمة، والتنازل ليس دليل ضعف كما يتصور البعض، بل هو دليل حب وإعزاز، فالتعنت مرض من أمراض الكبرياء، وكذلك العناد ومسألة التنازل مسألة تقديرية بحتة، فلو فرضنا أن امرأة صممت على أن يحلق شواربه مثلًا ورفض هو فهذا تعنت من جانبها في أمر يخصه، ولا تأثير لبقاء الشوارب أو إزالتها على جوهر الحب نفسه.

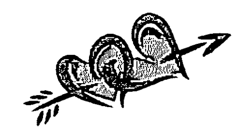
وإذا استجاب لأمنيتها التي أبدتها مرة بأن يحلق شواربه فهو إنسان عاقل لأن الرجولة ليست شوارب خصوصًا بعد أن تبين أن الأرنب يطلق شواربه ولا يحلقها أبدًا.

إن التنازلات مهمة جدًّا ليصبح الحب نتاج تفاهم ثنائي، فالحب يبدأ في الانحسار عندما تنفرد إرادة كل منهما في اتجاه معاكس، وعندما يمد أحدهما

يده ليلمس يد الآخر فلا يجدها أو يمد شـفتيه فلا يجد إلا الخد، والخد لا يبادل القبل.

لهـذا تدعو المرأة في سـرها أن يصبـح حبيبها زوجًا لها، فـإذا أصبح زوجها تعذر أن يكون حبيبها.

من هنا يبدأ تفكيرها في مخترعات البلاستيك.



قدرة الحب

الحب يلغي الكبرياء، والكبرياء تلغي الحب أيضًا؛ فالحب فيه كل المتناقضات: المتعة والعذاب والبسمة والدمعة والحنان والاستبداد، وهو أناني وسخي العطاء أيضًا، وهو ينتقم لسبب تافه ويغفر حتى الخيانة، وهو قادر على أن يحيل الذكي إلى غبي، وأن يلهم الغبي الذكاء، وهو يجعل من الضعيف قويًّا ومن العملاق قزمًا، وهو يقود الإنسان في رقة إلى النعيم كما يقوده بلا رحمة إلى الزواج.

وعندما تفكر في أن تحب فأنت تضع في ذهنك شروطًا ومواصفات لمن سوف تحبه، فإذا وقعت في الحب فعلًا فأنت لا تتنازل فقط عن هذه الشروط، بل وتنساها أيضًا، حلم البنت البلوند التي كنت تحلم بها حلَّت محلها في دنيا الواقع سمراء فاحمة الشعر، وحلم القوام الرمحي الذي كنت تطلبه في فتاة الأحلام اختفى وأصبحت تحب فتاة «مينيون» صغيرة الحجم، والبنت المسمسمة ذات التقاطيع الأخاذة التي حلمت بها طويلًا حلَّت محلها في عالم الواقع بنت أخرى أنت تراها جميلة الجميلات والكل يراها شيخ خفر!

وفي دنيا الغرام ليس هناك شيء اسمه «عندما أقرر أن أحب»؛ فالحب يأتيك بلا موعد ولا استئذان، فقد يفاجئك من أول نظرة إليها، وقد يتسلل إلى قلبك مع الزمن قطرة قطرة عبر الشريان التاجي، فأنت لا تعرف متى يبدأ الحب معك، لكنك تعرف متى ينتهي إذا تزوجتها.

والحياة ممتدة أمامك لتحب كثيرًا، ولكن احترس فالحب في المراهقة كوميديا، وفي الشباب حدث دراماتيكي، وفي الكهولة مليودراما، وفي الشيخوخة تراجيديا، وأحيانًا يقوم في الشيخوخة بدور الحانوتي.

والصبر على المتاعب

تتميز المرأة على الرجل بالصبر، فالأمومة صبر، وقبل الأمومة تتحلى المرأة بصبر فطري لأسباب عديدة من بينها الحصول على الزوج، فالصبر سمة الصياد.

والمرأة تنفرد بصبر فطري لأنها صاحبة الدور الأهم في تأسيس الأسرة فبناء العش يحتاج إلى صبر طويل، وهذا الصبر يزودها بحاسة خاصة تتعرف بها في صمت على الشريك.. انظر مثلًا إلى تلك الفتاة البسيطة إيفا براون عشيقة هتلر وهي تسعى في أيامها الأولى للتعرف على شخصيته وكيف تواجه لحظات جنونه وكيف تمتص ثورات غضبه، والمؤكد أنها سارت فوق حقل ألغام لتصل إليه ثم صبرت طويلًا لتعرف ما يغضبه وما يرضيه، فصبر المرأة أعطاها أسلوبًا خاصًا في معاملة الرجل ولو حتى كان مجنونًا من خريجي معهد الشواذ، ولهذا ليس مصادفة أن معظم مروضي النمور من النساء، فالمرأة قادرة بصبرها على ترويض الرجل كما النمر، وكما تسلخ المرأة النمر في النهاية لتصنع من جلده ثوبًا، فإنها تسلخ الرجل أيضًا، وإذا كان النمر يتم سلخه مرة واحدة، فالرجل يتكرر سلخه كل يوم حتى يوم حصولها على لقب أرملة.

فاحترس لأن الصبر عند المرأة لا يتجزأ، فهي تتحمل الإساءة في أيام الغرام وتغفر، وهي تصبر كثيرًا على عنت الزواج لكنها لا تغفر بل تختزن، وهذا سر رواج تجارة الأكياس البلاستيك.

ليلة الزفاف

الـزواج أمـر لا بد منه، فالزواج مـرض وراثي وهو حـدث دراماتيكي ظاهره الفـرح وطبـول الزفاف وباطنه المعاناة، فهو يعنـي أن يتنازل كلٌّ من الطرفين عن حريته للآخر، وأن يقتسـما معًا الأيام الحلـوة والمرة، وأن تعطيه حنانها ويعطيها فلوسـه، وأن يتفق الطرفان ضمنًا وفي شـبه جدول زمني على الخناق، وأن يترك كلٌّ منهمـا البيـت للآخـر بين فتـرات متقاربـة حتى يتيح لشـريكه البـكاء بكامل حريته.

وقرار الزواج قرار شـخصي، وهو قرار مطعون غالبًا في سلامته، فهناك شك في أن يتزوج الإنسان بإرادة حرة؛ إذ يتزوج الرجل غالبًا تحت تأثير حب محموم، أو الخـوف مـن فوات قطار الزواج، أو تحت تأثير أن عندها شـقة، أو تحت تأثير أنها بنت رئيس مجلس الإدارة.

وفي العادات المصرية تبكي أم العريس وأم العروس في ليلة الزفاف على ما ينتظر البنت والولد على يد كلٍّ من الولد والبنت.

وفـي العـادات المصريـة أيضًـا أن العريـس فـي ليلة زفافـه يحيط بـه صفوة أصدقائه المقربين، يرتدون ثيابهم من نفس لون ملابسه (الأسود)، فعند الشدائد تعرف الإخوان.

وفـي ليلة الزفـاف تنطلق الأعيـرة النارية، وقيل في تفسـير ذلـك: الرغبة في صرف الأنظار عن العريس والعروس منعًا للحسـد، تمامًا مثل رشِّ البُدْرَة، لكن التفسـير الأكثـر قبولًا هو مـا قيل إن إطلاق الرصاص هو إعـلان عن عهد ما بعد عهد الغرام، حيث تبدأ الحرب بين الاثنين.

اللجوء إلى حضنها

الرجل يكون أكثر اقترابًا من المرأة عندما يحدق به خطر ما، في زمن الحرب مثلًا يزدهر الحب، فأجمل قصص الحب الرومانسية التي قدمتها السينما العالمية تدور بين رجل يتهدده خطر الموت في الميدان وامرأة تشاركه الموقع أو يسعى للقائها في إجازات خاطفة، ومن هذه الأفلام مثلًا «شارع هانوفر» لهاريسون فورد، و«الحب شيء متعدد الجمال» لجنيفر جونس، وبالرغم من أن الزواج هو أكبر خطر يتعرض له الرجل إلا أنه يندفع إلى الزواج عندما يتهدده الخطر!

فالرجل مهما كبر ونضج يظل بداخله ذلك الطفل الذي يتشبث بحضن الأم في ساعات الخوف، والمرأة التي يصادفها وهو يفتقد الأمان هي هذه الأم التي يجنح إلى الاحتماء بحضنها، وتذكر الإحصائيات أن المضيفات الجويات يفزن أحيانًا بأزواج من أصحاب الملايين عندما تتعرض الطائرة للخطر، أو عندما يكون المليونير ممن يعانون رهاب ركوب الطائرة، فالمضيفة احترفت - ضمن مهنتها - بعث الثقة والطمأنينة، وهي بابتسامتها وهدوئها تضفي على الخائف أمنًا نفسيًا يجذبه نحوها إلى درجة التهور المسمى بالزواج.

والذين يعانون وهم المرض وهم أصِحَّاء ويترددون على المستشفيات للفحوص والتحاليل، ينتهي الأمر ببعضهم إلى الوقوع في حب الممرضة.

وهناك عاملة أسانسير نيويوركية كانت تزيل مخاوف مدير الشركة صباحًا ومساءً، فما أن يغلق باب الأسانسير ليصعد به إلى الدور العشرين حتى يستبد به جنون - أو رهاب - الأماكن المغلقة، وانتهى الأمر بالمدير إلى الوقوع في حب ستوتة شندلر.

وهكذا كل رجل في وقت الخطر: يتطلع إلى الهروب بين أحضان الأم البديلة، ثم لا يلبث أن يتبين أنه وقع بين يديها.

نهاية عهد الهمس

هناك رجال مدربون على احتراف الحديث مع المرأة غزلًا وغرامًا لأن الطريق إلى قلب المرأة يمر بأذنيها، فالمرأة يسعدها كثيرًا أن تسمع الكلام الباهر، ولهذا تنجذب المرأة إلى الرجل اللعوب؛ لتحقق تفوقًا على الأخريات بالفوز به، وهي تأمل أن يقنع بحبها، فيقنع فعلًا بحبها وحب شوشو وميمي وتاتو.

وأحيانًا يفشل الرجل في التعبير عن نفسه عندما يحب حبًا صادقًا وعميقًا؛ إذ يرى كلمة أحبك أرخص وأصغر وأقل بكثير مما يحس به، الأمر الذي يزعج المرأة كثيرًا لأنها تريد من الرجل أن يكرر كلمة أحبك كما يكرر المذيع «هنا القاهرة» مرة كل ربع ساعة..

ويصبح الرجل في صمت تام وصائمًا عن أي كلام في حالتين، الأولى عندما يتسلط عليه حب داهم فلا يجد منها صدى أو استجابة، والثانية عندما يصاب بالسكتة الكلامية في بيت الزوجية ويداهمه الخرس المنزلي الأعظم.

والرجال عمومًا يجيدون اختيار الألفاظ في أيام الغرام، وبعد الزواج تتحول الهمسات الرومانسية في أفواههم إلى عبارات غريبة مثل: فين الزفت القميص، وفين الزفت مقص الضوافر.

العواذل!

العذول - أو العاذل بالفصحى - هو الذي لا يكف عن لوم العاشق واستهجان المحبوبة أو المحبوب بمفتريات لها أول وليس لها آخر، فهي سمعتها هباب، وهي تحب عشرة آخرين عليه، وهي كذا وهي كيت، ورغم العذول وكلام العذول - بالإضافة إلى غلاء المعيشة وأزمة المساكن - فإن عشرات الألوف يتزوجون كل يوم، الأمر الذي يرجح أن الزواج مرض وراثي.

والعذول صناعة شرقية لأنه نتاج مجتمع طالت فيه العزلة بين الجنسين في الحرملك والسلاملك، الأمر الذي جعل فرصة اختيار المحبوب تكاد تكون معدومة فتولَّد الحقد على كل رجل تحبه امرأة وعلى كل امرأة يحبها رجل، وبذلك تكاثر العواذل وانتشروا في أغانينا انتشارًا وبائيًّا، وأصبحت كل أغنية تحتاج إلى عاشق وعاشقة وعذول، فمن غير العذول لا معنى للبكاء والأنين، فالعذول هو سبب كل بلوى، وهو أمر مبالغ فيه، بدليل أن الزواج مليء بالبكاء والأنين مع أن ليس فيه أي عذول، بل فيه ناس طيبون يُصبِّرون المتزوجين على بلوتهم.

كذلك تأثرت السينما المصرية كثيرًا بفكرة وجود العذول، فلم تجعله مجرد لائم بل طورت شخصيته مستعينة بحواديت ستي، فجعلت السينما قصة الحب في الفيلم مكونة من البطل والبطلة والشرير الذي هو العذول الجديد، وهي فكرة معدلة لثلاثي حواديت ستي: ست الحسن والشاطر حسن وأمنا الغولة التي كان يقوم بدورها محمود المليجي وتوفيق الدقن، فإذا رأى المسئولون عن الفيلم أن جرعة الشر غير كافية لإفساد قصة الحب واستدرار العطف على البطلة، لجأوا إلى موت البطلة.. ولا عزاء للمتفرجين.

وهناك فرق!

الأفضل أن يكون هناك حب قبل الزواج، فالحب تجربة نافعة أو هو بروفة للزواج؛ لأن الحب والزواج وجهان لعملة واحدة، وبينهما الكثير من أوجه الشبه:

- في الحب مثلًا يتمنى كل طرف أن يشعل النار في الآخر، وكذلك في الزواج يتمنى كل طرف أن يشعل النار في الآخر مع تغيير الوقود إلى بنزين.

- في الحب يتحدث كل منهما عن الآخر في إعجاب، وفي الزواج يتحدث كل منهما في إعجاب أيضًا، ولكن عن نفسه.

- في الحب يحرصان على ألا يسمع أحد حديثهما، وفي الزواج يحرصان على ألا يسمع الأولاد الخناقات.

- في الحب أيام الخطوبة يجعلها تسهر إلى وقت متأخر في انتظار انصرافه من بيت أهلها، وفي الزواج يجعلها تسهر في انتظار عودته.

- في الحب يكيد لهما العذال، وفي الزواج يستغنيان عن العذال، وبالجهود الذاتية يكيدان لبعضهما.

- في الحب يدعو الله أن تصبح حبيبته زوجة له، وفي الزواج يدعو الله أن تصبح زوجته حبيبته.

- في الحب يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد الشوق والحنين، وفي الزواج يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد محضر.

- الفرق المهم بين الحب والزواج هو أن الحب يؤدي إلى الزواج، والزواج لا يؤدي إلى الحب.

اختبري حبك

ممكن أن يوجد الحب الرومانسي بين الزوجين، ويمكن للزوجة أن تطرح على نفسها بضعة أسئلة لتستوثق إن كان الحب رومانسي الطابع أم لا، ومن بين هذه الأسئلة مثلًا:

هل تتركان جموع الناس في الحفلات وتنتحيان ركنًا بعيدًا في حديث هامس حتى لا يعرف الحاضرون أنكما تتشاجران؟

هل تنظرين إليه - كلما التقيتِ به - وكأنما تلتقين به لأول مرة فتدققي النظر - مثلًا - في أنفه الكبير بدهشة بالغة؟

هل تستعملين شفرة حلاقة ذقنه الجديدة في بري قلم الحواجب فيقابل هو هذا التصرف بضحكة جذابة فيها الكثير من الهيستريا؟

هل تؤجلين قص المشاكل عليه إلى أن ينتهي من طعامه، أم أنك - خوفًا على صحته - تحرصين على أن تكون وجبته قليلة جدًّا؟

هل يهديكِ من وقت لآخر هدايا ثمينة ولا يطالبك بها إلا عند الخناق في مكتب المأذون؟

هل تحرصين على أن يكون زوجكِ هو أول مَنْ ترتدين أمامه فستانكِ الجديد حتى ينشرح صدره ويصبح أقل مقاومة في تسديد فاتورة الفستان؟

هل تشعران وأنتما بمفردكما في البيت أنكما تريدان ممارسة الهواية التي ترتاحان إليها وهي الزعيق؟

هل تشعرين بالخوف عليه وعلى مستقبل الأولاد فتودين مفاتحته في أن يعرض نفسه على طبيب أمراض عقلية؟

ملاك رغم أنفه

زواج سبعة أشهر يفتقر إلى التفاهم الذي أثمره زواج سبع سنوات، وزواج عشرين سنة يجعل الاثنين يتذكران أمورًا تافهةً ومضحكةً كادت تودي بالزواج في سنته الأولى، فالزوجان في بداية الزواج أشبه بفريقي كرة قدم في الدقائق الأولى لمباراة حساسة: أعصاب مشدودة. توجس. تحفز، ورغبة تمتزج بالتحدي في أن يسيطر كل منهما على الملعب، وهو ما يسمى في الزواج بمعركة السيطرة، أو مَنْ يسيطر على مَنْ؟ وهي معركة لا يعرف الزوج المبتدئ الغشيم أنها تنتهي - منذ بدء الخليقة - بتنازل الزوج عن عرش البيت مع منحه لقب شرفي هو شُرابة الخرج.

والحكم على إنسان بأنه سيئ تمامًا أمر مشكوك في صحته غالبًا، فهناك إنسان سيئ لأنه لم يوافقنا على أن «واحد زائد واحد يساوي سبعة»، وهناك إنسان سيئ لأننا ننظر إليه من خلال أفكار منحازة، وهناك إنسان سيئ لأنه يؤلف لنا المسلسلات، وحتى مؤلف المسلسلات مثلًا فيه جوانب طيبة بعيدة عن الأذى.

كذلك لا يوجد إنسان مجرد تمامًا من أي معنى طيب، وبالمثل لا يوجد في الدنيا ملائكة بلا خطايا، لكن يوجد زوج مزمن أصبح ملاكًا رغم أنفه بالترويض الممل، فمنذ بدء الخليقة والمرأة تتبع سياسة النفس الطويل - دون يأس - لكسر ناب الرجل مهما كان هذا الناب أزرق، وليست مصادفة أن تشكل النساء أغلبية مروضي السباع والنمور في سيركات العالم، وليس غريبًا أيضًا أن يتحول سبع البيت إلى أرنب، ولا ترد هي له اعتباره إلا يوم تصرخ وسط الناس: يا سبعي يا سبعي!

أجمل الأكاذيب

إن الحب نفسه - كالحياة - أكذوبة جميلة، قد تطول - كالحياة أيضًا - وقد تقصر، والكذب عند العشاق على كل لون: أحلام وأوهام ورؤى لا تمُتُّ إلى واقع أو حقيقة، يا ويل العاشق عندما ينحسر الوهم عنه: فهذا كامل الشناوي يقول: «أيقظتني من زيف أحلامي وغدر مشاعري»، وهذا علي طه يقول: «أنا من ضيع في الأوهام عمره»، وهذا ناجي يقول: «وأفقنا ليت أنا لا نفيق».

وكل مناجاة العشاق وأغانيهم تقوم على أكاذيب جميلة، فهذا عاشق يقول: «أبني لك قصر عالي واخطف نجم الليالي»، ربما لتركيب هذا النجم نجفة في القصر، وهذا الدكتور مجدي يعقوب يقول لعاشق: «في قلبك رمش عين صاحبه رماه وناسي بقاله جمعتين»، وعاشق يقول للمحبوبة: «خد عين مني وطل عليا»، فهو يعرف أنه كاذب لأنه لن يذهب للقائها وهو أعور بعين واحدة.

والكذب في الزواج يبدو وكأنه ضرورة.. مثلًا يعني مهما بلغ حب امرأة لرجل فهي تجد سعادة خفية في التمرد على سلطانه من خلف ظهره، وتكذب عليه، أو تكذب دفعًا لعواقب غيرة حمقاء من جانبه، وإذا قلنا إن الكذب سلاح الضعفاء لأن الأقوياء لا يكذبون، فذلك يوضح لنا لماذا يكذب الأزواج خصوصًا عند العودة في المساء.

ومن الابتدائية إلى الليسانس إلى الدكتوراه يتعرض الرجل لأسئلة كثيفة يتحدد معها مستقبله، لكنها جميعًا أسئلة تهون إلى جوار ما سوف يلقاه من أسئلة الزوجة، وفي ذلك قال حكيم إسبرطة لزوجته: إذا أردتِ ألّا أكذب عليكِ فلا تسأليني سؤالًا واحدًا!

والغيرة أنواع

الغيرة أنواع. هناك غيرة رجالية وغيرة نسائية، والغيرة الرجالية تشمل الغيرة على الزوجة أو الغيرة على زوجة رجل آخر.

والرجل العاقل يعتدل في غيرته على زوجته، والرجل الأحمق هو الذي يغار إلى درجة تشكك الناس في سلوك زوجته، لكن هذا الغيور الأحمق انقرض في الغرب مع انقراض الرجل الحِمِش وظهور الرجل الخُنفُس الذي أفرزته الزعامات النسائية، ويحكى في ذلك أن رجلًا اتصل بزوج من هذا الطراز، وقال له: سوف أمر عليك اليوم لكي أطلب يد زوجتك، فقال له الزوج: متأسف، أنا مشغول اليوم، يمكنك أن تمر غدًا، كما يحكى عن الزوج الآخر الذي لمح زوجته داخل سيارته ورجل غريب إلى جوارها يُقبِّلها فاستشاط الزوج غضبًا وباع السيارة.

أما الغيرة النسائية فتشمل غيرة المرأة من المرأة، وغيرة الحبيبة على حبيبها، وغيرة الزوجة على فلوس زوجها.

فغيرة المرأة على الرجل هي غيرة عاطفية أيام الحب والغرام الحامي؛ إذ إن الخناقات بين العشاق سببها الرئيسي الغيرة، فالغيرة هي التي تبعث السخونة في الحب، وعندما يتوارى الحب بعد الزواج يصبح السبب الرئيسي للخناقات: الفلوس.

وإذا كانت غيرة الرجل مبعثها الرغبة في استئثاره بأنثاه، فإن غيرة الزوجة يغلب عليها العامل الاقتصادي، فلا توجد امرأة على ظهر الأرض تأمن للرجل وفراغة عينه، ووقوع الزوج أو شبهة وقوعه في حب امرأة أخرى معناه أن هذه المرأة سوف تستولي على جانب من الدخل أو الدخل كله (حسب درجة الصبابة)، وبسبب هذا التهديد تحرص الزوجة دائمًا على تقصي حقيقة دخل الزوج، كما تحرص على نوبة التفتيش الليلية لجيوبه.

بكيدهن عليم

هنــاك فرق كبير بين إخلاص المرأة لمــن تحب وبين حبها للخداع، فالخداع جزء مـن تكوين المـرأة، يقـول تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ صـدق الله العظيـم، والكيد هـو المكـر والاحتيال، وهو ضـرورة للمرأة لاجتـذاب الرجل وتكويـن الأسـرة؛ إذ لا يمكن طبعًا أن يصـل الرجل إلى درجة قبـول الزواج إلا بعد الضحك عليه.

وإذا كان الصياد يحتال على أنياب الأسـد بالشـراك الخداعية، فالكيد يصبح ضـرورة فـي مواجهة عضلات الرجـل، ثم إن المرأة مهمـا تفانت في حب رجل فإنها تجنح دائمًا إلى التمرد على سلطانه وعصيان أوامره في أمور تافهة وصغيرة مـن خلف ظهره، وتشـعر من ذلك بمتعـة كبرى، كتلك السـيدة التي أقبلت على قزقـزة اللب من خلف ظهر زوجها دون سـابق هواية لذلك، فقد حرم عليها أكل اللــب، وعندما جعلها تقسـم في البدايـة أنها لن تقزقز ذلك اللب الأسـمر، برَّت بقسمها وأصبحت تقزقز اللب الأبيض.

وعاطفـة المـرأة لا تتغير بسـهولة لأنها مسـتمدة مـن أقـوى العواطف أصالة وجـذورًا: الأمومـة، وإذا تغيـرت عاطفتها فلأسـباب وجيهة يـدان معها الرجل، لكـن المرأة بحكم طبيعتها قد يعتريها ضجر عاطفي بين حين وآخر بسـبب رتابة العلاقـة أو الـدورة النفسـية بيـن الاكتئاب والانبسـاط، وهنا يغيـر الحب جلده، ويتجدد باشتعال نار الخلاف والحب كده.. خصام ورضا.

ملحوظـة: الفـرق الوحيـد بيـن ضجـر الحبيبـة وضجـر الزوجـة هـو كيس بلاستيك.

كلمني شكرًا!

الرجال ينقسمون إلى قسمين: الثرثارون والأقلية، والأقلية تنقسم إلى ثلاثة أنواع: مستمع جيد، ورجل عاجز عن الكلام بالفطرة، ورجل أخرس بالاكتساب (الزوج داخل البيت).

والمرأة يشد انتباهها الرجل قليل الكلام، وقد يستهويها هذا الرجل إما لأنه صامت وإما عاجز عن الكلام ومليونير.

والمرأة يستهويها الغموض في شخصية الرجل، وهي كما تجري وراء السر لكي تكتشفه ثم توزعه على صديقاتها مجانًا في التليفون، فإنها أيضًا يروق لها الرجل المتحفظ قليل الكلام حتى تكتشف شخصيته، وهي تهتم به بقدر ما يثير فضولها، وتفقد اهتمامها به بقدر ما تكتشف من شخصيته، فلا تكشف عن شخصيتك للمرأة التي تحبها ولا تسرف في إظهار عواطفك نحوها، فالمرأة تريد منك أن تحتفظ لها دائمًا بقدر يكفي لإثارة فضولها، وأعرف زوجة ظلت في غرام مع زوجها حتى السنة العاشرة من الزواج لمجرد أنه غامض التصرفات، وفي السنة الحادية عشرة عرفت أنه هارب من أحكام جنائية.

والمرأة يستهويها في الرجل اللعوب - ضمن ما يستهويها - اكتشاف سر جاذبية النساء له، وقد كان كازانوفا أمير العشاق اللعوب يخدر المرأة بشخصيته الغريبة؛ إذ كان أفاقًا ونصابًا وجاسوسًا وكاهنًا وكاتبًا ومحاربًا، ثم تستيقظ الحبيبة ذات صباح لتجده قد جردها من الفلوس والمصاغ.

وآخر نصيحة: إذا أظهرت للمرأة كل ما خفي من شخصيتك، وأصبحت هي تستطيع أن تقرأ دون أن تنطق كلمة، فاعلم أن الضجر قد تسلل إلى صدرها، وأنك أصبحت - إن كنت لا تدري - زوجها.

الحب وعمره

الحب ليس له عمر افتراضي، الحب يمكن أن يكون معمرًا كما يمكن أن ينقصف عمره، فالحب له آفات، والبخل مثلًا يقتل الحب بالسم، وافتقاد الحنان يقتل الحب بالأنيميا، كذلك يمكن القضاء على الحب في حادث مثل حادث لا تكذبي إني رأيتكما معًا!

والحب القوي له مناعة الجسم، وهو يفقد مناعته عندما لا يجد كل طرف ما يقدمه إلى الآخر، ومقبرة الحب عبارة عن حفر صغيرة متجاورة يحفرها العاشقان بأخطاء متعاقبة وقاتلة، فالحب هو الكائن الوحيد الجميل الذي يتم دفنه جزءًا بعد آخر.

والحب - على مدى عمره - له أسماء مرحلية، فهو يبدأ إعجابًا فاهتمامًا فغرامًا، ثم ينزع منه المأذون جناحيه الجميلين: الشوق والحنين، فيصبح اسمه أحيانًا مودة، وأحيانًا خناقات..

والحب - على مدى عمره - يميل إلى التنكر، فهو كثيرًا ما يتنكر في زي الصداقة، ثم يسفر عن هويته، وقد يتنكر في صورة نفور أو استفزاز رجل ما مثلًا يثير ضيق امرأة عندما تراه، هذا منتهى الاهتمام بالرجل من جانبها دون أن تدري هي أنه الحب يدق بابها، وفي ذلك قالت الأمثال: «ما محبة إلا بعد عداوة»، وقد يتنكر الحب أيضًا في زي الكراهية، وقد يعيش طويلًا على شكل رغبة قوية في الانتقام، فالمرأة العاشقة تفضل كثيرًا أن ترى حبيبها خارجًا من عمر مكرم على أن تراه خارجًا من بيت امرأة أخرى، ومشهد عطيل وهو يقتل ديدمونة صورة مكتملة للحب الجارف عندما يتملكه الغضب المجنون، والواقع أن كل حبيبين ينتقمان من بعضهما في النهاية، فهي تتزوجه وهو يتزوجها.

دموع الحب

التعامـل مع الدموع لا يفرق بين الرجل والمرأة، فالرجل - وكذلك المرأة - يبـدأ البكاء بغير دمـوع وهو وليد، ثـم تعمل الغدد الدمعية بعد شـهور من مولده، ثم تظهر فوائد هذه الغدد في المستقبل عند الجنسين، فتصبح الدموع هي اللحن المميـز الذي يسـبق برنامج ما تطلبـه المرأة من الرجل، بينمـا تلعب الدموع عند الرجل دورًا مهمًّا للتعبير عن القهر داخل النظام الشمولي المسمى بالزواج.

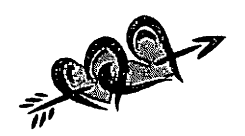
ولا تخجـل من دموعك في الحب، فالفرق كبيـر بين أن تدمع وأنت تعبر لها عن أحاسيسـك، وبيـن أن تنوح كواحـد من شـحاتين الغرام طلبًـا للوصال، في الأولـى تعبير عن صدقك، وفي الثانيـة منتهى الهوان، ولا تصدق أن الدمع يحط من شـأن الرجولة، فهو تعبير إنساني بالدرجة الأولى، وفي أساطير الإغريق نرى أبطـالًا فـي قمـة القوة يبكون، ثـم إذا كانت الدمـوع تنتقص مـن الرجولة فما هو البديل الذي يلجأ إليه الأزواج؟

وكل عاطفة قوية ذات أعماق تؤكد صدقها وأصالتها بالدمع كالتفاني في حب الله ويقول تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ ، و ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ صـدق الله العظيم.

وفي المجال الغرامي بين الجنسين ليس صحيحًا أن الدموع تصاحب عاطفة الرجل الشـرقي فقط، فالدموع موجودة في أشـعار شكسـبير وبايرون ووتنيسون

وغيرهم، وتعتبر الدموع سـلاحًا متبادلًا بين العشـاق يسـتريح كل طرف لإصابة الآخر به، فيقول عاشق مثلًا في إحدى الأغاني: «خلي دموعه تسيل ع الخد.. ده مفيش حد أحسن من حد»!

وإذا كان العشـاق يتمنـون البـكاء لمـن يحبـون.. فمـاذا تركـوا لحـرب المتزوجين؟؟



.. ولغة الحواجب!

السعادة يمكن أن تدوم بعد أيام العسل الأولى بفضل التفاهم، لكن قد يحدث في بعض الأحيان أن الزوجين السعيدين يبدآن صداقة حميمة، ثم يغير كل منهما رأيه في الآخر.

وهناك زيجات ليست مثالية أو طبيعية، فلا بد من وجود الملح والفلفل والشطة أحيانًا لأن أي مكان يوجد فيه اثنان لا بد أن يكون فيه اختلاف في الرأي، والتفاهم مع المرأة سهل، وله قواعد بسيطة، أولها أن في أي مناقشة مع المرأة هناك دائمًا وجهتا نظر، وجهة النظر ووجهة النظر الغلط، فإذا بدأت المناقشة معها فكن «جنتلمان»؛ إذ ليس من الحصافة أن تقاطع أفكارها المتدفقة، بل عليك أن تجيد الإنصات إليها لكن لا تجعلها تكتشف أنك تتظاهر بذلك، والمرأة لا تستطيع أن تتخلص أبدًا من أسلحة أنوثتها في الإقناع، وهي يعز عليها أنها كانت أيام الخطوبة والغرام تقنعك في المناقشة بنظرة عين، أو ابتسامة عريضة تكشف عن أسنانها اللولي، فلا ينبغي أن تصدمها بعد سنوات الزواج بأنها فقدت نفوذ عينيها، بل أشعرها أن عينيها لا تزالان على نفوذهما القوي وهي توجه إليك - خلال المناقشة - زغرة قوية، كما عليك أن تتذكر أن أسنانها اللولي لا تزال سلاحًا صالحًا للعض، ومن المهم أن تلاحظ أن المرأة لها لغة خاصة في المناقشة، بعضها غير مفهوم ويتعذر الرد عليه، كأن ترفع لك حاجبًا وتخفض آخر، وهي حركة من العسير على الرجل الرد عليها بسبب التكوين المختلف لعضلات حواجب الرجل، وهنا نتبين حكمة تقول: ليس من الضروري أن ترد على كل ما تقوله المرأة، كذلك علينا أن نلاحظ أن المحصول اللغوي للمرأة ضعيف، فقد لا تسعفها الكلمات فنجدها تستعمل كلمة غير مناسبة بحسن نية،

فهي إذا أرادت أن تقول لك: «إن تفكيرك بهذا الأسلوب يجعل حياتنا صعبة»، قالت بدلًا من ذلك: «إن العيشة معاك بقت هباب»، فهي حسنة النية، ولكي تكون المناقشة ناجحة مع امرأة عليك أن تلتزم الصمت، وأن تأخذ يدها في حنان بين يديك، فهذا سوف يقيك مفاجآت طولة اليد، وعلى العموم يمكن تجنب المناقشات الحادة إذا تجنبنا أسبابها وأهمها الغيرة على الرجل وعلى جيب الرجل، فالمرأة تعتقد أن الرجل على جانب كبير من البلاهة ويسهل الضحك عليه، وعندما يتأكد لها أنه أبله فعلًا بزواجه منها، تبدأ مرحلة خوفها الشديد من أن تستغل بلاهته الأخريات، أما غيرتها على جيب الرجل فلن تكون هناك أي مشكلة إذا قدمت إليها إقرار الذمة عن دخلك، وكان الإقرار مطابقًا للنتائج التي حصلت هي عليها من تفيش جيوبك ليلًا.



في بورصة الحب

الزواج لا يحتاج إلى نصائح تُقال، فلا أحسب أن النصيحة تجدي مع مَنْ لم يتَّعظ بمصائر الذين سبقوه، وصحيح أن الإقدام على الزواج لا يحتاج إلى أي عقل، ولكن الاستمرار في الزواج يحتاج إلى حكمة لقمان وسليمان، والحكمة تقتضي أن تكون واقعيًّا، مثلًا لا تحاول أن تقوم بدور الديكتاتور حتى لا تدخل معها في منازعات؛ إذ إن دور الديكتاتور - بالبداهة - هو دورها الطبيعي، يمكنك فقط أن تقوم بدور الملك، بشرط أن تكون كملك الإنجليز، تملك ولا تحكم، وليس في هذا ما يسمى كبرياءك، فكبرياء التاج البريطاني محفوظة دائمًا، ثم ما حاجتك إلى الكبرياء أصلًا؟ أليست الزوجة امتدادًا للأم ونزعة الأمومة أقوى ما فيها، من هنا يمكنك أن تترك العنان لصوتك كي يختنق بالدموع أمامها عندما تشعر بالقهر، فهذا يرضي أمومتها خصوصًا إذا انفجرت باكيًا تلطم الخدين، ولا تستنتج من هذا كله أنك سوف تصبح بلا قيمة في البيت، فمن المؤكد أنها ستستشيرك في كل كبيرة وصغيرة ثم تنفذ عكس رأيك، وإذا أزمعت أن تقول رأيًا نافعًا قد يثير خلافًا بينك وبينها فعد من واحد إلى خمسمائة - للتروي - قبل أن تعلن رأيك، ثم اعدل عن قوله؛ فمن طبيعة الزواج أنه نظام قهري للحاكم فيه حق الكلام فقط، اتركها تتكلم كما تشاء، وتستطيع أن تجد فرصتك في التعبير عما تريد أن تقوله إذا كلَّمت نفسك.. هذا من ناحية السلطة في البيت.

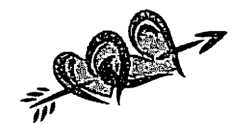
أما من الناحية الاقتصادية، فأنت قد دخلت عهدًا جديدًا تخضع فيه للتأميم والمصادرة والحراسة، وتذكَّر أن الحب في الزواج يمتزج بالاقتصاد وارتفاع أسهمك في بورصة الحب يرتبط بارتفاع أسهمك في بورصة المال، وإذا

سألتك: بتحبني؟ قل: نعم. وإذا سألتك: بتحبني أد إيه؟؟ فاختصر الجواب وقل لها: إنتي لازمك فلوس أد إيه؟ وصحيح أنها ستقرر لك مصروفًا شخصيًّا (سجاير ومواصلات) كأي واحد تحت الحراسة، لكن ينبغي أن تقتصد من هذا المصروف وتدبر مبلغًا لشراء شنطة؛ إذ لا غنى لك من وقت لآخر عن جمع ملابسك لتطفَش من البيت.



التفرغ للحب

المرأة عند الزواج لا تحدد أو تختار مهنة العريس، وحتى العريس أصبح لا يختار مهنته، فالذي يختار له المهنة في العصور الحديثة هو مكتب التنسيق، وبعد تخرجه في الجامعة تختار له القوى العاملة مهنة أخرى غير التي درسها، والخلاصة أن المرأة لا تشترط مهنة معينة للعريس، فهي تكتفي بأن يكون الرجل في وظيفة «زوج»، وهي وظيفة تعتقد المرأة أن الرجل ينبغي أن يتفرغ لها، وكلما كثرت ساعات التفرغ لهذه الوظيفة كانت سعادة المرأة أكبر، ومن هنا نلاحظ أن عشاق التاريخ المعروفين كانوا من العاطلين عن العمل، كالشاب المتشرد قيس، والجنرال المتقاعد مارك أنتوني، وفي العصر الحديث: دوق وندسور، وزمان كان من الأعيان وذوي الأملاك مَنْ يجد عنده الوقت الكافي لدرجة الزواج من أربع والتفرغ لهن.



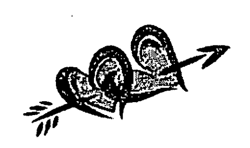
يا لبطولته!

إن الزوج يعطي زوجته بدل تفرغ على شكل هدايا أو فلوس إذا كان مشغولًا جدًّا بعمله (أو بامرأة أخرى)، وما من فتاة تقبل الزواج من صحفي إلا وهي على يقين أن عريسها متزوج كل الوقت من الصحافة، وقد تعجب المرأة بالرجل المشهور، ولكنها نادرًا ما تستسيغه زوجًا، ليس لأن معظم المشاهير مجانين، ولكن لأن المرأة لا تقبل قسمة العاطفة على اثنين، فلا هي تريد مزاحمة معجبات، ولا هي تقبل - في أي مجتمع - أن يسرق أحد منها الأضواء حتى ولو كان زوجها المشهور، وزوجات المشاهير معظمهن غير سعيدات، ليس لأن ثلاثة أرباع المشاهير يعانون من مرض الملانكوليا أو الاكتئاب، ولكن لأن الحياة مع المشاهير مليئة بالمتاعب، وهي متاعب تكتسب معها الزوجة في النهاية قوة التحمل والصبر، وكثيرًا من الدهشة أيضًا، فهي تدهش حقًّا - بعد سنوات الزواج - لأن يكون لزوجها معجبة أو معجبات، فهي ترثى لهذه المعجبة؛ لأنها لا تشاهد زوجها وهو نائم مثلًا منكوش الشعر، مفتوح الفم كسيد قشطة، ولسانه يتدلى كالأبله، وشخيره يهز أركان الغرفة رغم الزغد المستمر فيه، فالأخريات لا يرين إلا الجانب البراق من المشاهير، وصدقت تلك الزوجة العظيمة التي قالت: إن وراء كل رجل مشهور زوجة تقول له طظ فيك.

الشريك المخالف

عندما نقول آدم فهذا يعني الرجل، وعندما يُقال حواء فهذا يعني المخلوق الأجمل والألطف والأرق والأذكى، ولا يعني - على وجه التخصيص - أُمنا حواء، ويمكن أن نعتبر «آدم وحواء» اصطلاحًا أو تعبيرًا عن نقيضين: الشريك والشريك المخالف، واحد يريد فتح النافذة لأنه حرَّان، والآخر يريد إغلاق النافذة لأنه بردان، واحد يقول يمين والتاني يقول شمال، واحد موافق والتاني غير موافق، ولعل الاتفاق التاريخي الوحيد بين الطرفين هو الاتفاق بين الأب الأول آدم والأم الأولى حواء على أكل التفاحة، وهناك مَنْ يحاولن تبرئة أمنا حواء من المسئولية تمامًا.. صعب.. فالثابت أن إبليس قد أغواها في صورة الحية لتأكل من شجرة المعرفة فأغوت آدم، ولا يمكن تبرئة آدم أيضًا من المسئولية، وتقول الآية الكريمة في هذا الخصوص: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ أي أن آدم لم تكن له إرادة صلبة وصمود قوي أمام إغرائه والتغرير به، وعلى مر التاريخ نجد أن آدم في كل زمان لم تكن له - أمام حواء - الكلمة الأولى (ولا الأخيرة وحياتك)، فهو يبدأ النقاش معها بكلمة غير موافق، ثم ينتهي النقاش بكلمة غير معترض، وهناك كوكبة يسميها الفلكيون حواء تمثلها الأساطير في صورة رجل يحمل بين يديه أفعى وهو ملدوغ يا ولداه، فنحن الرجال قوم سذج نتعرض في كل عصر وزمان لشراء الترماي، فما من امرأة فشلت مرة في أن تبيع للرجل الترماي، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ والكيد هو المكر،

والمكر هو الاحتيال الذكي فريسته دائمًا السذج والأبرياء، إن في رقبة كل رجل كـرة صغيرة اسـمها تفاحة آدم، ترتفـع وتنخفض عند البلع، وذلـك رمز للتفاحة المحرمـة التـي لم يكن يريدها آدم، ولأنه لم يكـن يريدها فلا هي طلعت ولا هي نزلت، وإنما وقفت في زوره إلى أبد الآبدين!



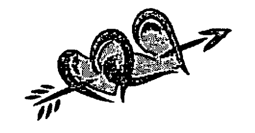
خطيبته معفرة بالتراب!

رأيته حزينًا لأن كل ما في خطيبته جميلًا إلا اسمها: «عفراء»، لم يعجبه وفهم من الاسم أنها معفرة بالتراب!!!

وكثيرون لا يعرفون معاني الأسماء العربية الجميلة مثل: سُهى، وميادة، وسُهيلة، ورباب، ونهلة.

ولكل عصر أسماؤه الموضة.. زُليخة كان موضة. زَنوبيا كان موضة، ثم بنبا قادين - أي السيدة الوردية - وبمبة كشر وألمظ وناظلي شاه. وليس بالضرورة أن يكون للاسم معنى، وإلا فما معنى بُرعي وكمبورة وعدوية؟؟ وإذا كنت تطالب بأسماء عربية أصيلة، فأميمة هي تصغير كلمة «أم»، ومايسة وميادة معناها: التي تمشي «متمخترة»، ويمكن للأُسطى العالمة أن تُغنِّي للعروس باللغة الفصحى: «ميسي يا حلوة يا زينة.. وميدي وتعالي جنبي.. يا حلوة يا لابسة البمبي»، أما «مها» فمعناها - ولا مؤاخذة - بقرة، فالمها هو البقر الوحشي الذي اشتهر بسحر العيون وجمالها، وسهيلة من سهيل وهو النجم، والسُّهى اسم كوكب، ورباب: سحاب، والسَّحَر هو وقت ما قبل الفجر، ومنه السحور والمسحراتي، وعفراء هي التي يُخالط بياضها حُمرة، ونهلة من أحلى الأسماء العربية، فهو مشتق من المنهل العذب، أي ينبوع الماء الصافي، وفي ذلك يقول الإمبراطور عبد الوهاب في مجنون ليلى: «إذا طاف قلبي حولها جن شوقه.. كذلك يشفي الفلة (العطش) المنهل العذب»، أما عفراء فمعناها بيضاء، وعلى أية حال هذه ظاهرة طيبة، أن الأسماء العربية الأصيلة بدأت تغزو دفاتر المواليد على نطاق واسع بدلًا من تفيدة وفكيهة ولواحظ ونوسة وقوسة، كذلك انتشرت الأسماء العربية للذكور

مثل وائل وهشـام ووليد وياسـر وزياد، كما انحسـرت موجة الأسـماء الفضيحة التي كان يروج لها لاعبو الكرة وهم يتسـمون بها مثل السكران وخيشة وصفيحة ولوقـة واللالـي، وكان الأطفال يتعلقون بهذه الأسـماء البطولية فـي عالم الكرة وكانت أمنية كل طفل أن يصبح اسمه الجردل أو الأهتم أو الخربان ولم يعد باقيًا من هذه الأسـماء إلا اسـم المعضاض، وهو اسـم الشـهرة الذي انتشر بين بعض مؤلفي المسلسلات.



حرب الكلمات المأثورة

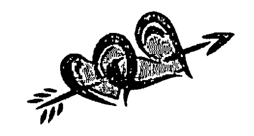
الأقوال المأثورة في المرأة ألفها الرجل، وهي جزء من الحرب الأزلية بين الجنسين والتي بدأت بالواقعة التاريخية الشهيرة بحادثة قطف التفاحة، وتتخلل تلك الحرب فترات هدنة قصيرة جدًّا تُعرف باسم الخطوبة وشهر العسل، كما أنها حرب لها قتلى من الجانبين، ويطيب للرجال أن يُطلقوا على ضحاياهم فيها شهداء الأكياس.

والأقوال المأثورة التي أطلقها الرجل في حربه الإعلامية ضد المرأة لا تزعجها أبدًا. بالعكس. ارتاحت المرأة إلى هذه المقولات الرجالية التي تصورها مخلوقًا قويًّا ومحيرًا وغامضًا وعلى دهاء عظيم، فإذا قيل فتِّش عن المرأة، فهذا شيء يسعدها لأنه يصورها كمحرِّكة وحيدة للأحداث، وأن الرجل ماريونيت أو ألعوبة في يدها، وإذا قيل إن المرأة كالماء إذا اقترب منها الرجل مات غرقًا وإذا ابتعد عنها مات عطشًا، فهذا يعني أن حياته مرهونة برضاها وصدودها، وإذا قيل إن المرأة ذات دهاء وكيد عظيم، فهذا يعني - ببساطة - أن الرجل عبيط.

ولا توجد أقوال مأثورة قيلت في الرجال فيما عدا الأمثال الشعبية التي قالتها ستي وسلخت فيها بدن جدي، فقالت عنه مثلًا: «الشعرة من جلد الخنزير مكسب»، و«الحمار لما يشبع يبعزق عليقه»، كما وصفته بأنه «أقرع ونُزهي».

أما على المستوى العالمي فقد احتكر الرجل في عصور تخلُّف المرأة الممارسات الفكرية، فكتب عن المرأة ما يشاء وأعطى لنفسه حق إصدار الأحكام المطلقة وفق الحال والمزاج، ذلك أن المرأة هي التي تُكيِّف العلاقة

بينهـا وبين الرجل، وهي التي تحـدد هذه العلاقة: صداقة بريئة أو حبًّا وزمالة، أو قطيعة، وهكذا تختلف الأقوال المأثورة للرجل تبعًا لموقفها منه، فإن هي أقبلت عليه قال عنها في مأثوراته: «إذا أحبتك امرأة فهي تحبك حتى آخر عمرك»، وإن أدبـرت عنـه قال في مأثوراتـه: «إذا أحبتك امرأة فهي تحبـك حتى آخر قرش في جيبك».



المرأة فن

المـرأة لا تحـب الصراحة، بل هي تميل إلـى تجميل الواقـع وتفضل تزويق الحقائـق وأحيانًـا تزويرها (راجـع الوجه قبل الماكياج)، وهي تشـترط أن يكون المعنـى الذي تريـد أن تنقلـه ملفوفا في ورق هدايـا بفيونكة، فهـي تعتبر الرجل وقحًـا إذا قـال لها: أنتِ وردة ذبلت، لكنها تسـعد بنفس هـذا المعنى إذا قال لها: الوردة تبقى لها دائمًا رائحتها الجميلة، وقرأت عن سيدة وقفت تسأل في غضب متسـولًا سـليم البنية في شـوارع نيويـورك: لماذا لا تبحث عن عمـل نافع؟ لكن غضبها تحول إلى ابتسـامة راضيـة عندما رد عليها قائلًا: لأن التسـول هو المهنة الوحيـدة التـي تتيح لـي أن أتحدث إلى سـيدة جميلة مثلك بدون سـابق معرفة. وأعرف بائع أقمشة متجولًا كانت بضاعته تلقى رواجًا كبيرًا؛ إذ ما إن تفتح له ربة البيت الباب حتى يقول لها: مامتك فين يا عروسة؟

وللنسـاء فيمـا بينهـن لغـة خاصة يتعـذر على الرجـال فهمها، وهـي لغة غير صريحة؛ لأن المرأة لا تحب الصراحة، فإذا التقت فيفي بسوسو مثلًا وقالت لها: محدش عاد بيشوفك ليه؟ فإن سوسو وحدها - دون الحضور من الرجال - هي التي تستطيع أن تحدد ماذا تقصد فيفي، فتلوين نبرة الصوت وطريقة إلقاء السؤال ونظـرة العين وحركة الحاجب هي التي تحدد لسوسـو مـاذا تعني فيفي بالضبط: هل سـؤالها بريء؟ هل تعني بسـؤالها أنها تعرف أن سوسـو غارقة لشوشتها في قصـة حب حجبتها عن الناس؟ هل تعني بسـؤالها أنها تعـرف أن الكوافير حرق لسوسو شعرها فاضطرت للاحتجاب في البيت بسبب القَرَعَة؟

ولا ينبغـي أن نلـوم المـرأة على هذا كلـه، فالفن يُجمِّـل لنا الحيـاة، والمرأة فـن، ومن هـذا الفن صنـع العباقـرة اللوحـة والتمثـال والقصيدة والسـيمفونية، وإذا حرصـت المرأة على إخفاء سـنها فيجب أن نسـاعدها على ذلك، فهي تريد دائمًـا الاعتراف بوجودها الجميل في عيون الرجل ومشـاعره، والحمد لله أنني سـاعدت كل امرأة التقيت بها بالثقة المطلقة فيما تذكره عن سـنها، ولـم ألتقِ أبدًا في حياتي بامرأة فوق الخمسين إلا والدتي.



لغة المرأة

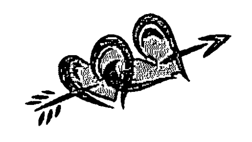
قد يتغير العاشــق أحيانًا لأنه يفهم لغة النســاء من جانب، وحاســة الأنثى من جانب آخر، فالنساء لهن لغة دبلوماسية رفيعة المستوى، كأن تقول امرأة لأخرى بقصد سَـمٍّ بدنها: «فسـتانك يجنن.. عمتي كانت عاملة نفس الموديل من خمس سـنين»، وقد يُفاجأ الشـاب بحبيبته تهجره لتتزوج بآخر فيتهمها بالخيانة والغدر ويغيـب عـن إدراكـه أن الفتاة قـد أحبته فعلًا لكنها بحاسـة الأنثى تحـب أكثر أن تكـون أمًّـا وربة بيت، وهي لا تفاتح فتاها صراحة في ذلك، بل تقول له مثلًا بلغة الدبلوماسية النسائية: «والدي إنسان لطيف جدًّا لو جلست معه»، فلا يفهم أن هذه دعوة لمقابلة أبيها ويرد قائلًا: «أنا سـمعت فعلًا أن والدك لطيف جدًّا»، وحاسـة الأنثى هـي التي تجعل مواقف الأنثـى متناقضة، فالزوجة مثلًا تبـدو مهمومة إذا عاد زوجها إلى البيت مكتئبًا وهي تصبح أشد نكدًا إذا عاد سعيدًا.

فحاسـة الأنثى حاسـة بنّـاءة، تمثل رادارًا يشـعرها بالخطر مـن الأخريات أو الخطر على الأسـرة عمومًا، وهي حاسة مشتركة بين جميع المخلوقات الإناث، فالأنثـى هي التي تختار المكان المناسـب لوضع البيض أو الولادة، وهي تراعي بحاسـتها أن يكون المـكان قريبًا من موارد الغذاء وبعيدًا عـن الأعداء وواقيًا من تقلُّبات الطبيعة الحـادة، بينما الذكر يكتفي في هذه الأثناء بالفرجة أو «المناكفة» فيها دون أن يدرك سـبب حيرتها وبحثها عن المكان المناسـب، ومن هنا تتجلى حكمة الأنثى أحيانًا في الخلاص من الذكر في نفس ليلة الزفاف.

وفـي بعـض الطيور يصبـح موقف الأنثى غيـر مفهوم عندما تفضـل العريس الـذي أتـت الطيور على معظم ريشـه في القتال الذي قام بيـن الذكور من أجلها،

لكنه اختيار حكيم من الأنثى؛ لأنه يصبح عاجزًا عن الطيران فلا يطارد الأخريات ويظل إلى جوارها يساعد في بناء العش، وهي نفس نظرية قصقصة ريش الرجل الشهيرة بقصقصي طيرك لا يلوف بغيرك، والريش في الرجل هو محفظته، ولذلك يُقال هذا رجل مريش وهذا غير مريش.

وقد ينجم عدم الفهم لأن المرأة أحيانا تُصاب بالحَوَل في الألفاظ فتقول نعم وهي تقصد لا والعكس صحيح، ومن هنا كان على الرجل أن يتجنب الأسئلة التي تؤدي إلى الردود الحولاء، فلا يسأل الشاب فتاته مثلًا: هل عرفتِ أحدًا قبلي؟ فتقول: لا، أو يسأل الزوج زوجته: هل صحيح أنكِ اشتريتِ أكياس البلاستيك؟ فتقول: لا.



المرأة حياة

في ظل الزواج يتمتع الزوج والزوجة دائمًا بالحريات: الزوج يتمتع بحق الكلام والزعيق، والزوجة تتمتع بحق اتخاذ القرار، والزواج في رأيي هو مظهر الحب الباقي والدائم بين الرجل والمرأة، فالعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة أشبه بعملية إطلاق مركبة إلى الفضاء؛ إذ إن الصاروخ الذي يحمل المركبة إلى الفضاء ينفث في البداية نارًا تزمجر، وتلك هي مرحلة الغرام الناري، ثم لا تلبث أن تحترق أجزاء الصاروخ مع صعود المركبة إلى «العلالي» فلا تبقى في النهاية إلا المركبة نفسها التي تدور بالاثنين العمر كله، فهذه المركبة هي الزواج، هي الحب الأبقى، هي العِشرة، الارتباط العاطفي القوي، الحب العميق الهادئ البعيد عن النار والاحتراق (بذمتك هل هذا طعن في الزواج؟)، والمرأة تتميز عن الرجل بأنها تكره الرتابة والركود، فهي الحياة، وهي نبض الحياة، وهي تجدُّد الحياة.. راجع التغيرات المستمرة في موضات الملابس وتسريحة الشعر وشكل الحواجب والماسكارا.. إلخ. ثم راجع حب المرأة في تبديل وتغيير مكان الأثاث في البيت، من هنا تضيق المرأة بمركبة الفضاء التي تدور في فلك الزوجية الأبدي بشكل رتيب، فهي دائمًا توَّاقة إلى كسر الجمود والبحث عما يبعث النبض في الحياة الراكدة من حولها؛ لهذا فهي في مركبة الفضاء قد تقول لشريك العمر: «نفسي يا حبيبي أشوفك بترمي نفسك من مركبة الفضاء... يا ترى يجرى إيه؟»، نفس هذا الفضول إلى الجديد هو الذي يدفعها إلى أن تقول العبارة السابقة بشكل آخر: «متبقاش خايب وخلينا نعيش زي بقية الناس»، فيختلس الرجل، ويهوي من مركبة الفضاء إلى ليمان أبو زعبل (لا شك أن بدلة السجن

تجديد في منظر الزوج)، وهذا الفضول إلى الجديد والمثير وكسر الرتابة هو ميراث من الأم الأولى حواء التي قالت لآدم: «قوم يا راجل اقطف التفاحة.. يا ترى يجرى إيه؟»، وقطفها. وجرى ما جرى. وليس هذا ذنب المرأة، فلو كان الرجل مخلوقًا مسليًا محبًا للتجديد وتجدد الحياة، ولو كان الرجل مخلوقًا لطيف المعشر لا يبعث على الملل، لما اضطرت المرأة إلى هذا كله، ولما اضطرت قبل هذا كله ومنذ البداية إلى أن تؤمّن على مستقبلها ضد سخافة العيشة معه ببوليصة تعويض اسمها مؤخر الصداق.



بعيد بعيد أنا وأنت

الحب في بلادنا ليس من الحريات الشخصية، فالرجل عادة له ثلث رأي اختيار شريكة حياته، والوالدة لها الثلث الثاني، والوالد له الثلث الثالث، وإذا كان للرجل بعض الرأي في اختيار شريكة الحياة فإن المرأة - عند القاعدة العريضة - لا رأي لها في اختيار شريك الحياة. الرأي لشنبات الأسرة فقط. ولهذا ينمو الحب من خلف ظهر المجتمع لأن المجتمع يرحب بالحب فقط في الأفلام والمسلسلات والأغاني، ويرفضه في واقع الحياة.

ومن أجل ذلك هناك خصومة دائمة بين المجتمع والعشاق، المجتمع لا هَمَّ له إلا مطاردة العشاق ولومهم، والعشاق لا هَمَّ لهم إلا مغافلة المجتمع ورفع شعار: بعيد بعيد أنا وأنت بعيد بعيد وحدينا.. بعيد عن الناس وكلام الناس ولوم الناس وقرف الناس.

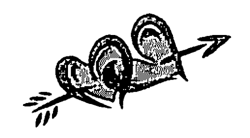
ولعل الحب في الشرق هو الحب الوحيد في العالم الذي يلزمه شخص ثالث شغلته سم بدن الحبيبين ولومهما طول الوقت، ومن هنا انتشرت أغاني بتلوموني ليه. وليه الملام. ويالايمين في الهوى، وهذا الشخص الذي يتولى سم بدن الحبيبين اسمه في أغانينا العذول، واسمه في حواديت الشاطر حسن وست الحسن أمنا الغولة، واسمه في حواديت الأفلام المصرية الشرير، فلوم العاشق ومحاربته وضربه إن أمكن هي طقوس تلازم قصة الحب في الشرق، حتى إذا تزوج العاشق حبيبته تولَّى هو لوم نفسه بنفسه، وعض بنان الندم، وبنان الندم هو إصبع تنبت في اليد بعد الزواج بالذات.

قولّي أحبك قول!

الحب كلام وأفعال، وهو يتوهج بالكلام ويمتحن بالأفعال، فإذا رسب الرجل في الأفعال نجح بالتعويض إذا كان فهلوي الأقوال، وكلمة الحب عند المرأة بالدنيا كلها، فالرجل يجذب المرأة وراءه من أذنها بمعسول الكلام، وينتهي الأمر عادة بأن تجذبه هي من رقبته مسلسلًا إلى المأذون.

والمرأة لا تشبع من كلام الحب، وفيما يختص بالغزل فالمرأة ذات ذاكرة «تيفال» لا يلتصق بها أي غزل، يعني هي في حاجة إلى أن تُذكِّرها كل دقيقة بما قلته من أنك تحبها، وأن عينيها هي أجمل ما رأيت في دنياك، وأن وأن وأن، ولا بد أن تكرر هذا الهمس مرة خامسة وعاشرة وعشرين ومائة. ذاكرة تيفال، فالمرأة تعبد كلام الحب وتنساه أو تدعي نسيانه، وليلى لم تحب المجنون بقدر ما أحبت كلامه، والمرأة لا يخلو صوتها من رنة سعادة وهي تستدعي الشرطة لأنك قلت لها يا قمر، والمرأة لا تحب اللغة الفصحى إلا في رسالة غرام بين يديها نقلها الحبيب طبعًا نقل مسطرة من كتاب دليل المشتاق في رسائل العشاق، وكل حب ينسج خيوطه الأولى بالكلام: نظرة فابتسامة فسلام فكلام، وهو يدعم خيوطه الأولى بالمرحلة الكلامية الثانية التي تُعرف بأنها وعود وعهود، والتي قيل فيها عهود لا تصدق ولا تنصان، عهود مع اللي مالهش أمان، فإذا تخطينا مرحلة الحب إلى الزواج نجد أن الأفعال لها الأولوية قبل الأقوال، فبعد شهر العسل يبدأ موسم الجفاف في الأقوال وهو يستمر إلى الأبد حيث يُصاب الزوج بعاهة مستديمة هي الخرس المنزلي الذي تُحتضر معه رومانسيات الحب

وتنتهـي ويصبح الاثنان على أرض الواقع، والواقع عايز فلوس، والفلوس تعمل خناقـات، فإن حـاول الزوج أن يكـون فهلويًا بالكلام وحـده مصمصت الزوجة الشـفاه أسـفًا وندمًا مرددةً أمثال سـتي: كتر الكلام خيبة، أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك أستعجب، الفشر والنشر والعشا خبيزة!



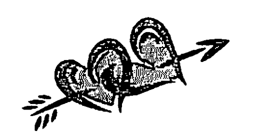
الهوى آه منه الهوى

الحب يحدث تغييرًا مؤقتًا في سـلوك الإنسان، فكلٌّ من الطرفين يقدم أفضل مـا عنـده للتمثيل على الآخـر: العصبـي يصبح حليمًـا، والبخيل كريمًـا، وقليل الأدب لسـانه سُـكَّرة، ولهذا تعتبر فترة الخطوبة فرصة طيبة لإخفاء البلاوي التي سيعاني منها الآخر.

ومن متغيرات السلوك مع الحب أن أشد الرجال وقارًا واتزانًا يُصاب بالخفة والطيش عندما يستبد به الهوى، ولا يتاح إلا للمرأة المعشوقة فقط رؤية الرجل العظيـم الرزيـن وهو يتحول أمامها إلى شـيء يفطِّس من الضحـك، ولأن المرأة تفتقـد روح السـخرية فهي لا تضحـك على حماقات الرجل أمامهـا، بل تعتبرها جـزءًا متممًا لطقـوس الحب التي ترضي كبرياء أنوثتهـا، وفي كل الأحوال يعتبر الجنون هو القاسـم المشـترك بين جميع العشـاق، فالحب يدفع الإنسـان إلى أن يأتي أفعالًا يمكن أن تستدعي انتباه أطباء الأمراض العقلية، خذ مثلًا هذا العاشق الذي يتحدث بلسـانه عبد الوهاب في أغنيته الخالدة: «لما أنت ناوي تغيب على طول»، إذ يقول: «أشـوف خيالك في الوحدة جه قدامي أكلمك وأسـمع حِسَّـك وأشـكي غرامـي وأقـوم أضمك مالقاشـي غير أوهامـي»، مثل هـذه المعاناة في العشـق لن يرضـى عنها طبيب الأمـراض العقلية، فلو رأى الطبيب هذا العاشـق يكلم نفسـه ويقـوم ويقعد ويحضن الهـوى لكتب على تذكرته: يُحـوَّل إلى عنبر خمسة جنون هلاوس.

بل إن العاشـق الذي يتخذونه مثلًا للحب المتفاني اسمه المجنون أو مجنون ليلى، وقصائد الشـعراء تتحدث عن مصرع العقل أمام الجمال، والشـاعر القديم

يمـزج الجنون بالحب فيقول: جننا بليلى وهي جنـت بغيرنا، وأخرى بنا مجنونة لا نريدها، فالجنون يدخل في نسيج الحب لأن الحب إذا لم يقترن بالجنون فقد أهم أركانه، وهذا الجنون هو الذي يدفع العاشـق إلى نهايات مأساوية كالانتحار والزواج.



خيانة الرجل

لا يوجد غناء نسائي وغناء رجالي، بل يوجد صوت جميل وأداء أخاذ، وهناك لوحة نتمنى اقتناءها سواء كان الذي رسمها رجل أو امرأة، ولا توجد موسيقى حريمي وموسيقى رجالي ، كذلك لا يوجد أدب نسائي وأدب رجالي، بل توجد كتابة جيدة وكتابة غير جيدة، والكتابة فن، والمعروف أن الفن قديم، لكن الجديد هو الفنان، إذا كان لا يوجد - في رأيي - أدب رجالي وأدب نسائي، فقد يوجد في الحياة الزوجية أحيانًا نوع متبادل من قلة الأدب الرجالي وقلة الأدب النسائي، والحكم على جودته لجمهور الجيران.

وقد تخوض امرأة قصة حب تزلزل حياتها ثم تقدمها إلى الناس كتابًا تقول فيه إن الرجل خائن، وهي تعتبر كتابها فتحًا في اكتشاف حقيقة الرجل، مع أنها سواء أَلَّفت كتابها أم لم تؤلفه، فإن خيانة الرجل ليست اختراعًا، ولا هي خبر صفحة أولى يدفع إلى الدهشة، بل هي خبر بايت من ألوف السنين.

وقد تجنح بعض الكتابات النسائية إلى تشويه صورة الرجل، لكننا نلتمس لهن العذر في ذلك، فالمرأة حديثة العهد بالقلم، فهي: «محدثة نعمة»، ومن الطبيعي أن تنطلق في كتابتها وتنتقم لقهر السنين، غير أن الأدب المنحاز لا ينتج فنًّا، فمارجريت ميتشل لم تكتب «ذهب مع الريح» لتبرز وجوه السفالة في الرجل، ولا فعلت ذلك شارلوت برونتي. إن الأدب لا يبقى إلا إذا كان أدبًا إنسانيًّا وليس أدبًا عنصريًّا، بل إن الأدب العنصري امتد إلى بعض مخرجات السينما الجديدات اللاتي يحملن شعار الفن من أجل قضية المرأة، مع أن تعبير «قضية المرأة» لم يعد يعني الحصول على حقوقها، بل أصبح معنى «قضية المرأة» هو قضيتها أمام محكمة الجنايات متهمة بذبح الرجل.

الغيرة كضغط الدم!

الغيـرة عنـد المرأة أشـد حـدة وأخطر أثـرًا من غيـرة الرجـل، خصوصًا بعد انقراض الرجل الحِمش في الغرب وتوصُّل المرأة هناك إلى استنباط أنواع أليفة مستأنسة من الرجال، كالرجل الخنفس، والرجل أبو حَلَق.

وكمـا أن الغيـرة عنـد الرجل هي الشـعور بالعـدوان على كبريائـه ورجولته، فإن الغيرة عند المرأة هي الشـعور بسـحب الاعتراف بأنوثتهـا والاعتراف بأنوثة امـرأة أخـرى تفوقت عليها، ولهذا تلجـأ الحمقاوات إلى الخيانة بدافع أساسـي هو اختبار أنوثتها عند الآخرين، فالغيرة تكشـف عن شخصية المرأة. الواثقة من نفسـها تخطط لاسـتعادة رجلها دون أن تظهر غيرتها، لكنها تفتعل أسـبابًا أخرى للغضب لا علاقة لها بالغيرة، بينما المرأة غير المتوازنة الشخصية تدفعها غيرتها إلى حماقات يمكن قراءتها بالتفصيل في صفحة الحوادث.

والغيـرة تمثل السـبب الرئيسـي للخلافـات بين العشـاق، بينما تمثـل المادة السـبب البارز عند المتزوجيـن، ولهذا تمتزج الغيرة بالعنصـر الاقتصادي حيث تشـعر الزوجـة بالخطر لأن امرأة أخـرى تهدد مصادر الدخل، وأمـام هذه الغيرة الاقتصادية تلجأ الزوجة إلى تطبيق نظرية أمها: قصقصي طيرك لا يلوف بغيرك.

والغيـرة كضغط الدم، لا الزيادة مطلوبة ولا الهبوط مسـتحب، والمرأة تعتبر نفسـها ضحية لأنها مضطرة أن تعاشر من الأزل إلى الأبد مخلوقًا خائنًا بالفطرة، ذلـك أن الرجـال عند المرأة ثلاثة أنـواع: رجل خان، ورجل يخـون، ورجل في طريقه للخيانة.

مَنْ عدو مَنْ؟

الرجـل ليس عدوًّا للمرأة، بل المرأة هي التي تناصب الرجل العداء، والأدلة على ذلك:

أولًا – الأم، نقـلا عـن الجـدة، تظـل تحـذر ابنتهـا الصغيرة من بعبع اسـمه: الرجـل؛ لينتهي الأمر بحالة رعب وتوجس من هذا المخلوق المفترس، ويتضح للبنت بعد أن تنضج كامرأة أنه ليس مخلوقًا مفترسًا ولكنه عبيط.

ثانيـا – يظل الشـاب يتودد إلى المـرأة بكلمات الحب والغـزل فلا يجد منها إلا الصد والجفاء وربما اسـتدعاء شـرطة الآداب، وما إن يخطب الرجل شريكة الحياة حتى تبدأ فترة هدنة بين الاثنين تنتهي مع شهر العسل.

ثالثًا – المرأة تفترض الغدر في الرجل، فتبالغ في مؤخر الصداق وتقبضه على داير مليم إذا افترق عنها حيًّا أو ميتًا، بينما لا يشترط الزوج أي شرط مالي في عقد الزواج ولا يحصل أهله على أي تعويض إذا تم – كالعادة – ذبحه بمعرفتها!

رابعًا – حتى في عز الهناء الزوجي تهتم المرأة اهتمامًا خاصًّا بقانون الأحوال الشـخصية، وهذا دليل على أنها تسـعى إلى تأمين حياتها ضد العدو والاسـتيلاء على الشقة.

خامسًا – المرأة إذا تغيبت عن موعد عودتها إلى البيت اشتد قلق زوجها عليها لئلَّا يكون قد حدث لها مكروه، بينما إذا تأخر الرجل عن موعد عودته فهو خائن.

سادسًـا – نحن الرجال لا نرفع أية شعارات عدائية تجاه الجنس الآخر الذي رفـع شـعار: يا مآمنة للرجال يـا مآمنة للمية فـي الغربال، ولم يصـدر منا أبدًا أي شعار مماثل يقول: يا مآمن للنسوان يا مآمن للبدنجان.

من خلف ظهره

لا يريد رجل في الدنيا أن يصدق أن من أمتع هوايات المرأة في علاقتها بالرجل هي أن تُخرج له لسانها من خلف ظهره، وأن تعصي بعض أوامره مهما بلغت درجة غرامها به، إنه نوع من التنفيس ضد ديكتاتورية الرجل وقيود الرجل وفرمانات الرجل، ولهذا كانت ستي زمان تقيم حفلة نسائية يومًا من الأسبوع بالتناوب مع صديقاتها، وكانت ستي تجد متعة كبرى في أن تقلد زوبة الكلوباتية في هز البطن بعيدًا عن عيون زوجها سي السيد أبو شنب بَرِّيمة.

ثم إن النساء لا ينفردن بالكذب، بل إن الرجال أشد كذبًا، فلولا اختراع الكذب مثلًا لعجز الرجال عن تفسير غيابهم خارج البيت، أما عن هيافة النساء في عشقهن للمديح فهن أيضًا لا يفترقن في ذلك عن الرجال، فالسبيل إلى رضا رئيس العمل هو منافقته بأنه الأعظم والأذكى والأكثر عبقرية، بل نرى كم بلغت «هيافة» علية القوم في كل العصور، فقد دفعوا ملايين الدنانير للشعراء المدَّاحين لكي يقول كل منهم للوالي أنت الأمير وكلهم ركش.

وكل ما نستشهد به من أقوال عن المرأة مشكوك في صحته، فكل ما قيل عن النساء قاله الرجال، فالرجل يحب المرأة، وإذا سارت المسائل على ما يرام قال فيها خيرًا، وإذا قرفت منه ومن أعماله اتهمها بعدم الإخلاص، وإذا عادت إليه غفر لها ما كان، وإذا أحبها من طرف واحد سمى حبها لغيره خيانة، وإذا بادلته الحب تحول إلى ديكتاتور، وإذا تمردت على فرمان ديكتاتوري من خلف ظهره فهي مخادعة، وإذا تزوجت من آخر فهي قد غدرت به، وإذا تزوجت منه قال فيها ما قال مالك في الويسكي، ومعظم الأقوال الساخطة على المرأة قالها مفكرون فشلوا في قصص حبهم فانقلبوا عليها ساخطين، أو مفكرون نجحوا في قصص حبهم وتزوجوا فانقلبوا عليها أشد سخطًا.

الأم.. وعقدها النفسية

ينقسم الرجال إلى نوعين: الرجالة الزفت والأقلية.

وسـواء كان الرجل طيبًا أم زفتًا فهو في النهاية تربية سـت، إنه يولد في حجر سـت ويشـب في حضن ست ويأتمر بأمر سـت، ثم تتنازع السلطات النسائية في السـيطرة عليـه مـن الأم إلـى الحبيبة إلـى الخطيبة إلـى الزوجة، حتـى يصل بعد سنوات الزواج إلى درجة عالية من التربية، فمن لم يُرَبِّه أبواه ربَّته زوجته.

ومن بديهيات الطب النفسي أن علاقة الطفل بالأم في سنواته الخمس الأولى تكمن رواسـبها في أعماقه الخفيـة إلى الأبد وتحدد علاقته المسـتقبلية بالمرأة: هل سـيصبح زوجًا سـعيدًا، أم زبونًا في محاكم الأحوال الشخصية، أم محبًّا كله تفهم وحنان أم هاوي ساقطات.

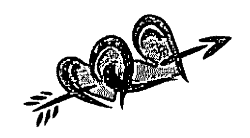
فالطفل الذي اسـتقر في أعماقه مثلًا أن أمـه تهمله يتحول إلى رجل لا هم له إلا الانتقام ، إنه يطارد كل امرأة حتى يسـومها كل ألوان التعذيب، ثم ينبذها بحثًا عن غيرها، والطفل الذي لا ينجح في اجتياز المرحلة الأوديبية بسلام قد يتحول إلى واحد من هؤلاء:

1- رجـل لا يعشـق إلا المـرأة المرتبطة برجـلٍ آخر، فإذا تحـررت من أجله بالطلاق فقدت سحرها، وهو مستعد في ذلك أن يخرب ألف بيت.

2- رجل يبحث دائمًا عن امرأة أقل منه بكثير في المستوى المادي والفكري، فالشغالة عنده هي الأحلى والأجمل.

3- رجل مجنون بالشك يقلب حياة زوجته إلى جحيم.

ونعود بعد هذا كله إلى سؤال واحد: مَنِ المسئول عن سوء تربية الرجل إن كان من النوع الزفت؟ وإذا كان الرجل الزفت مسئولية مشتركة تتحمل المرأة جانبًا منها، فلماذا يتحمل الرجل نتيجة أفعاله السودة بالدخول وحده إلى الأكياس البلاستيك!



حواء والحية؟

اقترنت حواء بالحية لأن إبليس تمثل في الحية وأغوى حواء بقطف التفاحة.. وحاول البعض أن يجعل من تشابه اللفظين مبررًا للشبه الموضوعي.. إن حواء سميت كذلك لأنها مصدر الحياة للجنس البشري، واعتبرت الحية في كثير من المجتمعات - كالهند وبلاد الإغريق والرومان - مصدرًا للخصوبة وتجدد الحياة، ولأن الحية تحتل مكانًا بارزًا في الأساطير والمعتقدات، فقد قال المتحاملون على المرأة إن التشابه اللفظي بين الحية وحواء لم يأتِ عبثًا، فإن حواء - كالحية - تحوي أسرارًا وشرًّا غامضًا، وقالوا - هما اللي قالوا - إن حواء محوَّاة - بتشديد الواو - أي تتسم بصفات أفعوانية كالتسلل الانسيابي والوقيعة والمكر والخديعة ولديها الصبر الطويل على الإيقاع بالفريسة.

ويقول المتحاملون على المرأة إن هناك صداقة تاريخية بين حواء والحية، فنساء الإغريق والرومان كن يقتنين الأفاعي ويلاعبنها ويستبشرن خيرًا بها في الحمل والولادة، وهناك مجتمعات بدائية عبدت الحية باعتبارها مصدر الحياة والخصوبة، لكن هناك فروقًا جوهرية بين الحية وحواء تغافلوا عن ذكرها، فالحية تغير جلدها أو ثوبها الخارجي مرتين في السنة مع الربيع والخريف، غير أنها لا تغير طباعها خاصة من الخطوبة إلى الزواج، ومن الفروق أيضًا أن اسم الحاوي يأتي من الحية، فهو الذي يربيها، بينما حواء هي التي تربي الرجل خصوصًا بعد الزواج.

وقد عوقبت الحية على خطيئة الفردوس بشـق لسـانها الـذي تكلم به إبليس إلى شطرين.. وهذا فارق جوهري عن لسان حواء الذي لم ينشطر بعد أن أغرت آدم بنفـس الخطيئـة، كذلك من الفروق الجوهرية أن حـواء ليس لديها غدة تفرز سُمًّا كالحية، لكنها بسبب عدم الاكتفاء الذاتي في السم تضطر إلى شرائه لوضعه في الكُفتة والبسبوسة، ولعل من الفروق البارزة أن هناك ما يقرب من أربعة آلاف نـوع مـن الأفاعي، ولكن تسـعين في المائـة منها - بعكس النسـاء - لا خطر منه إطلاقًا.



القرار عنده وعندها

عندما تتخذ امرأة قرارًا وتوكل إليك تنفيذه فلا تفعل، بل انتظر لأنها سوف تغير رأيها، وقد تعود إلى الرأي الأول، أو إلى رأي ثالث ورابع، وذلك شيء ينبغي ألا تضيق به لأنه سمة بارزة في المرأة، وربما كان ميزة يفيد منها الرجل.

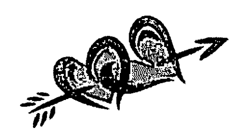
فكم من امرأة قررت ذبح زوجها ثم عدلت، أو قررت ذبحه ثم رأت أن تنبذ هذا العنف الدموي وتضع له السم في الكفتة، أو قررت أن تضع له السم في الكفتة ثم عدلت إيمانًا منها بالحكمة الصينية، اجلس على شاطئ النهر وانتظر جثة عدوك يحملها التيار.

يزيد الأمر تعقيدًا أن الرجل عادة (خصوصًا الزوج) لا يملك تعديلًا لقرار المرأة، فمن عجائب كوكب المرأة أنها تضيق بالرجل الذي لا يوافقها على كل شيء، وتضيق أكثر بالرجل الذي يوافقها على كل شيء.

والقرار الصادر عن العقل يكون له أسباب وحيثيات، والقرار الصادر عن العاطفة قرار لا أسباب له، ولهذا تبدل فيه المرأة وتغير وفقًا لعواطفها، أو وفقًا للحظة السيكولوجية التي تعيشها، بل هي في علاقتها بالرجل تصدر أحكامًا متناقضة وفقًا للحالة الانفعالية، مثلًا إذا أحبتك فأنت كريم لا تهمك الفلوس، وإذا انقلبت عليك فأنت مبذر سفيه، وإذا كانت أسيرة غرامك فأنت شخصية داهمة ذات مهابة ونظرة عينيك أمر صارم، وإن أصابها الضجر فأنت طاغية ومستبد وظالم وح تروح من ربنا فين؟ وإذا عشقتك فأنت خفيف الظل وأنت المرح والأنس كله، وإذا انقلبت عليك فأنت لست خفيف الظل بل خفيف فقط،

أي بـك خفـة وتفاهة وقلة احترام، وفـي عز الغرام أنت في رأيها إنســان متحضر ومتفتـح وتقيـم وزنًا لرأيها وتأخذ به، وإذا انحسـر الغرام فأنت لا رأي لك وأنت شُرَّابه خُرج.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الحب لا يعترف بالسن

عندما يقتحم الحب حياة اثنين فهو لا يطلب البطاقة الشخصية كي يعرف كم عمره وكم عمرها ليبقى أو يرحل، ولا تتوهمي أنكِ التقيتِ به في الزمان الخطأ لمجرد أنه يصغرك بسنوات مثلًا، وقد يوجد في الحب الإنسان الخطأ لكن لا يوجد زمان خطأ وزمان صحيح؛ فالحب زهرة برِّية جميلة تنبت بلا موعد وتتفتح بلا تاريخ، وعندما يأتي الحب لا ينبغي أن نفتش في هويته وبياناته وأرقامه، علينا فقط أن نكون في خدمته، ثم إن مفهوم السن تغير.. فمثلًا جدتي التي كانت تتوكأ على عصا وتضع نظارة سلك هي نفسها الآن جوان كولينز وصوفيا لورين وإليزابيث تايلور، وفي كل الأحوال كل سن لها سحرها: حيوية العشرينات وأنوثة الثلاثينات ونضوج الأربعينات، ودفء التجربة في الخمسينات، ووقار الجمال في الستينات، وإن كانت السيدات اللاتي يبلغن الستينات أشد ندرة من حيوان الباندا، فالسيدة الوحيدة التي أتيح لي أن أراها وعندها 60 سنة هي أمي.

ولا أعيب على امرأة أن تخفي سنها، فنحن الذين اخترعنا الزمن وقسناه بالسنة والشهر، ونحن الذين جعلنا السنة 12 شهرًا، ولو كنا قد جعلنا السنة 6 شهور لأصبح الإنسان عمره 60 سنة بدلًا من 30، ولو كانت السنة أربعة شهور لكنتِ الآن – وأنتِ في الثانية والأربعين – بنت 14 سنة، وليس عيبًا أيضًا أن تخفي عليه سنكِ، فالثالثة والثلاثون هي سن مناسبة جدًّا لامرأة في الثانية والأربعين.

أما خوفكِ من أن يخونكِ في مستقبل الأيام لأنه يصغرك سنًّا، فهذا أمر لا ينبغي أن يقلقكِ؛ لأن الرجل صغر أم كبر معتاد على الخيانة.

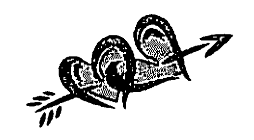
قاسم السماوي والعشاق

خصومة المجتمع للعشاق خفَّت كثيرًا وإن كانت باقية، فالعاشق كان مكروهًا من الكبار والصغار، الكبار لأنهم يمثلون الحرس القديم، والصغار لأنهم يحسدونه على الفوز بامرأة تحبه في زمن اختل فيه العرض والطلب، فالشباب يبحث عن الحب والجميلات وراء الأسوار والحجاب، ومَنْ يخفق قلبها لشاب خلف المشربية اسمها مقصوفة الرقبة؛ فالحب عار وشنار، ومجرد مرور العاشق أمام بيت المحبوبة مغامرة عبَّر عنها عبد الوهاب في موقف غنائي: «مريت على جيش الحبايب وقفت لحظة هنية من غير عذول»، فكل عاشق له ألف عذول، وذلك الزمان كان اسمه العصر الحجري للحب، حيث كانوا يرجمون العاشق بالطوب إذا سار بجوارها مع كورس من عيال الحارة يهتفون: سيب النعجة يا خروف.

ولم يكن هناك مجال إلا الكباريهات، حيث يشعل ابن الذوات سيجارة للراقصة عزيزة بنجر بورقة بمائة جنيه، أما بنات الأسر فعزيزات المنال، وشيء طبيعي أن يحقد الكل على مَنْ يفوز بقلب واحدة منهن، فالمجتمع كله قاسم السماوي، والشباب فيه يردد جتنا نيلة في حظنا الهباب، بل إن العاشق عندما تتعثر قصة حبه ينقلب هو الآخر إلى قاسم السماوي: وليه غرامك كله هوان وغيري يبقى متهني؟

وقد نشأ الحب عندنا مقترنًا بنظرة غير ودية تختلط بالحرص على العرض والشرف حتى أصبح الحب نفسه تراجيديا بينما هو في الدنيا كلها سعادة ومرح وهناء، ربما لأننا نموت في النكد وأجدادنا الفراعنة مثلًا أنفقوا الملايين على

الموت وطقوسه، والأفراح عندنا ببطاقة دعوة بينما دخول المأتم مجانًا، ومن هوايتنا للنكد كنا نصادر حق الشباب في أن يحلم ويحب ويختار مَنْ يحب، وكان العريس في هذا المجتمع القراقوشي لا يرى عروسه إلا ليلة الزفاف وهو وبخته عندما يرفع الطرحة، فإما أن يرى وجه سعاد حسني وإما أن تظهر له سحنة إسحاق شامير.



رأسك يا جولييت

سمعت أسلوبًا جديدًا في الغزل يدل على مدى التطور الذي حدث في نظرة الرجل للمرأة، سمعت شابًا يقول لخطيبته عندما سألته هل تعجبه تسريحتها الجديدة؟ طبعًا تعجبني.. ولكن الذي يعجبني أكثر هو تسريحة رأسك من الداخل.. تسريحة عقلك.. تسريحة أفكارك! أن عقلك فاتن ومنسق ومعطر تمامًا مثل شعرك من الخارج!

وهذا الاتجاه يكشف عن تحول جديد في النظر إلى المرأة! فشبان اليوم لا يريدون البنت الدلوعة الهايفة الفارغة التي تكتفي بتزيين أنوثتها بالروج والبدرة والبان كيك والريميل وتضع فوق رأسها تسريحة صوفيا لورين، بينما رأسها من الداخل منفوش ومنكوش ويفتقر إلى الزينة والتجميل. إن شبان اليوم الأذكياء لا تعجبهم الفتاة التي تهيئ نفسها لتكون مجرد أداة استمتاع للرجل كما كان يحدث في عصر الحريم، وإنما تعجبهم البنت الجميلة التي تجمع بين رونق الأنوثة وبين التفكير الذكي الدسم الجاد الذي يُطمئن الشاب بأن شريكة حياته يمكن الاعتماد عليها ووقوفها إلى جواره في كفاحه مع الزمن على مر الأيام والليالي.

إن الفتاة ذات الأعماق هي الفتاة الرائجة اليوم.

أما تسريحة إليزابيث تايلور ومشية مارلين مونرو.. فسوف تصبح موضة قديمة جدًّا!

احترس من جوربك!

عـن أول ما يلفـت نظر المرأة في الرجـل، فهذا محل خلاف بين النسـاء، إن المـرأة مع النظـرة الأولى إلـى الرجل، تحاول اكتشـاف ذوقه وأسـلوب تفكيره من ملبسـه، بعض النسـاء يـرى أن ياقة القميـص وربطة العنق فيهـا مقياس دقيق لهـذا الاختبار، والبعض الثانـي ينظر إلى أظافر الرجل هل هي نظيفة؟ مقصوصة بعناية؟ مقصوصة والسلام؟

والبعـض الثالث يقـرأ الرجل من جواربـه، ولعل أغرب رأي قالته سـيدة في اسـتفتاء إن دراسـة حـذاء الرجـل هـو كشـف ظاهري عـن حالة مخه وأسـلوب تفكيـره، إذا كان الحـذاء متربًـا فحياتـه كلهـا متربـة، وإذا كان الحذاء مـن النوع الكلاسيكي فهو محافظ لا يغير آراءه بسهولة، وإذا كان الحذاء برتقالي اللون فلا داعي للتعرف به إطلاقًا، وملابس الرجال عمومًا قد تكشف عن نزعات نرجسية أو ميول اسـتعراضية، وقد تختلف النسـاء بين ربطة العنق والجوارب والأظافر، لكنهن يتفقن جميعًا على أن أهم ما يثير الفضول في ملابس الرجل هو جيبه..

عن الحديث الذي يجذب انتباه المرأة فإن الحديث الناجح من جانب الرجل له شروط عسيرة، ذلك أن المرأة بطبيعتها ليست فقط لا تجيد الإنصات، ولكنها أيضًا لا تطيقه، غير أن غريزة النم عندها تجبرها على الإنصات باهتمام إلى أخبار الأخريات، ولكـي يكون حديثك شـيقًا ينبغي أن يكون مُطعَّمًا بأخبار جديـدة، فالمرأة لا تحب الموضوعات الإنشائية أو الحديث الإنشائي إلا إذا كان مدحًا في جمالها.

أما عن الرجل الذي يجتذب المرأة بسهولة، فهناك نوعان من الرجال يصلان إلـى قلب المرأة بسـرعة: الرجل الذي لـه رصيد في البنـك، والرجل المتحدث اللبق الذكي، بشرط أن يكون له رصيد في البنك.

نظارة الحب!

عندما يداهمك الحب فأنت لن تفرِّق بين الدكتوره الجامعية وراسبة الإعدادية، وبين الجميلة وغير الجميلة، فالحب يخفِّض قوة الإبصار إلى ستة على ستين، وقوة البصيرة إلى واحد على عشرة، وبذلك يصبح كل ما يصدر عن الحبيبة من جنون هو جميل وأخاذ وباهر ومدهش، وكل شيء في ملامحها ورسمها فتنة تخبل العقل، ولعلك تعرف حكاية الشاب الذي أحب فتاة أنفها مسطح تمامًا فكان يتباهى بأنها ملاك هبط من السماء على أنفه.

والأنوثة ثوب نسائي موحد ترتديه كافة نساء الأرض، وهو ثوب يجتذب الرجل ويجعله منقادًا خلف المرأة سواء كانت تلبس تاج ملكة أو مريلة شغالة، وقانون الانقياد خلف الأنثى لا يتجزأ، ابتداءً من سَمك البساريا في البحر إلى ذكر الفراش الذي يطير نحو الفراشة وهي على بعد كيلو مترات منه مسترشدًا بعبيرها الأنثوي إلى ذكر العقرب الذي يسعى خلف أنثاه دون أن يعرف هل هي طيبة أم شريرة، عاقلة أم مجنونة، ودون أن يتوقع طبعًا ما يحدث لكل عقرب في ليلة الزفاف؛ إذ إن عروس العقرب من أبعد الإناث نظرًا، فهي تفضل أن تكون أرملة، تلدغه وتستريح من قرفه من الليلة الأولى.

والمرأة لا تنفذ إلى قلب الرجل من خلال العقل أو الثقافة وإلا لما أحب معظم عباقرة الفكر الإنساني نساءً متواضعات التفكير، ورغم ذلك كانت العبارة الساذجة التي تخرج من فم الحبيبة البسيطة تتحول في وهم العاشق العبقري إلى كلمات يتأملها ويحللها ويضفي عليها من فكره ويستشف منها وجه الحكمة والجمال، كذلك نجد أن معظم النساء اللاتي ساهمن في تشكيل التاريخ

لا علاقـة لهـن بالشـهادات أو الثقافة، ابتداءً من شـجرة الدر جاريـة نجم الدين أيـوب، إلى إيفا براون عشـيقة هتلـر التي كانت عاملة باسـتوديو مصـر، إلى إيفا بيـرون فتاة الكومبارس التي حكمت الأرجنتيـن، وفي كافة العصور - خصوصًا العصـر العثماني - كان حريم السـلطان من المحظيـات والخليلات والجواري يلعبن دورًا مهمًّا في تسـيير دفة السياسـة وفي الانقلابات الصامتة التي تتم بدس السم؛ لأن الأكياس البلاستيك لم تكن قد ظهرت.



الزواج هدفها دائمًا

لا يمكـن إعفـاء الرجـل من فشـل الحياة الزوجيـة، لكن الجانـب الأكبر من المسئولية يقع على المرأة، فالمرأة هي صانعة العش، والاستقرار والأسرة، وغير صحيـح مـا رددوه من كلمات بأن المـرأة في الحب الأول تحـب الرجل ثم بعد ذلك تحب الحب نفسـه، المرأة تحب لكي تتزوج وتتظاهر بالحب لكي تتزوج، وهـي إذا لـم تصـادف مَنْ تحبـه تزوجت مَـنْ تجده، وهي إذا اكتشـفت تسـويفًا ومماطلة في الزواج من حبيب القلب ضحت بقلبها في سـبيل اسـتقرارها؛ لهذا فإن لهفة المرأة للحصول على زوج يجعلها تقطع الطريق بسرعة إلى الرجل غير المناسب.

وهناك خطأ شـائع بأن المرأة رومانسية في المقام الأول والحقيقة أنها عملية جدًّا، وسـلوكها العملي - تجاه الرجل - مدعوم بدهاء أنثوي، ودائمًا مهمتها مع الرجل سيئة؛ لأن الرجل خُلق عبيطًا طول الوقت، وهي قادرة على أن تصنع منه عبيطًـا طول الوقت، وفي حالة فشـل الحيـاة الزوجية لا يمكـن أن نعفي الطرف الذكي ونلقي اللوم على العبيط.

ويدخل في إفشال الحياة الزوجية أن المرأة في سبيل الحصول على الاستقرار تتنازل عن أشياء كثيرة، فإذا كان الرجل الذي التقت به انطوائيًّا استجابت لانعزاله عـن المجتمـع، وإذا كان اجتماعيًّا تظاهـرت بأنها لا تغار عليـه، وإذا كان عصبيًّا بـدت شـديدة الهدوء، ثم هي لا تلبث أن تتراجع عـن كل هذه التنازلات فترغمه على التخلي عن عصبيته ويصبح شديد الهدوء بعد ذبحه.

المهنة؟

إن مهنة الرجل قد تنعكس على علاقته الإنسانية، كالحب والزواج، وقد تكون بلا أثر يذكر، المرأة مثلًا قد ترتاح إلى الصحفي لأن مهنة البحث عن الأخبار توافق تمامًا نزعة المرأة إلى النميمة، فما من امرأة لا تحب النم وما من امرأة تعود من المصيف إلا ولسانها من النم أسمر.

وقد يكون الزواج من محامٍ متعبًا إذا عرفنا أن المرأة تمثل في البيت سلطة اتهام مستمرة، وبزواجها من محامٍ سوف يتعذر عليها كثيرًا أن توقع بزوج احترف الدفاع والمرافعة، وربما يبدو المحاسب القانوني زوجًا غير مرغوب فيه لانضباطه الحسابي بحكم المهنة وإسرافها المالي بحكم العادة، لكن الواقع يثبت أن المحاسب زوج سخي اليد، والظاهر أنه ينقلب بعد الزواج من محاسب قانوني إلى محاسب على عمره، والرجل في السلطة - كالوزير مثلًا - ربما يكون متعبًا لأنه اعتاد أن يصدر الأوامر والتوجيهات والقرارات، لكن الذي لا شك فيه أن الحياة مع الوزير يمكن أن تكون مريحة جدًّا لأنه يقول باستمرار كلامًا مريحًا ووعودًا طيبة (تصريحات)، وثمة اعتقاد بأن الطبيب الذي يمسك بالمشرط يقطع ويمزق ويوصل اللحم الإنساني هو رجل مخيف، ينطوي الزواج منه على مخاطر كبيرة أهمها تعبئة الزوجة في أكياس بلاستيك، لكن الواقع المدهش أثبت أن الأطباء - بعيدًا عن السماعة والمشرط - رومانسيون جدًّا، عاطفيون جدًّا، خياليون جدًّا، يظهر معهم دائمًا الشعراء والكتاب والموسيقيون والمصورون، وبالعكس تتصور المرأة أن الحياة مع كاتب هي أيام متصلة من الكلام العسل الذي تشتهي كل امرأة سماعه، وهي لا تعرف أن عبارة الحب البراقة التي يكتبها الكاتب تكلفه انحناءه على المكتب وكتابة وشطب وتمزيق

ورق، وكـذا فنجـان قهوة وكذا سـيجارة، وأن الكاتب يجلس دائمًا شـارد الفكر يمضـغ أفكاره ولا يتكلم، وقد رأت أم كلثوم توفيق الحكيم لأول مرة في مكتب مصطفـى أميـن، وراعها أنـه كان صامتًا شـاردًا، ولـم تصدق أنه توفيـق الحكيم صاحب الفكر اللماح والأسـلوب الشائق والحوار الجذاب على الورق، فسألته بدهشة: «لما انت توفيق الحكيم أمال مين اللي بيكتبلك ؟؟».

وعلى أي حال المهنة لها أحيانًا أثرها في التصرفات العاطفية بشكلٍ أو بآخر، كالباحث العلمي مثلًا الذي أراد أن يعرف تأثير القبلة على عروسه فجاء بفأرة من فئران التجـارب وربطها بالأجهزة ثم قبَّل الفأرة وراح يدون النتائج، وكالعروس التـي كادت تفطـس من قبلة عريسـها، واتضح أنه لم ينسَ حرفتـه وهو يقبلها؛ إذ كان ينفخ الكُوَر في النادي.



قدرة المرأة

لا يوجد رجل أعزب بمزاجه، فمن النادر أن يفلت رجل من امرأة قررت اقتياده إلـى بيت الزوجية، وهذا يدعونا إلى أن نصحح خطأ شـائعًا، فلا نقول إن الأعزب هو الرجل الذي فرَّ من النساء، بل هو الرجل الذي فرت منه النساء بسبب آفة نفسية أو سلوكية أو فلوسية، فالمرأة يتعذر عليها التكيف مع شواذ الطباع وذوي العاهات النفسـية، لكنها ترحب بنوع واحـد من العاهات العقلية عند الرجـل، وهو العبط؛ فالرجال أمام النساء مصابون بهذا الداء المستحب من النساء!

ويزداد عـدد المنتحرين من غير المتزوجين على المنتحرين من المتزوجين، لكـن الأعـزب لا ينتحر بسـبب العزوبية في حد ذاتها، بل لأنـه يعاني في الأصل اضطرابًا نفسـيًّا أو عقليًّا تفر بسببه النساء واحدة بعد أخرى، ولكل قاعدة استثناء بالطبع، فهناك الأعزب السوي الذي لا يعاني أي اضطراب نفسي أو عقلي، لكنه خاض حبًّا زلزل كيانه واعتبر المرأة التي أحبها ركنًا جوهريًّا في سعادته الشخصية لا تطيب له الحياة بغيرها فآثر الانتحار، ولو طال به العمر وتزوجها لآثر الانتحار أيضًا، ثم إن الأعزب اختار برضاه أو بغير رضاه حياة الوحدة والانطوائية وفضَّل أن يكـون حـرًّا بلا قيود، وفـرط الحرية يجعل الإنسـان أحيانًا عبـدًا لهذه الحرية إلـى حد الضياع والتمـزق والانحلال، وكل هذا يضيف أزمات جديدة إلى أزمته الكبرى التي قد تقوده إلى أزمته الانتحارية.

أضـف إلـى ذلك أن المتزوج رغـم ما يكون لديه من أسـباب وجيهة للانتحار فهو يفكر في الانتحار ألف مرة، ثم يعدل في المرة الألف خوفًا على مصير أولاده، فالأسرة عنده تمثل مانعًا قويًّا يقف ضد تنفيذ رغبته في الموت، و كثيرًا ما نرى هنا فائدة الزوجة في التعاون الزوجي؛ إذ تتولى هي تحقيق رغبته بتعبئته في أكياس.

حتى روميل ثعلب الصحراء

الفلوس هي السبب الأول للخلافات الزوجية، والمدهش أن الخلافات تبدأ عـادة باتفاق الـزوج والزوجة على رأي واحد، فهو يعتقد أنهـا مُبذِّرة وهي تعتقد أنه كذلك.

لا تناقـش زوجتـك أبـدًا، أو غيـر زوجتك، بل اسـتمع إلى وجهـة نظرها في هدوء، فالرأي الذي سوف يتم تنفيذه عادة هو رأي أمها.

أعـطِ الأمـان لزوجتـك؛ فالزوجة مهـددة دائمًـا بكلمة الطلاق التـي ينطقها الـزوج ببسـاطة، والزوجـة معذورة فـي مخاوفها، فهـي تعـرف أن الرجل عبيط وسـهل الوقـوع فـي الشـراك النسـائية، فاجتهـد وتجنب كل مـا يثير شـكوكها، ولا تدخل البيت مكتئب الوجه حتى لا تعتقد زوجتك أنك مهموم للقائها، كذلك لا تدخل البيت وأنت سعيد حتى لا تعتقد زوجتك أنك راجع من رانديفو.

إن الزوج مخلوق غير متحدث وغير مُسـلٍّ ومزعج ومتسلط ولا يُطاق، فمن الحكمـة أن يتغاضى الـزوج عن أي كلمة تبرطم بها زوجته مـن بعيد وتصل إلى سـمعه فهذا تنفيس لما تشـعر به الزوجة، وقيل في ذلك حكمـة مأثورة: التنفيس خير من أن توضع في الكيس.

فالقائـد الألمانـي روميل الذي كان من أشـهر قـواد الحرب العالميـة الثانية واشـتهر بلقـب ثعلـب الصحـراء، اسـتطاع أن يخفـي كل تحركاته عـن جيوش الحلفاء، ولكنه فشل في أن يخفي دخله عن مدام روميل.

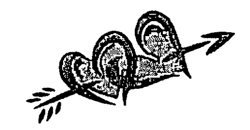
دموعها!

لا علاقة للمرأة بدموع التماسيح، فالتمساح تنهمر دموعه عندما يوقع بفريسته، بينما المرأة تحرص على جفاف وجمال عينيها عندما توقع بفريستها، والدموع جزء لا يتجزأ من حياة المرأة اليومية.. لكنها مواقف لا تنسى في حياة الرجل، فالمرأة تبكي في كل المناسبات المتناقضة: تُبكيها الفرحة الشديدة (كسب قضية نفقة)، كما يبكيها الحزن الشديد (عودته إلى البيت سعيدًا في المساء)، ولا شك أن الدموع سلاح من أسلحة الأنوثة لاجتذاب الرجل، وهي قد تكون سلاحًا أساسيًا أو سلاحًا معاونًا، فالمرأة الباهرة الجمال من النادر أن تبكي، بينما المرأة العادية تبكي غالبًا، أما غير الجميلة فتبكي على الدوام. والمرأة تبكي قبل زواجها لأن ابن الحلال لم يظهر، وهي تبكي بعد زواجها لأنه طلع ابن حرام، والرجل قبل زواجه لا يبكي أبدًا، فإذا استبد به حب قاهر.. فقد تظهر دموعه، أما إذا تزوج، فهو يبكي معها لأن الزواج تعاون.

وليس صحيحًا أن المرأة نكدية يستهويها النواح، الصحيح أن المرأة تكمن في أعماقها عواطف الشاعر وخيالاته، ولهذا فهي تميل إلى الحزن والشجن، إذا شاركت في مناسبة سعيدة.. اكتفت بالنميمة عن أصحاب المناسبة، أما إذا كانت المناسبة مؤسفة فهي تسرع مواسية تسبقها دموعها، ودموع المرأة - كدموع الرجل - هي كيميائيًا كلوريد صوديوم أو ماء مالح، ولا شك أن العلم سوف يتوصل قريبًا إلى تحليل كيميائي لدموع المرأة في المناسبات المختلفة عن طريق لصق ورقة كيميائية على خدها تبين إذا ما كانت درجة الملوحة مركزة أو مخففة أم أنها تبكي مياهًا عذبة، فالمرأة إذا بكت كأم احمرت عيناها، وإذا بكت كحبيبة أصبحت عيناها في منتهى التألق والصفاء، والفرق يكمن في التكوين الكيميائي للدموع، ففي الحب والزواج عمومًا تعتبر دموع المرأة هي اللحن المميز الذي يسبق برنامج ما تطلبه المرأة.

الطرف القوي والأقوى

الحب شركة بين اثنين تحقق أرباحًا نفسية؛ لأن كل ما في الحب جميل ابتداءً من التنهدات إلى الآهات إلى الصرخات، وليس بالضرورة أن يكون الرجل هو الشريك الأقوى، لكن الطرف الذي يبادل الآخر حبًّا أقل هو غالبًا الطرف الأقوى؛ لذلك يسعى العشاق إلى التظاهر به «التقل»، وقالت الأمثال الشعبية في هذا الصدد «التقل صنعة»، فالحب حرب ظريفة، تكتيك ومناورات وخطط لجعل الطرف الآخر يتقلب على جمر النار، وتلك طبيعة الحب، فهو بروفة حرب من نوع خاص حتى يتدرب الاثنان على الحرب الحقيقية بعد الزواج.. وليس مهما أن يقع رجل في حبك.. المهم كيف تحتفظين به واقعًا في حبك.



نهاية الحب!

لا أظـن أن هنـاك حبًّا يظل علـى قوته وفتوته، فالحب مراحـل، أو هو كأوتار الكمـان، كل مرحلة تعطـي نغمة مختلفة، وفي النغمة العاليـة يعتبر كل طرف أن الآخـر ركن جوهري في حياته، لا حياة بغيره، ولا بديل له، وهو غير كل البشـر، وفقدانـه هـو نهاية العالم وخـراب الدنيا، والذيـن مروا بهذه المرحلة يدهشـون بشـدة كيف كانوا كذلك؟؟ وتنتابهما هذه الدهشة عادة وهما يقفان أمام محكمة الأحوال الشخصية.

فالحـب يحتـاج إلـى اثنيـن، والخلاف أيضًـا لا بد له مـن اثنيـن، وكل اثنين لا ينضجان معًا بنفس الدرجة نفسـيًّا وعقليًّـا وعاطفيًّا، وما كان يبهر أحدهما في الآخر يصبح شـيئًا مألوفًا لا يثير، ولعل أكثر ما يحول الحب إلى مسـار النهاية أن المرأة العاشقة تقع في غلطة تكررها منذ الأزل فتعتقد أن حبيبها مخلص.

والحـب لا يذهـب دفعة واحدة، إنـه يعبر أبـواب النهاية بابًا بعـد باب، وهو يبـذل الكثير للدفاع عن بقائه، لكنه لا يبقى؛ فالتغيير هو سـنة الحياة في الظروف والزمـان والمـكان، وفي حياة كل امرأة ذكرى حب رجـل هامت به يومًا وذكرى حـب رجل هو زوجها الذي تحيا معه، فكل الرومانسـيات تنتهي إلى ذكرى، أما الحـب العظيم الخالد الذي يحمل كل أسـباب القوة والخلود والبقاء فيوجد في الكتب.

المصابون بالحول!

نحن مصابون بالحول في النظرة الاجتماعية إلى الحب، نحن نستنكر الحب في واقع حياتنا، لكننا نرحب به في الكتب والإذاعة والتلفزيون والسينما، الإذاعة ملأى بعشاق يصرخون بآهات الحب ليلًا ونهارًا، التلفزيون فيه حكايات غرامية ومسلسلات، وفي السينما رجل وامرأة في حالة حب يحفل دائمًا بالأهوال وبعد الأهوال يأتي الزواج (في واقع الحياة بعيدًا عن السينما لا يأتي الزواج بعد الأهوال وإنما تأتي الأهوال بعد الزواج).

والكبار في واقع الحياة اعتادوا أن يسموا الابن العاشق الواد المفعوص، أما البنت فاسمها مقصوفة الرقبة، والكبار لا يؤمنون بالحب لأن التجربة علمتهم أن الحب هو مجرد إحساس كاذب يتوهم فيه كل طرف أنه التقى بإنسان يختلف تمامًا عن بقية البشر، ومن هنا يعتقد الكبير أن الصغير أساء الاختيار فيسعى إلى إنقاذه من هذا الوهم بالإكراه بينما في السينما نرى شرير الفيلم يحارب الحب فيتعاطف الكبار مع الحبيبين، ولعلنا نتميز بأن الحب عندنا يقترن باللوم الدائم الذي يوجه إلى العشاق، ابتداءً من أمير الشعراء الذي يقول: يالائمي في هواه والهوى قدر.. إلى ذلك العاشق الذي يخرج لسانه قائلًا: يا عواذل فلفلوا، ففي واقع الحياة - تمامًا كما في الأغاني - فريق يتولى لوم الفتى بترديد التهم التقليدية المنسوبة إلى فتاته، كما أن هناك فريقًا يتولى لوم الفتاة لأنها تحب انتهازيًّا، أو سافلًا، أو جاهلًا لم يكمل تعليمه الإلزامي ويؤلف مسلسلات.

ولذلك يؤثر العشاق الاختفاء عن الناس وألسنة الناس واللقاء بعيدًا عن العيون، حتى إذا شعر كل منهما بالوحدة وهما معًا وراودهما الحنين إلى الاختلاط بالناس، فإن معنى ذلك أنهما قد أصبحا زوجين.

وتأتي النهاية

السيناريو واحد في كل قصة حب، فكل حب يبدأ بنظرة عين وينتهي بالفراق: الفـراق بالطلاق، والفـراق بالهجر الاختيـاري، والفراق بالهجـر الإجباري عند عمر مكرم.

وبرغـم اختـلاف النهايـات فـي كل قصة حـب على مسـرح الحيـاة، إلا أن السـينما المصرية تفضـل أن تنتهي القصة بـزواج البطل من البطلـة تحت اعتقاد خاطئ للسينمائيين بأن هذه نهاية سعيدة.

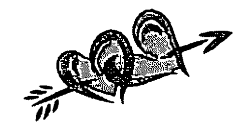
فالسينمائيون عندنا لا يعرفون أن من أسخف أنواع الفراق في قصص الحب هو الفراق والزواج.

حتـى الجمـل الحواريـة نراها في كل قصة حـب.. فهذه عينة ممـا يقوله هو: أول مـرة أقول كلمة أحبـك لواحدة - صدقيني اللي مقعدنـي معاها الولاد - ح نتجوز يا حياتي بس اديني فرصة أدبر أموري.. ثم هذه عينة مما تقوله هي: ياريت أعرف آخرة حبنا ده إيه - إنت أول واحد يلمسـني - فيه واحد اتقدملي والظاهر بابا مصمم عليه.

وفـي كل قصة حب يتصور الاثنان أنها قصة الحب الخالد الذي لـم يكن مثله حبًّـا ولـن يكون، ويرفع كل منهما شـعار حبك انت شـكل تاني، ثـم يتبين أنه لا جديد في كل قصة حب: رجل وامرأة يلتقيان على موجة عاطفية موحدة إرسـالًا واستقبالًا ولأمر ما يتعذر الاستقبال والإرسال عند الاثنين، فتكتشف أنه مثل كل الرجال ويكتشف أنها مثل كل النساء، ثم يكتشف الطرفان سبب الخلاف الأبدي

بين الرجل والمرأة هو أن الرجال يعشـقون النساء والنساء يعشقن الرجال، الكل عينه زايغة!

وفـي كل قصـة حب نفـس السـيناريو: كل تصرفات الرجل هـي ردود أفعال لتصرفـات المـرأة، فهـي التي تعطي الضـوء الأخضـر ليتقدم، وهـي التي تعطي الضـوء الأحمـر ليتوقف، وهـي التي تختار النهايـة وأحيانًا تضع النهاية حاسـمة مستعينة بساطور.



تبادل التنازلات

إن الحب الناضج لا بد أن يعززه القبول العقلي، والحد الأدنى المطلوب لنمو هذه العاطفة هو ألا تصطدم بالرفض من جانب العقل، وربما تكون في شخصية الإنسان الذي تحبه جوانب سلبية لكننا هنا نقبلها من منطلق أنه لا يوجد إنسان كامل وليس من منطلق أن الحب أعمى بلا عقل، أما إذا استمرت العاطفة مفتقرة إلى إقرار العقل لها فلا يمكن الارتفاع بها إلى مستوى الحب الناضج، لكن يمكن اعتبارها نزوة أو رغبة جامحة تتسم بالطيش.

كل إنسان يحب بشروط حبيبه هو لا بشروطه، ومن هنا تأتي التنازلات وتبادل التضحيات بين اثنين لا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر؛ فالحب عاطفة لا إرادية تجتاح حياة الإنسان على غير استئذان، وأحيانًا على غير رغبة من العقل، وهزيمة العقل والمنطق أمام الحب لها وقائع تملأ مجلدات، وأعظم قصص الحب هي التي يضرب لها الناس كفًّا بكفٍّ وهم يفكرون فيها بالعقل لا بعواطف المحبين، إنهم مثلًا يُذهلون لأن ملك بريطانيا ترك العرش الذي يحكم العالم من أجل امرأة أحبها، مجنون في نظرهم، مخبول، تمامًا مثل مارك أنطوني إمبراطور العالم القديم الذي ركل الإمبراطورية ليبقى بجوار المرأة التي أحبها، مجنون رسمي بكل المقاييس، وأكبر قصة حب في التراث العربي اسمها ليلى والمجنون، وحماقات العشاق الجنونية تتحول عندهم مع الزمن إلى ذكريات غالية، وليس أدل على جنون الحب من أن يدفع الإنسان إلى التساؤل بعد أن يفيق: كيف ولماذا تزوجت؟؟

الأهبل!

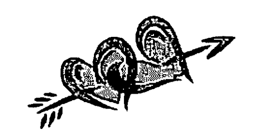
الرجل تجتذبه الغانية فعلًا، لا لتفوق الغانية على باقي النساء، ولكن لأسباب متعلقة بأصل خلقة الرجل، ففي منافسة على رجل بين امرأة مثقفة وغانية، الغانية تكسب، وفي المنافسة بين امرأة عاقلة وغانية، الغانية تكسب، وفي المنافسة بين امرأة غنية وغانية، الغانية تكسب، وفي أحسن الأحوال يتزوج الغنية ويخونها مع الغانية.

ومؤهـلات الغانية تكمن في قدرتهـا على الاتخاذ من مفاتنها فخاخًا منصوبة للرجل، ولذلك اشتهرت محظيات البلاط الفرنسي أكثر مما اشتهرت الملكات، بينما كان سـلاطين الشـرق يتخذون من الجواري مطربات وراقصات وزوجات أيضًا.

ولنقل بصراحة: إن الرجل يريد أن يرى «الجارية» في المرأة التي يحبها سواء كانت هذه المرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب أو كانت دكتوره في محاورات أفلاطون، والمرأة التى تفلح في إظهار «الجارية» التي بداخلها هي التي تنجح في الاحتفاظ بالرجـل وحمايتـه من أي جاريـه أخرى، فالرجـل مخلوق بعاهة مسـتديمة أمام الأنثى الجميلة هي: الهبل.

وفي حرب التحرر النسائي، تسبب انتصار المرأة في إيجاد فجوة جديدة بينها وبين الرجل، فحتى إذا قبل الرجل المسـاواة ظاهريًّا فهو يرفضها بحكم تكوينه، ذلـك أن الرجل في حقيقته عنصري متعصـب ويؤمن بأنه الجنس المتفوق، وهو يسعى إلى تأكيد هذا التفوق في كل الظروف، وهو أحيانًا يرفع علم التفوق تحت أنفه على شكل شوارب ضخمة ناسيًا أن الشوارب تنبت أيضًا في الأرانب.

ومـن ناحيـة أخـرى اختلط الأمـر على المـرأة العصريـة فتكاد لا تفـرق بين خضوعهـا الأنثوي المسـتحب للرجل وبين حقوقها في المسـاواة، فراح الرجل يتطلـع إلى كل ما تقوله لـه، والذي يملك الفلوس تسـعده الغانية بكلمة، والذي لا يملك الفلوس تسـعده الشـغالة بهذه الكلمة، ولهذا قالت شـغالة في إسـبرطة القديمة: عندما يوجد الزواج بلا حب، يوجد الحب مع سيدي البيه.



يفضلونها هبلة!

الرجل يريدها جميلة عمومًا، ولعوبًا على وجه الخصوص، فكل تاريخ العظماء الغرامي يختلط أغلبه بتاريخ الغواني؛ لأن الرجل - مهما علا - تصل غدة البلاهة عنده إلى أعلى معدلات نشاطها أمام المرأة اللعوب، فإذا عاملته معاملة الغانية ساورته شكوك الخيانة، وإذا لم تكن لعوبًا فهي مصابة بالبرود العاطفي، فإذا تغلب على شكوكه وقبلها لعوبًا أيام الغرام، فهو يريدها زوجة مستورة الجسم لا ميني ولا ميكرو ولا بهرجة، فإذا استجابت لرغبته والتزمت الحدود زاغت عينه إلى كل لعوب مبررًا موقفه بأنه متجوز غفير.

وهو يريد امرأته «هبلة» تستمع إلى أكاذيب التفوق الرجولي التي يرويها في انبهار شديد، وهي أكاذيب تمثل نزعة حادة إلى «المعر» سعيًا لإثبات قوته وذكائه، وهو عمومًا يريد المرأة الجارية المطيعة التي تصدع بأوامره بلا تفكير ولا مناقشة، فإذا تحقق من أنها الجارية التي يريدها، شك في أن لها مخا تفكر به، وإذا كانت لها عقلية لامعة وأفكارًا جديدة شك في أن لها قلبًا وعاطفة، واعتقد أنها يمكن باستقلال شخصيتها أن تستغني عنه، فإذا ثبت أن لها قلبًا وعاطفة مع فكر لامع، ضاق بها لأنها لا تعرف الطهو ولا تتقن صنع دقية بامية مثل الحاجة زينب أمه، ومن أجل هذه المتناقضات التي تجتمع في الرجل، نسمع بين حين وآخر أن رجلًا قد دخل في الكيس البلاستيك.

أنت أول واحد؟

إن المـرأة لا تقـول ولكنها تفعل، فكل ردود الرجل هـي ردود أفعال للمرأة، هي التي ترسـم الخطة للإيقاع به وتوحي إليه بأنه هو الذي أوقع بها، وكما يقول المثل الفرنسـي: «اجري ورايا عشـان أمسـكك»، فهي تعطي له الضوء الأخضر بابتسـامة أو نظـرة عيـن، ورد الفعل عنـده: لعاب يسـيل، وتشـجعه، ورد الفعل يجـري وراءها، وتأذن له باللقاء فيقول، ويقول، ويقول، وتغضب منه وتخاصم، ورد الفعل اسـترحام واسـتعطاف و«يـا فايتني ف ليل تعذيبي»، ثـم يأتي تصرفها الذي تكتكت له طويلًا فيكون رد الفعل عنده: تليفون للمأذون.

والملاحظ أن معظم العبارات المحفوظة التي ترددها المرأة مُسـَّخرةٌ لخدمة هدفها الأوحد وهو الزواج، ومن أشـهر هذه العبـارات: أنت أول واحد أعرفه.. دي أول مـرة أخـرج فيهـا مع حـد.. أنت أول واحد يلمسـني.. فيـه واحد متقدم والظاهـر بابـا مصمم عليه.. عايزة أعـرف حبنا ده آخرته إيـه.. قلتها لكام واحدة الكلمـة دي.. بتحبنـي أد إيه؟.. يـا ريتني أعرف إيـه جواك؟ (وهـي غالبًا تعرف جواب هذا السؤال فيما بعد عندما تعبئه في الكيس).

أما في الزواج، فالمرأة تصبح صاحبة القرار، أو صاحبة السلطة، وكل الجمل التي ترددها تصبح نابعة من النظام القمعي الذي تفرضه على الزوج مثل: إيه اللي أخرك لحد دلوقت؟.. متقمع ومتشـيك رايح على فين؟.. ريحتك بارفان.. كنت فين؟.. بابكي ليه؟ ح يكون مين السبب يعني غير أمك!

تطبيع العلاقة بينها وبينه

المـرأة الشـرقية ممنوعة منذ صباها من الحديث مع أي شـاب وإلا أصبحت مقصوفة الرقبة، يعني الأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة هو أن تكون مقطوعة، الاسـتثناء هـو أن تكـون موصولة، فالرجل يسـتطيع أن يحيي رجـلًا لا يعرفه في مقعد القطار فيرد تحيته، لكن المرأة لن ترد التحية أو تردها زغرة صامتة، وأجهزة الاسـتقبال عند المرأة تتلقـى كلمات الرجل الذي لا تعرفـه بتحفز وتوجس، إذا قـال لهـا: أنتِ جميلة.. قالت: أنت قليـل الأدب، وإذا قال لها: يا قمر.. قالت: يا بوليـس، وإذا عبر عن إعجابه رفعت حاجبًا وأنزلت آخر ورسـمت تعبيرًا شـهيرًا علـى وجههـا معناه: سـم يلهفـك، فإذا ابتسـمت المـرأة لرجل لا تعرفـه.. فهذه بدايـة علاقـة طيبة، وإذا ردت تحيته فهذه بداية الوصـال، وإذا تزوجته فهذه بداية القطيعة.

فتطبيـع العلاقة بيـن الرجل والمرأة أمر في حكم المسـتحيل، وإذا بدأنا بأيام الحـب والغـرام وجدنا العلاقـة غير طبيعيـة؛ لأن تصرفات الطرفيـن تمتزج فيها التنهـدات بالنظرات باللمسـات بالآهات، ثم يخبو الغرام بعد شـهر ويبدأ الشـد والجـذب، وهـي علاقة غير طبيعيـة أيضًا لأن الأصل في العلاقـة الطيبة هو الود وليـس الشـد والجـذب، وبعد عشـرين سـنة زواج يتعـذر تطبيع العلاقـات بين الزوجين، فإن عشـرين سـنة كافية لكي تَغِرَ صدر الزوجة من شـخص مزعج غير مسـل، إذا تكلم شـخط، وإذا تحدث ثار، وهو في أحسـن حالاتـه أخرس بجم، ولا عجـب بعـد هذا كله أن تطلق عليه الزوجة بين صديقاتها أسـماء مثل: الكبة، والهباب، واللي ما يتسمى.

كلهم من خامة واحدة؟

تعتقد النساء أن الرجال مصنوعون من خامة واحدة، وهذا صحيح إلى حد كبير، رغم أن هناك قلة ضئيلة جدًّا من الرجال تشذ عن الأغلبية فتبلغ عندهم نسبة البلاهة أمام المرأة ثمانين في المائة بدلًا من مائة في المائة.

والرجال ينقسمون إلى ثلاث فئات: الأعزب والأرمل والمتزوج، الأعزب يثير فضول المرأة كمدخل إلى الحب، بينما الأرمل يثير شفقتها، أما المتزوج فربما يثير تحديها لزوجته، أما الذي يثير اهتمامها البالغ في هؤلاء الثلاثة فهو المليونير.

والمرأة إذا أحبت وفشلت في حبها الأول أفسدت حياتها بالبحث عبثًا عن رجل له مواصفات الحبيب الأول، ولأن كل الرجال هم بضاعة جاهزة لهم مواصفات واحدة، فمن الصعب على امرأة أن تجد رجلًا «تفصيل»، له صفات خاصة ومثاليات محددة شكلًا وموضوعًا، ومثل هذا الرجل لا يوجد إلا في قصص الخيال العلمي.

والزواج يحتاج من جانب المرأة إلى تفهم لطبيعة الرجل، والرجل خلق وقد أسندت إليه مهمة المبادرة والاقتراب من المرأة لتأسيس العلاقة الأسرية، والرجل لا يستطيع أن يتخلص بسهولة من طبيعته كمطارد للمرأة، ولهذا قد يقع كفريسة للأخريات حتى بعد زواجه، ولهذا أيضًا يمكن القول بأن نزوات الرجل أقوى من إخلاصه، الأمر الذي يحتاج من الزوجة إلى الصبر والترويض الهادئ دون أن يبلغ بها اليأس إلى ترديد المثل الشعبي البليغ: «جوه وبره فرشت لك وانت مايل وإيه يعدلك»، وهذه الآفة في الرجل هي السبب في أن الزوجات لا يفكرن بشكل واحد إلا إذا تحدثن عن أزواجهن!

الزوج الخائن

الأزواج الخائنـون - فـي رأيـي - يخضعـون لنفس تقسـيم المجرمين الذي وضعـه لامبـروزو، فهنـاك زوج خائـن بالطبيعـة، وزوج خائـن بالعـادة، وزوج خائن بالصدفة، والأزواج بعد ذلك ينقسـمون إلى قسـمين: زوج خائن بالصدفة والأغلبية.

والزوج الخائن بالصدفة هو الذي سـعت إليه الخيانة بغير جهد منه أو تدبير، والزوج الخائن بالعادة هو الذي يمارس الخيانة بعد السـابقة الأولى التي جاءت بالصدفة، وهذا النوع من الأزواج يمكن إصلاحه بشيء من الصبر وضبط النفس والغفران، أما الزوج الخائن بالطبيعة فالمشكلة أن مظهره لا يدل على ذلك أبدًا، وهو عادة يتسـم بالأدب واللطف والكياسـة وحسـن معاملة كل امـرأة حتى ولو كانت زوجته!

فهـل للـزوج الخائن سـمات أو ملامح يسـهل معهـا معرفة أنـه خائن؟ وهل صحيح ما يُقال إن الرجل ذا الحواجب الكثيفة عديم الإخلاص؟ نعم. إن الرجل ذا الحواجب الكثيفة خائن، والرجل ذا الحواجب الخفيفة أيضًا، وقد قيل كذلك إن الذقـن المدبب في الرجل ينم عن جنوح للخيانة، كما اكتشـفوا نفس الجنوح للخيانة في صاحب الذقن غير المدبب.

ومن سوء حظ الزوجات أن علم الفِرَاسَة أو «الفيزيوجنومي» لم يحدد ملامح أو صفات الرجل الخائن، لكن الزوجة يمكن أن تقول لزوجها: لقد اكتشـفوا أن بـوق أذن الرجل إذا كان خشـن الملمس دلَّ ذلك على خيانته، وهنا سـوف تمتد يده إلى أذنه بحركة لا شعورية، وهنا أيضًا يمكن للزوجة أن تتخذ الإجراء الأول، وهو شراء الكيس البلاستيك.

ماذا يرضيه في ملبسها؟

تضيق المرأة بالرجل الذي يحلم كثيرًا ولا يفعل شيئًا، الرجل الذي يحلم طول الوقت سيكون ترتيبه في مرحلة الغرام الأول مع مرتبة الشرف، أما في الزواج فترتيبه الأخير مع شدة القرف.

وتضيق المرأة بالرجل الذي يقيم في البيت ولا يغادره أبدًا، إنه كابوس يكتم على أنفاسها؛ لأنه مهما زالت الكلفة بين الاثنين فهي تحب أن يكون لها شيء من الخصوصية، تريد أن تتحرر من رقابته إذا زارتها صديقة، تريد أحاديث النميمة مع الجيران أو في التليفون، ثم إن الزوج يجب أن يخرج من البيت حتى يعطي لها الفرصة لتعلن رأيها القطران فيه. والمرأة تضيق بالرجل الذي لا يُبدي تساهلًا في ملبسها: الصدر مفتوح أكثر من اللازم.. ذيل الفستان قصير.. بلاش فتحة ذيل الجوب، والرجل الشرقي يرى أنه على حق في كل ذلك حتى لا تذهب زوجته مع موجات الموضة إلى آخر مدى، فإن مصممي الأزياء في العالم يتصارعون وراء رغبة المرأة في استعراض مفاتنها التي هي فخاخ لصيد الرجل، والمرأة في الغرب ترى مثلًا أن البكيني هو الحل العادل والشريف بين رغبة المرأة في العري ورغبة رجلها في سترها، والمرأة تضيق بالرجل الضعيف لأنها تبحث عن الأمان والحماية، وهي قد تحب الرجل الذي تسيطر عليه، فهي من أول خيوط العلاقة بينها وبين الرجل تدخل معه معركة السيطرة، لكنها تتمنى في أعماقها أن ينتصر الرجل عليها بجدارة؛ فالمرأة بداخلها ملكة وجارية، الملكة تريد السيطرة والجارية تريد الاستسلام، وقد تثور الملكة يومًا على ضعف الجارية فتأتي نهاية الرجل داخل كيس بلاستيك.

حديثها

لا توجد امرأة تافهة وأخرى محدثة ممتازة، بل توجد امرأة تعشقها فتجد في حديثها متعة الدنيا، وأخرى تحدثك فتكتشف أن المرأة لا تحتاج إلى أي موضوع لتتحدث ثلاث ساعات متصلة.

والرجل لا يريد حديث دكتوره من هارفارد أو أستاذة من السوربون، فإن «ريَّان يا فِجل» تقولها حبيبة القلب أروع كثيرًا عند العاشق من أي كلام له معنى، وحتى عظماء التاريخ من الزعماء والمفكرين ارتبطوا بنساء عاديات، وأغلبهم كان قدره مع غانية متواضعة التفكير، والغانية - لغةً - هي مَنْ غنيت بحسنها وجمالها وليس بعقلها أو ثقافتها، ومعظم الرجال تستهويهم الغواني، ومهما خلا حديث المرأة من مضمون أو معنى فسوف يبقى دائمًا لحديث المرأة سحره الخاص، ويقول بلوتارك إن جمال كليوباترا لم يكن في حد ذاته رائعًا، ولكن أنوثة صوتها كانت من أبرز معالم جاذبيتها الداهمة، ويبقى حديث المرأة عذبًا ما بقي فيه دفء الأنوثة، ويبقى جذابًا وباهرًا ما بقي الحب، لكن تغيراتٍ قد تطرأ على حديث المرأة نتيجة للحياة تحت سقف واحد فيكتشف الرجل أن حديثها صار ردحًا.

ويختلف رد الفعل عند الرجل تجاه حديث المرأة باختلاف موقعها منه: إذا كانت الأم هي التي تتحدث فالإنصات واجب، وإذا كانت الحبيبة هي المتحدثة فالدنيا وما فيها، وإذا كانت الزوجة هي التي تتحدث فعلى الرجل أن ينصت باهتمامٍ استعدادًا للدفاع عن نفسه.

هي التي تختارك

اختيار شريك الحياة ليس مشكلة إذا كان الرجل وحده هو الذي يختار، كذلك لا يكفي أن يضع الإنسان - رجلًا أو امرأة - عينه على إنسان معين ينوي الزواج به لأنه على علاقة طيبة معه من بعيد لبعيد؛ إذ يمكن للرجل - أو المرأة- أن يحتفظ دائمًا بعلاقة طيبة مع الطرف الثاني إذا تجنب كل منهما أن يحب الآخر أو يتزوجه.

واختيار شريك الحياة يخضع لمؤثرات مختلفة، فالإنسان عادة له نصف رأي في المحبوب وللأهل النصف الثاني، وفي نظر الأهل تختلف العروسة بنت الناس عن العروسة بنت أوناسيس، كذلك يختلف عندهم العريس ذو الدكتوراه عن العريس ذي المرسيدس؛ إذ يعتبرون الأول مواطنًا من الدرجة الثانية.

ثم إنهم خدعوك فقالوا إن الرجل يختار شريكة حياته، الحقيقة أن الرجل دائمًا يقع عليه الاختيار شريكًا للحياة، ولعله من غرائب كوكب البشر؛ لأن المرأة في حبها تغرق في الرومانسية لشوشتها بينما يكون الرجل متوازنًا، وما إن تحين اللحظة الحاسمة لاختيار شريك الحياة حتى تتوارى الرومانسية وتنشط الغدد الاقتصادية والحسابية عند المرأة لتعمل بكفاءة عالية قد يجد معها المحبوب نفسه وقد أصبح محبوبًا سابقًا، فاختيار الشريك هو اختيار اقتصادي في المقام الأول، حتى في قصص الحب التاريخية نجد ليلى مثلًا تموت صبابة في قيس لكنها تتزوج من ورد لأن «قيس» كان «صايع» بلا دخل، ومسز سمبسون أحبت إدوارد المليونير قبل أن يكون إدوارد الملك، وعلى أي حال فإن تاريخ المرأة يؤكد أنها تضع الحب في المقام الأول إذا كان الرجل غنيًا.

احترس من الكلام العسل

المرأة تفضل كثيرًا الرجل المجرب اللعوب، ولأن الرجل يعرف ذلك فهو لا يكف عن التباهي برواية قصص وحكايات نسائية لم تحدث أبدًا.

والمرأة تحب الرجل المغامر وهي تسعى إلى أن توقع به أو على الأصح أن تتركه يوقع بها، وهذا يحدث باستمرار ويقال في ذلك: «ما يقع إلا الشاطر»؛ فالمغامرون دائمًا يقدمون على الزواج، وهو - كما هو معروف - يحتاج إلى روح المغامرة.

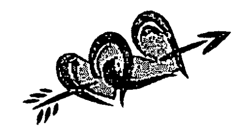
والرجل الذي يفتقد التجربة لا يشبع غرور المرأة، فالمرأة تسعد بالإيقاع بالرجل، لكنها تسعد أكثر بالانتصار على المرأة التي تنافسها فيه، وهي قد تجتهد في الاستيلاء على رجل لا تحبه لمجرد أن تسم بدن امرأة أخرى وتثبت لها أنها الأجمل والأشد جاذبية والأكثر أنوثة، فالحقيقة أن هناك شخصًا يتغلب دائمًا على المرأة: امرأة أخرى.

والمرأة قد تلفظ الرجل الذي يحبها بإخلاص، وتؤثر على الرجل الذي يسعدها بما تريد سماعه عن جمالها، ولذلك فإن الكذابين والنصابين لهم حظوة كبيرة عند النساء، وعندما تكون المرأة ناضجة مثلًا فالرجل الساذج يقسم بعينيها، أما الرجل المجرب فيقسم بشبابها، فسن الثلاثين هي السن التي تتباهى بها المرأة الناضجة خصوصًا عندما تكون في الأربعين.

وسر شقاء المرأة في حياتها العاطفية عمومًا أنها تنجذب إلى أصحاب الكلمة المعسولة من الأفاقين والنصابين، ودون جوان مثلًا هو رمز للرجل الذي يغزو قلب المرأة، وهو شخصية أسطورية لرجل سافل يغرر بالنساء، فقد

ظهـرت هذه الشـخصية في أعمال برنارد شـو، وموليير، وبلـزاك، وبايرون، كما كان هـذا «الدون» بطلًا لأوبرا مـوزار «دون جيوفاني»، كذلـك كان كازانوفا من أحط الرجال أخلاقًا، كان جاسوسًا، ومقامرًا، ونصابًا دوليًا، ومتعيشًا من النساء، ومعبود النساء أيضًا!

فالمـرأة لا تسـعد كثيـرًا بالرجـل الـذي لا يثيـر تحدياتها تجـاه الآخرين، إن الزوجـة مثـلًا تتوق إلـى معرفة أين يذهب زوجهـا خارج البيـت، وعندما تعرف علـى وجه اليقيـن أنه يقضي وقتًا بريئًـا فهي تقول عنه إنه «زي القرش الماسـح» لا أحد يرضى به.



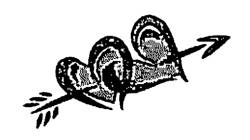
الزعيمة وعقدة الرجل

المرأة الجميلة ليست في حاجة إلى مناقشة بيزنطية تخوضها مع الرجل باسم حقوق المرأة، الجمال في حد ذاته أقوى منطق، والمرأة الجميلة تحصل على كل ما تريد من تنازلات بابتسامة ونظرة عين، بعكس الزعيمة النسائية التي تلجأ إلى النقاش والصراخ والسفسطة؛ لأنها غالبًا وِحْشَة، فهناك شبه إجماع من علماء النفس على أن زعيمات التحرر النسائي يعانين عقدة الرجل، فكل منهن كانت تتمنى أن تولد رجلًا؛ لأنها ترى في الأنوثة مهانة، وإذا قررت الزواج اختارت رجلًا ضعيفًا لتصبح هي زوجة بشنب.

وبسبب هذه العقدة تعمل زعيمات التحرر في العالم على إفساد العلاقة بين الجميلات وبين الرجل، فأفسدن أنوثة المرأة بالاسترجال والعنف، وساد العالم نموذج الفتاة التي تلبس البنطلون الجينز والحذاء الكاوتش المعفن وفي السهرة قميصًا ببابيون على بنطلون، واتسمت معاملاتها مع الرجل بالتحدي، حتى أن صيحة نسائية جديدة بدأت ترتفع وتحمل شعار: «فيف لا ديفيرانس»، أي يحيا عدم المساواة بين الجنسين، حيث يعامل الرجل المرأة كملكة، وأميرة، وهانم دلوعة، وحيث الفرصة أكبر أمام المرأة للضحك عليه، لكن زعيمات التحرر يقاومن هذا الشعار ويؤكدن أن الجنس البشري ينقسم إلى قسمين: النساء.. والأشرار!

ولأن الرجال أشرار فزعيمات النساء يحذرن من الرجال بقولهن: إذا غازلتِ رجلًا خاف من جرأتكِ، وإذا لم تعيريه اهتمامًا انصرف عنكِ، وإذا ارتديتِ ثيابًا تكشف عن جمالكِ تردد في الخروج معكِ، وإذا ارتديتِ ثيابًا محتشمة ظل طوال

الوقت يحملق في صاحبات الفساتين العارية، وإذا كنتِ من النوع المحافظ شك في عقلكِ، وإذا كنتِ متحررة شك في عواطفكِ، وإذا كنتِ جادة اشتاق إلى امرأة لعوب، وإذا كنتِ لعوبًا اشتعل غيرة، وإذا رفضتِ الزواج منه هدد بالانتحار، وإذا تزوجتِ هدد بالانتحار، وإذا أسـعدتيه فلا حمد منه ولا جميلة، وإذا لـم تسـعديه شـكا لطـوب الأرض، والخلاصة أن الرجـل مخلوق لا يُعاشـر، مجنون مغرور مختل.



هل انتهى حبك لها؟

إذا كنت لا تعرف هل شفيت من حبها أم لا، فإليك هذه الأعراض التي تنتاب الإنسان في الحب، وعند انحسار الحب:

1- في الحب: يعتقد كل واحد أن ربنا أكرمه وعثر على الإنسان الذي ينفرد عن باقي البشر في كماله.

في انحسار الحب: يعتقد أن ربنا أكرمه واكتشف حقيقة الطرف الآخر الذي ينفرد عن باقي البشر في ندالته.

2- في الحب: الشعور بالندم لأنه لم يقابل الطرف الآخر من زمن طويل.

في انحسار الحب: الشعور بالندم فقط.

3- في الحب: يعتقد أنها أغلى ما في الدنيا.

في انحسار الحب: يعتقد أن أغلى ما فيها خاتم الشبكة الذي أهداه لها.

4- في الحب: يتحدث كل طرف مشيدًا بالطرف الآخر.

في انحسار الحب: يتحدث كل طرف مشيدًا بنفسه.

5- في الحب: يرى أنها أجمل امرأة في الدنيا.

في انحسار الحب: يحيره كثيرًا أين كانت تخفي هذا الأنف الضخم.

6- في الحب: ينتظر اللقاء على أحر من الجمر.

في انحسار الحب: ينتظر نهاية اللقاء على أحر من الجمر ليذهب إلى الأخرى.

7- في الحب: الرجل الذي يطاردها يثير غيرته.

في انحسار الحب: الرجل الذي يطاردها يثير شفقته.

8- في الحب: يرى كل طرف أن عيوب الآخر جميلة جمال مزاياه.

في انحسار الحب: يضطر - أمام عيوب الآخر - إلى تقديم بلاغ بالسرقة.

9- في الحب: يمسح شعرها بحنان ويكتشف ملمس الحرير.

في انحسار الحب: يمسح شعرها ويكتشف أنه باروكة.

10- في الحب: يردد كل طرف للآخر: أنا شاريك.

في انحسار الحب: يكتشف أنه اشترى الترماي.



وعود الهوى

وعود الحب هي الحب نفسـه، فهي خيوط أساسـية في نسيجه، ومن أوهامه الجميلة تنسج الأوهام، ووعود الحب بعضها رومانسي ومعظمها مادي؛ فالمرأة تحـب الفلوس والجواهـر والملابس والحياة الباهرة، ويمكـن القول بأن الغانية تفضـل أربعة أنـواع من الحيوانات: الخنزيرة المرسيدس في الجـراج، والمِنك حـول أكتافها، والثعبان الذهبي حول معصمها، والحمـار الذي يتكفل بكل هذه النفقات.

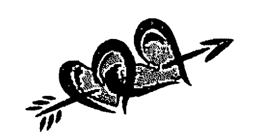
ومن سـحر الحب أنه يجعل كل شـيء قابلًا للتصديـق؛ لأن الحب لا يعرف المسـتحيل، ونظرًا لأن الرجل يبحث عن كافة السـبل لجلب رضى أنثاه فهو في سـكرة الحب يبذل الوعود المادية، وإذا قال لها: «اصبري يا حياتي وأنا أجيبلك مـال قـارون»، فهـو يسـتطيع أن يحقق هـذا الوعد مع الوقـوف أمام رئيـس نيابة المخدرات.

ووعـود الحب نادرة التحقيق لأنها تكلـف الرجل كثيرًا، وأحيانًا تكلفه عمره كالزواج، وعندما قال ملك بريطانيا لمسـز سمبسـون: سـوف أتنازل عن العرش لأتزوجـك، كان تحقيق وعده بالتأكيد شـيئًا مثيرًا لسـعادتها، وكان بالتأكيد أيضًا شـيئًا مثيـرًا لغضبها عندما كان يردد في البيت: أنـا تنازلت عن العرش من أجلكِ (في خناقات الزواج).

ويجـدر بالمرأة العاقلـة أن تتلقى الوعد الجميل بكثير مـن التحفظ، باعتباره مجـرد هذيان في سـكرة الغـرام، فإذا قـال عاشـق لحبيبته: أبني لـك قصر عالي واخطف نجم الليالي، فمن السـذاجة أن تسـأله هي بعد ذلك إن كان قد تعاقد مع

المهندس الذي سيبني القصر العالي، أو تستفسر منه عن الخطوات التي اتخذها مع وكالات الفضاء ليخطف نجم الليالي.

وفـي وعود الحب تنتشـر هدايا العيـون: «خُد عنيا واعطـف عليا»، و«خدي عينـي مني وقابليني»، فلا شـك أنها سـوف تكون في منتهى التخلـف العقلي إذا تصورت أنه سينصرف من الرانديفو بعين واحدة.



الاستقرار

لماذا يُقال عن الزواج إنه استقرار؟

لأن كلًّا من الطرفين يستقر نفسيًّا بعد اختيار شريك الحياة بشكل نهائي، ويبدأ كلٌّ منهما مرحلة التفكير بهدوء ليحصي أخطاء هذا الاختيار.

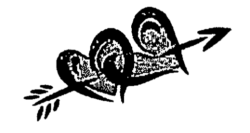
ولأن كلًّا منهما يستقر على رأي، وهو أن يؤهل نفسه لمعاشرة إنسان من الصعب التكيف معه بسهولة لاكتشاف حقائق جديدة كانت خافية أيام الغرام والتنهدات، فيروض كلٌّ منهما نفسه للتعايش مع الآخر راضيًا بتقديم بعض التنازلات، ثم قد لا يلتقيان في كل النقاط وقد لا يلتقيان إلا في نقطة الشرطة.

ولأن الرجل ينزع غالبًا إلى الحكمة والتعقل، فإن الأمر ينتهي به عادة إلى تقديم كل التنازلات مؤمنًا بالحكمة المأثورة: «جارِهم ما دمت في جوارهم، وارضهم ما دمت في أرضهم، ودارهم ما دمت في دارهم» (لأن الشقة من حق الزوجة).

الفعل «قر» تعتبر مشتقاته قوية الصلة بالزواج، ومنها «استقر» الرجل استقرارًا، أي انتهى به المطاف لاهثًا في مقر الزوجية بعد أن ظل يطاردها حتى أوقعت به، وزمان كانت صورة الزفاف تظهر فيها العروس واقفة والعريس جالسًا تعبيرًا عن أنه «سي السيد» التي تقف هي له احترامًا في حضوره، وقد تغير هذا المفهوم تمامًا فأصبحت صورة الزفاف الحديثة تمثلهما وهما جالسان معًا في الكوشة تعبيرًا عن أنه جلس ليستريح بعد الجري وراءها، بينما هي جالسة تستجمع أنفاسها لتجري وراءه في البيت.

الفعل «قر» اشتق منه أيضًا قرقر، يقرقر، قرقرة، والقرقرة تحدث عندما يواجه الـزوج موقفًا عسـيرًا أمام الزوجـة، والقرقرة لغة هي صـوت البطن عند حدوث الخوف.

ومن الفعل قر يُقال في شـهر العسـل: فلان قر عينًا بعروسه، وفلانة قرت عينًا بعريسـها، فـكل منهمـا قرير العين، أي بـارد العين؛ لأن العرب كانـوا يقولون إن للحـزن دمعة حارة ودمعة باردة، وبعد ذلك لا يُقال إن كلًّا منهما قرَّ عينًا بالآخر، بل يُقال طلعت عينه والله أعلم.



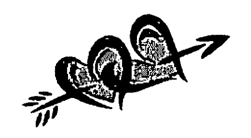
حتى برنارد شو!

الملل مرحلة يصل إليها الطرفان عندما يخبو لهيب الغرام وتتبدد متعة الفضول ويتم اكتشاف كل منهما للآخر، فلا هي مندهشة ولا هو مبهور ولا حول ولا قوة إلا بالله، والملل أحد شعورين ينتابان الإنسان المتزوج، فهو إما أن يشعر بالملل أو يشعر بالرغبة في الخناق، والطرف الذي يختار الخناق يحسن الاختيار لأنه بذلك يبدد ملل الطرفين، ففي الخناق الإثارة والجديد (خصوصًا الألفاظ المتبادلة).

والملل سببه أنا وأنت وهو وكل رجل، فالرجل ممل لأنه روتيني بفطرته بعكس المرأة المحبة دائمًا للجديد والتجديد (راجع موضاتها وحواجبها)، والرجل دائمًا في بيت الزوجية أخرس. عاهة زوجية، وإذا تكلم فلا جديد.. فهو لا يتقن النم ورواية التفاصيل المثيرة، وحديثه لا يخرج عن لعن مديره الحمار أو التباهي ببطولات لم تحدث، حتى الرجل ذو الحديث الساحر برنارد شو كانت زوجته السيدة شارلوت تسمعه يحدث الآخرين بحكايات سمعتها مئات المرات، فكانت تتظاهر - كما قالت - بالانهماك في شغل الصوف حتى تقاوم رغبة عنيفة في سد فمه وخنقه، ومهما كان الأمر، كان الملل - على سخافته - نوعًا من الترف النفسي، ذلك أن الإنسان لا يشعر أبدًا بالملل إذا انهمك في العمل أو واجه مشكلة حادة، فكل مسلسلات المحن والمصائب التي يمر بها الإنسان طاردة للملل ما عدا مسلسل الزواج.

ولأن الرجل روتيني بطبعه فإن المرأة أكثر إحساسًا بوطأة الملل، ويمكن كسر الملل من حين لآخر بإحداث الدهشة البالغة عند الزوجة لدرجة أنها تعتقد أن

زوجها قد جُن في رأسه (مثال ذلك أن يقول لها أحبك) لكن الملل على أي حال لا يخلـو مـن فوائد، فهو مفيد جدًّا مـن الناحية الصحية؛ إذ يجعل الإنسـان ينفخ بشدة، وهذا النفخ يساعد على تفريغ وتنظيف الرئتين من ثاني أكسيد الكربون.



عالم من الذئاب!

الرجل ليس على الصورة التي تتوهمها كل امرأة بلا تجارب، لقد حدثت - منذ أجيال بعيدة - تغذية سيئة لمشاعر المرأة العربية تجاه الرجل؛ إذ دأبت الأم على تطعيم ابنتها الصغيرة بدروس توعية محورها أن الرجل يشكل خطرًا داهمًا على شرفها وسمعتها ومستقبلها، والأم تعطي في مواعظها أحكامًا مطلقة على الرجال، فليس فيهم طيبون، كلهم ذئاب، وهكذا تولد العلاقة السيئة بين الرجل والمرأة قبل أن تبدأ، والغريب أن البنت الصغيرة التي تتلقى هذه الصورة القائمة لا يسمح لها سنها بقوة الملاحظة فتقارن بين ما تقوله أمها وبين ما أصبح عليه والدها من وداعة واستئناس وملامح مذعورة بلا سبب.

والنتيجة في النهاية انعدام الثقة تجاه الرجل والشعور بالخطر الدائم في مواجهته مع التوتر المستمر والاعتقاد الدائم بأنها موضع مؤامراته، ولذلك يمكن أن يُقال إن المرأة الشرقية مصابة بالبارانويا في علاقتها بالرجل، والبارانويا هي جنون الارتياب والشعور الوهمي بالاضطهاد، ونظرة إلى أي مجتمع أو حفل يضم رجالًا ونساءً، نجد النساء - بسلوك لا شعوري - يجلسن إلى جوار بعضهن بعضًا، وكأنما يحتشدن في مواجهة عدو مشترك، الذي هو «الكبة»، والكبة هو الاسم الحركي للرجل عند المرأة عمومًا والزوجة خصوصًا، وهي كلمة كانت تطلق زمان على الطاعون!

وما دامت مواعظ الأم الشرقية للبنت قائمة، فسوف يظل الرجل - في نظر كل بنت - لغمًا في طريقها يمكن أن يدمر حياتها، وهي عندما يكتمل نضجها

تتصـرف مع هذا اللغم كخبير مفرقعات، تدور حوله وتقترب منه بحذر وتحاول أن تلتمس سبل الأمان إليه، لكن الخوف دائمًا يغلبها، وقد ينتهي خوفها المستمر من هذا اللغم إلى نسـفه والتخلص منه، وكم من ألغام عبأتها الأيدي الناعمة في أكياس بلاستيك!



المرأة رئيسة

إن الذين يزعمون أن المرأة لا تصلح لإدارة عمل بحزم لأنها تعجز عن التجرد من عواطفها وضعفها هم قوم سذج؛ فالمرأة تستطيع أن تكون رئيسة إدارة جادة ومنصفة وتزن الأمور بمقياس دقيق وتتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب وفي نفس الوقت بشوشة الوجه لا تشخط ولا تنطر، فالعمل تحت رئاسة المرأة يحمل كل هذه الميزات، والرجل طول عمره يعمل تحت رئاسة المرأة، فهو تحت رئاستها طفلًا رضيعًا في حجر الأم، وتلميذًا في الروضة في حمى «الأبلة»، ومراهقًا مبهورًا ببنت الجيران، وشابًّا يريد دخول الدنيا، وزوجًا دخل الآخرة، ولا عجب في أن تحسن المرأة إدارة عمل؛ فهي بحكم استعدادها كربة بيت نراها موهوبة بالفطرة في فن الإدارة، كما أنها أكثر مقدرة من الرجل في علاج المشاكل خصوصًا الاقتصادية، وإذا قيل إن المرأة مبذرة فهذا غير صحيح، فقد ثبت أن المرأة تحرص على المال الذي تكسبه من عملها، لكنها تبذر وتبعثر في أموال الزوج ، لا لمجرد الرغبة في التبذير، ولكن لاعتبارات متعلقة بأمنها الشخصي وطبقا لقواعد الأمن والسلامة الموروثة عن جدتها، مثل: قصقصي طيرك لا يلوف بغيرك، ويا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال، وبالنسبة للمعاملة مع الآخرين فالمرأة أقدر على التفاهم بالسياسة والحيلة والقدرة على المناورة والإقناع (راجع قصة قطف التفاحة في الجنة)، ثم إن وجه المرأة – رئيسة أو غير رئيسة – بشوش دائمًا، فما الذي يجعل رئيستك تطالعك بوجه متوتر الملامح ما دمت لست زوجها؟ وفيما عدا عاطفة الأمومة، فإن المرأة تستطيع بسهولة أن تتجرد من عواطفها، وأن تأتي أعمالًا يعجز الرجل عن إتيانها، كالسيدة تاتشر والسيدتان ريا وسكينة، وبالمناسبة يتصور الكثيرون

أن السيدة تاتشر هي اختراع جديد من النساء، أبدًا.. فالتاريخ مليء بالسيدات الحديديات، ذلك أن كل امرأة تتوافر لها ظروف السلطة والقيادة نراها لا تجنح إلى ممارسة القوة وأحيانًا القمع لتغطية إحساسها بالضعف من ناحية التركيب الجسماني ودفعًا لاعتقاد الآخرين بأنها مخلوقة هشة، وقد ثبت أن عقلية المرأة تتميز بعمق الإدراك، يساندها في ذلك جهاز عصبي أقوى وأشد متانة من جهاز الرجل، والطريقة التي تفكر بها سيدة مثل أجاثا كريستي في كيفية ارتكاب الجريمة وإلقاء الغموض والظلال على الشخوص، تكشف عما تتمتع به عقلية المرأة من القدرة على التخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم. والخلاصة أن الرجل لم يعد السوبرمان المنفرد بالعقل الذي يحسن فن التفكير، بل إن هناك مؤشرات مؤسفة يحملها العصر وتدل على تردي مخ الرجل والإتيان بأعمال عقلية شائنة مثل المسلسلات وتمثيليات السهرة.



في أدب المناقشات

يجب أن تكون متسامحًا مع زوجتك، فمما يعقد الأمور كثيرًا تمسك الزوج بكرامته.

إذا كان لا بد من التفاهم حول موضوعات أسرية مهمة فليكن ذلك بينك وبينها في غرفة مغلقة حتى لا تضيع هيبتك أمام الأولاد.

ابتعد عن المناقشات الودية، فكل المناقشات بعد الزواج تعتبر - من وجهة نظر الزوجة - عدائية.

في مناقشة الخلافات الزوج المهذب لا ينطق العيب أبدًا، أما الزوج العاقل فلا ينطق إطلاقًا.

امتدح مهارتها في طهو الطعام؛ فأنت تعلم أنها اشترته جاهزًا من السوق.

الوردة التي كنت تحملها إليها من وقت لآخر أيام الحب تفقد رومانسيتها بعد الزواج، وسوف يسعدها كثيرًا أن تقدم لها بدلًا من الوردة ورقة بنكنوت.

احترس من أن تقع في مصيدة التناقض خلال أحاديثك معها، فاحتفظ في عملك بمفكرة صغيرة تدون فيها أكاذيبك عليها أولًا بأول.

انتهز فرصة غيابها في الخارج هي والأولاد لكي تأخذ راحتك في البكاء.

فهرس

***